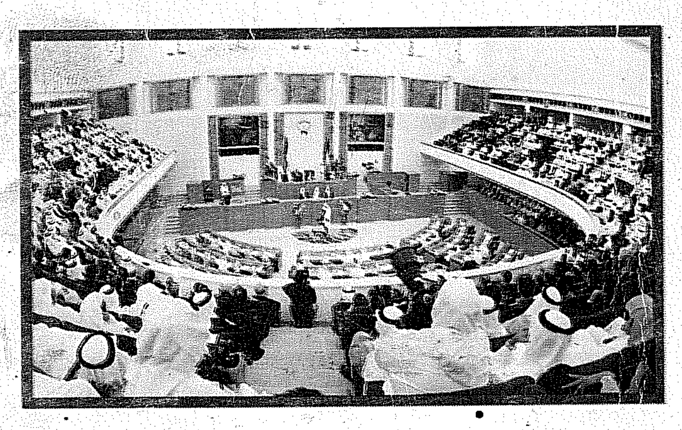
هديتك مع العدد
برامج الإيمان



الوعي الإسلامي
اسلامية شهرية جامعة
العدد ٣٧١ - رجب ١٤١٧هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٦م

أمير البلاد في افتتاح مجلس الأمة:

"أهم أخلاقيات النقد ألا يكون ستاراً يتخفى وراءه صاحبه ليهيج الفتن"



"الأسرة والطفولة والشباب والتربية والتعليم قضايا أساسية لمجتمع يعلو ويتسع"

مهرجان كاظمة للتراث الإسلامي

من أجل محبي المعرفة والباحثين



دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الكشاف العام
لمجلة الوعي الإسلامي

الجزء الأول

اصدار
مجلة الوعي الاسلامي
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

سبعة ملايين ونصف مليون نسخة صدرت من مجلة الوعي الإسلامي حتى اليوم

والذي يطلق عليه اليهود «قبة راحيل» في مدينة «بيت جالا» في الضفة الغربية.

٦ ــ استمرار مصادرة الأراضي وهدم بيوت الفلسطينيين وإقامة المستوطنات عليها وفق مخطط محكم ومستمر دونما توقف.

وختاماً إذا كان هذا ما يريده اليهود وهو حقيقة وليس تخميناً أو مجرد رأي أو ملاحظة فإن من واجب الأمة الإسلامية وهي تعيش ذكرى الإسراء والمعراج أن تعمل على التنسيق بين دولها لمنع أي تغيير في وضع المدينة الإسلامية المقدسة التي هي جوهر القضية ومهوى أفئدة أكثر من مليار مسلم باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماء.

إن الدعوات والتصريحات التي صدرت عن دول عربية وإسلامية وعن بعض المنظمات والهيئات العربية والإسلامية بشأن موضوع القدس مازالت تتوالى معلنة كلها استنكارها وشجبها ورفضها لأي إجراءات يمكن أن تمس عروبة القدس وإسلاميتها لكن هذه المواقف الفردية لا يمكن أن تؤتي ثمارها ولا يمكن أن توقف التصرفات الشاذة لليهود إلا إذا تكاتفت الجهود وتوحدت الكلمة وقال العرب والمسلمون بصوت واحد: لا وألف لا لكل من يريد النيل من قدسنا، إن قدسنا في قلوبنا وهي ليست قضية أهل فلسطين أو العرب وإنما هي قضية المسلمين جميعاً وتحضرنا هنا مقولة رائعة جديرة بالتمعن لشيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله حينما خاطب حكام المسلمين بشأن القدس قائلاً:

«أجمعوا أمركم وشركاءكم ومناصريكم من أصدقائكم في العالم ولا يكن أمركم عليهم غمة ثم أفيضوا إلى حججكم فأقيموها وأعلنوها ودافعوا بعزم وحزم عن قدسكم فهي عرضكم.. أيها المسلمون يا أهل هذا الشرق من أقصاه في مطلع الشمس إلى أقصى المغرب كونوا على قدر المسؤولية في هذه القضية ولا ترهبكم قوة فما دعاكم الأزهر في هذا الوقت إلى امتشاق السلاح وإنما يدعوكم إلى أن تدافعوا عن قضاياكم المصيرية بكلمة واحدة تقولونها وتسمعونها للآخرين في مواقعهم ليعلموا أن لكم وجوداً حاضراً وأنكم لا ترهبون المواجهة دفاعاً ونصرة لأجيالكم التي يُغتال مستقبلها وأنتم تبصرون».

إن الوعي الإسلامي من منطلق اهتماماتها بقضايا المسلمين والدفاع عنها لتدعو المسلمين جميعاً إلى توحيد الصفوف وترميم الثغرات التي طرأت على الجدار العربي والإسلامي لمواجهة كل المخططات الرامية إلى النيل من مدينة القدس وفلسطين عموماً وأطماع العالم المتربص بها. إن ثمانية وأربعين عاماً من المرارة والتشتت في الكلمة والرأي والمواقف كافية لكي نفطن إلى واقعنا، نتلمس منه واقع الداء في جسدنا.... نضمد جراحنا ونواسي مصيرنا بالفعل والكلمة الصادقة الهادفة البناءة نرفع الظلم عنَّا وننصر قدسنا ونرد كيد أعدائنا بالحجة الدامغة والموقف الموحد ونمد جسور التواصل الحضاري البنَّاء مع كل شعوب العالم بلا تشنج أو عصبية وعندئذ لن يلتنا الله أعمالنا وسينصرنا على عدونا إنه نعم المولى ونعم النصير. ■

سمو أمير البلاد يفتتح دور الانعقاد الأول للفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة

افتتح سمو أمير البلاد يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ الموافق ٢٠/١٠/١٩٩٦م دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة وقد تفضل سموه بإلقاء النطق السامي وهذا نصه:

بسم الله وبعونه وتوفيقه وعلى هداية من كتابه الكريم وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وشريعته الغراء نفتتح دور الانعقاد الأول للفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة.

إخواني... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من قواعد ديننا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فكل مواطن وكل مواطنة حيث كان على أرض الكويت ومهما يكن موقعه هو راع بشكل ما، وهو مؤتمن وهو مسؤول وكلما زادت الدائرة التي يتولاها المواطن زادت أعباؤها وكبرت مسؤوليته.

هكذا أيها الأخوة كنتم، وهكذا اليوم صرتم أولاكم الشعب ثقته واختاركم لتعربوا عن آماله ولتسهموا بالرأي والفكر واليقظة في تحقيق طموحاته نحو حياة أفضل يسودها الأمن ويعلو فيها الحق وتتكافأ الفرص وتعم العدالة، على أن تكون مصلحة الوطن وسلامته وأمنه هي رأس الأمر وغاية الغايات.

إخواني إن أهم سمات زماننا هذا سرعة التغيير وسرعة التقدم العلمي والتقني، سرعة تفوق الوهم وكما ترون فقد أصبح مجال التنافس بين الدول هو النمو الاقتصادي والتقدم العلمي فعلينا أن نهيىء أنفسنا لدخول حلبة المنافسة واضعين في اعتبارنا أن لغة العلم المادي قاسم مشترك بين بني آدم أجمعين إذ سخر الله تبارك وتعالى لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، كما نطق بذلك القرآن الكريم، فالعقائد والعبادات والأعراف والتقاليد والعادات مواريث حضارية وثقافية تمثل لدى كل شعب قوة دافعة وقوة صامدة، وعلامة على الذات إذا فقدت لم يبق إلا الهامشية أو التبعية فلتكن قضية بناء الإنسان الكويتي القادر على الالتحام في عصرنا هذا على أسس من دينه، وعروبته وتقاليده هي القضية المركزية التي تدور حولها انطلاقاً منها وعوداً إليها قضايانا الأساسية الأخرى وبناء الإنسان عملية مركبة شديدة التعقيد طويلة طوال عمر الفرد، مواكبة لجميع أطوار حياته، ثم هي ممتدة على تعاقب الأجيال، ولذلك فإن قضايا الأسرة والطفولة والشباب والتربية والتعليم قضايا أساسية تمثل العمد الثابتة لبناء يعلو ويتسع، ومن ثم فهي قضايا تقبل الاجتهاد في الوسائل ولا تقبل المزايدة على الأصول. طريق علاجها العلم والخبرة والدراسة والأناة والتخطيط والتجريب، مع الوضوح التام للغايات والأهداف.

قيمنا المقدسة

إخواني... إذا كان حديثنا جميعاً في هذه الفترة يدور حول الوضع الاقتصادي، والأمن الداخلي والخارجي فلنتذكر انها قضايا لا ينفرد بها أحد مسؤولية وعلاجاً، لأن النسيج الوطني فكراً وعملاً وصدقاً في الانتماء متلاحم لا ينفصل يتم التأثير والتأثر في داخله، كما يحدث تماماً في الجسد الآدمي، عافية الأعضاء عافيته وسقم الأعضاء سقمه، فهذه القضايا شديدة الصلة بقضايا أخرى مرتبطة معها، فعلينا جميعاً أن ندرسها باحثين عن الطرق المثلى لعلاجها، كيف نعيد للعمل قيمته المقدسة ومكانه الأشرف والأكرم بين وسائل الكسب؟ كيف نغير النمط الترفي في المعيشة إلى نمط الاعتدال الذي يوفر على الإنسان كرامته ويحفظه من ذل الحاجة وغلبة الدين؟

كيف نعالج ظاهرة التسابق على زخرف الدنيا والتهالك على متع الحياة طلباً للتفاخر والخيلاء مما يشعل الأحقاد والحسد في الصدور ويلقي العداوة والبغضاء في النفوس؟ كيف ننمي الاتجاهات المرغوبة ونصل بها إلى أقصى ما نستطيع ونحاصر السلبيات علاجاً وردعاً إلى أبعد مدى؟

وكيف نصوغ عمليات معنى الوحدة الوطنية في ظل مفهوم الأخوة الإسلامي الذي جاء بالحديث النبوي «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»؟ كيف ينتقل الولاء للوطن من كونه شعارا إلى سلوك ملموس يؤثر الوطن الذي هو الوجود الدائم والحصن الآمن؟ هذا إلى عشرات الأسئلة التي تضع كل كويتي أمام مسؤوليته وأمام الأمانة الموكلة إليه.

إخواني.. إن النقد أول طريق الإصلاح شريطة أن يكون نقداً لا اتهاماً وإنارة لا إثارة وإضاءة لا فضحاً وعلاجاً لا تجريحاً، وأهم أخلاقيات النقد ألا يكون ستاراً يتخفى وراءه صاحبه كي يشغل الآخرين عن عيب نفسه أو ليهيج الفتن أو ليلفت وجوه الناس إليه.

وأهم أركان النقد أن يبرز المحاسن كما يبرز المساوىء، سواء بسواء حتى تعم المحاسن وتزداد وتتلاشى المساوىء أو تكاد.

إن الحماس وقود يمد الإرادة بحرارة الاستمرار، ولكنها إذا غاب عنها الوعي والحكمة ودقة التخطيط صارت حركة ملتهبة مبعثرة الاتجاهات قصاراها - إن لم تنقلب على أصحابها - أن تكون طاقة مهدرة وجهداً ضائعاً.

إننا بحاجة ماسة إلى أن نتعلم ترتيب الأولويات حتى لا ننشغل بالأصغر عن الأكبر وبالهين عن الأهم.

طريق الصلاح

إن منتهى ما نصبو إليه أن نكون مجتهدين نوظف عملنا وخبرتنا لرسم طريق الإصلاح وليس يُعرف اجتهاد البشر المطلق ولكنه بذل أقصى الجهد في حدود الطاقة البشرية.

ومن هنا فليس الاجتهاد حكراً على أحد فلا ينقض اجتهاد اجتهاداً إلا بالدليل والحجة.

إن اختلاف مواقعنا تكامل في الأداء يصب

لصالح الوطن والمجتمع كله فإذا اختل هذا المفهوم أو هذه البدهية كان الثمن غالياً باهظاً فمن أقسى ما تصاب به أمة أن يكون بأسها بينها، وأن يكون عداؤها من أنفسها.
إن الديمقراطية التي عاشتها الكويت على طول تاريخها والتي نعيشها كسب كبير إن حفظناه نقيا حفظ علينا وحدتنا وسبيلنا في التقدم.
فالديموقراطية أخذ بنظام الشورى التي تعتمد على ضمانات الحرية في حوار المشكلات لبلوغ الرأي الأقوم الذي تراه الأغلبية ولم يقل أحد قط إن ضمانات حرية الحوار تعني العدوان على قيمنا الأخلاقية وأعرافنا الكويتية.
لم يقل أحد إن نيل الآخرين بالأذى والسب والتطاول عليهم والغض من كرامتهم هو غاية الديموقراطية.
لم يقل أحد إن كشف أسرارنا وعرض خصوصيات الكويت وأمنها وسلامتها على الملأ من مقاصد الديمقراطية.
إن الدول التي تبذل الكثير من الجهود والأموال للاحتفاظ بأسرارها لأنها من حصون أمنها مع محاولة الحصول على ما تستطيع من أسرار الدول الأخرى لأن هذه الأسرار لا تقدر بثمن في مقايضات السياسة وتشكيل العلاقات.
أما نحن فنتطوع بل نتنافس في كشف أسرارنا وهتك أستارنا، بل إن البعض يعتبر نفسه بطلاً بمقدار ما يقدم من أسرارنا ويفشي من خصوصياتنا، مما يضعفنا أمام العدو ويحرجنا أمام الصديق.
إن حواراتنا بحاجة إلى الحكمة أي الفهم والعلم وإصابة الحق وبحاجة إلى طيب الكلام ونزاهة القصد، فالكلمة الطيبة العفيفة مفتاح القلوب والطريق إلى النفوس بينما البذاء يوغر الصدور ويغرس البغضاء.
وكفى البذاء شؤماً أن يكون من أخلاق النفاق، كما صح في الحديث الشريف وهذا كتاب ربنا عز وجل يقول (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» ويقول «إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله».

الالتزام بالقوانين

إخواني...
إن رقي المجتمعات يقاس بمقدار التزامها بالقوانين التزاماً أخلاقياً منبعثاً من ضمائرها ويقينها بأن هذه القوانين هدفها حفظ الحقوق وضبط النظام وحماية الفرد والمجتمع، وقد جاءت القوانين التي صدرت بموافقة السلطتين التشريعية والتنفيذية استجابة لصالح مجتمعنا فمن اعتدى عليها بالتخطي والمخالفة فقد ظلم نفسه وظلم الآخرين، وإذا كثر هذا التخطي انقلب الحال إلى فوضى شاملة يعم ضررها الجميع.
وأبشع مخالفات القوانين ما يرتكبه مشرعوها ومنفذوها لما يسببه ذلك من فقدان الثقة والقدوة غير الصالحة للمواطنين فعلينا أن نغرس في نفوسنا جميعاً احترام القانون واعتبار احترامنا له خلقاً رفيعاً وسمة حضارية.
إخواني...
إنه من الاهمية بمكان كبير أن تتضح الحدود بلا لبس ولا اشتباه بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، حتى لا يستمر ما يحدث الآن من تداخل بين السلطات، وما يترتب على ذلك من التعدي والخلط والارتباك مما يدعو إلى إيجاد صيغة تتفق عليها السلطتان لوضع الحدود الفاصلة بينهما ضماناً لسلاسة الحركة ومجال الحوار ووصولاً إلى النتائج المطلوبة في جو من الصفاء والهدوء والموضوعية.

وجودنا الخليجي

إخواني...
إن وجودنا الخليجي في إطار مجلس التعاون، هو أول حصوننا فلنحفظه قوياً متآزراً ولندفع عنه دواعي الفرقة بكل سبيل.
كما أن وجودنا العربي وانتماءنا الإسلامي امتداد لتاريخ طويل لا ينسى ولا تتزعزع دعائمه، وحرصنا على كويت قوي عزيز محصن بروابطنا واتفاقاتنا وصداقتنا الدولية، هو حقنا بل واجبنا الطبيعي كما هو حق لجميع الدول.إننا دائماً نذكر شهداءنا الأبرار اعتزازاً بما قدموا لوطنهم داعين الله سبحانه أن يجعلهم في أعلى درجات الجنة.
وإن قضية أسرانا لم تغب عن بالنا طرفة عين لأنها في عمق قلوبنا تؤرق مشاعرنا من أجل من يتعذبون بالوحشة خارج وطننا ومن يتعذبون بالفقد داخل وطننا فلنواصل جهودنا دون ملل أو يأس حتى يعودوا إلينا إن شاء الله سالمين.
إخواني..
قبل أن أختم كلمتي أود أن أتطرق لموضوع يثار بين حين وآخر، وهو فصل رئاسة مجلس الوزراء عن ولاية العهد، وكلنا نعلم أن هذا الموضوع حق للأمير وحده بنص الدستور ومن صلب سلطاته الدستورية، وهو صاحب الحق فيما يراه صالحاً في هذا الشأن.
إخواني..
إن طول الطريق التي تنتظركم ووعورتها لن تحول بعون الله بين عزائمكم ووطنيتكم وخبراتكم وبين مواصلة المسير لصالح وطننا العزيز وشعبه الكريم، فسيروا على بركة الله موفقين مهتدين بنداء الحق سبحانه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط).
صدق الله العظيم
والسلام عليكم



> «الاجتهاد ليس حكراً على أحد، فلا ينقض اجتهاد اجتهاداً إلا بالدليل والحجة»

الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في الأمانة ينظم مهرجان كاظمة للتراث الإسلامي

ندوات اسلامية

كتب - تمام أحمد:

تحقيقاً لأهداف الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في ربط ماضي هذه الأمة بحاضرها ومستقبلها،و من خلال استنفار كل وسائل الثقافة والفكر وتفجير كوامن الإبداع في عقول المفكرين والمثقفين، وصياغتهم صياغة إسلامية راقية لتقديمها للآخرين في قالب إسلامي جديد معاصر فقد نظم الصندوق خلال الفترة ما بين ١٤ ــ ١٧ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ الموافق ٢٦ ــ ٢٩ أكتوبر ١٩٩٦م مهرجان كاظمة للتراث الإسلامي في محاولة جادة لترسيخ مفردات الثقافة الإسلامية وقيمها الخالدة في المسيرة الحضارية الإسلامية المعاصرة.

تظاهرة ثقافية

كان حفل افتتاح المهرجان الذي رعاه وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ ضيف الله شرار وحضره وزير التربية وزير التعليم العالي د. عبدالله غنيم ولفيف كبير من المهتمين بشؤون الفكر والثقافة من داخل الكويت وخارجها تظاهرة فكرية رائعة نابضة بالعراقة والأصالة قال عنها راعي الاحتفال وزير العدل وزير الأوقاف بأنها فرصة لتسليط الضوء على تاريخ كاظمة وعلى ضرورة أن يتصل أفراد الشعب الكويتي بتاريخهم القديم وتراثهم الإسلامي الثري بالعطاء الثقافي والفكري.

بينما قال الدكتور عبدالله الغنيم وزير التربية وزير التعليم العالي رئيس مجلس إدارة الصندوق الوقفي للثقافة والفكر. إن هذا المهرجان فتح نافذة حية على تراثنا ليطلع من خلالها الجيل على كنوز ماضيه وكنوز أجداده منوهاً بأن تنظيم مثل هذا المهرجان الذي سيتواصل مستقبلاً بفعاليات ومواضيع جديدة قد ساهم في التعريف بما تحتويه المنطقة الكويتية من آثار ومعالم تستحق أن توثق واوضح أن الصندوق يسعى من خلال مهرجان كاظمة لإبراز روائع الفن الإسلامي في الأدب والشعر والثقافة.



● جانب من احد ندوات المهرجان

بداية خير لانطلاقة الأصالة

من جانبه أكد نائب رئيس مجلس إدارة الصندوق الوقفي للثقافة والفكر الدكتور عبدالله الشيخ في حفل الافتتاح أن الصندوق الوقفي يأمل في أن يحقق المهرجان أهدافه المرسومة من خلال إبراز روائع الفن الإسلامي وتشجيع أصحاب المواهب الثقافية والبحث العلمي وأن يكون بداية خير لانطلاقة تعيد لنا أصالتنا ومكانتنا في عالم الأدب والشعر والثقافة فيما أكد مدير الصندوق الوقفي للثقافة والفكر الأستاذ أياد الشارخ أن تنظيم الصندوق للمهرجان يعد الأول من نوعه على صعيد العالم الإسلامي برمته وقال إن اختيار كاظمة اسماً للمهرجان يعود لما تمتلكه كاظمة من عمق تاريخي وعربي وتراث أدبي وبطولات إسلامية غيرت مجرى تاريخ المنطقة فضلاً عن العلاقة المباشرة لكاظمة بتراث وتاريخ الأمة العربية والإسلامية.

فيلم تسجيلي

وعقب حفل الافتتاح شاهد الحضور عرضاً سينمائياً للفيلم التسجيلي «كاظمة حنين الحاضر إلى الماضي» وهو فيلم تعريفي بأرض كاظمة العزيزة أعده الصندوق إحياء لتاريخها وتواصلاً مع الأجيال وروحاً جديدة تبعث في جزء من تاريخنا للتثقيف والتعريف بأصالة هذا الوطن وتراث شعبه الموغل في التاريخ وجوداً وحدوداً وتعرض الفيلم إلى تاريخ المنطقة وأهم الأحداث التي جرت فيها والقبائل العربية التي سكنتها والشعراء الذين فاضوا فيها شعراً وحباً.

ثم قام وزير العدل وزير الأوقاف بالتجول في أرجاء المعرض العالمي للخط العربي ومعرض العمارة الإسلامية اللذين أقيما على هامش مهرجان كاظمة للتراث الإسلامي. وأبدى إعجابه بما شاهده من روائع قدمها نخبة من مبدعي الخط العربي في العلم حيث البسوه



● جانب من الحضور

فعاليات المهرجان

وعلى مدار أيام المهرجان تحدث الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي المعروف في محاضرة له عن «الإسلام والفنون» فأوضح موقف الإسلام من الفنون الجميلة مشيراً إلى أن تلك القضية بحاجة إلى توصيف لطبيعتها وأكد أن الفن مهارة من المهارات الإنسانية وإبداع يتعلق بالنفس والوجدان واستشعار الجمال في هذا الكون مشيراً إلى ضرورة اقتران تلك المهارة بالأخلاق لأن الجمال شقيق الأخلاق ،وانتقد الفنون التي خرجت باسم الحرية عن نطاق الأخلاق وطالب بفن يصوغ إنسان الحماسة وإنسان المجابهة وإنسان التحديات التي تريد أن تقتلع الأمة من جذورها ،وعن الموقف القرآني من تنمية الحاسة الجمالية أشار الدكتور عمارة إلى أن القرآن الكريم يعلمنا ضرورة أن تكون في حياتنا الدنيا زينة ،وهو في الوقت نفسه يؤكد على ضرورة عدم تحول الحياة بمجملها إلى زينة حتى لا تتحول حياتنا إلى رخاوة وتابع الدكتور عمارة الحديث فانتقل إلى موضوع التصوير وبين انه وردت فيه أحاديث كثيرة في حرمته فأشار بأنه لدى جمعه لأغلب الأحاديث التي ورد فيها مصطلح الصورة والتصوير وجد أن الصورة هي تمثال الصنم المعبود وليست الصورة التي نتحدث الآن عنها عندما نتكلم عن التشكيل أو الصورة فكل صورة فيها مظنة للشرك أو منها خدش يصيب عقيدة التوحيد، فهي محّرمة أما إذا لم تكن كذلك فإن علة التحريم لم تعد قائمة وأكد أن المهارات الفنية هي مهارات حياتية وليست شعائر تعبدية موضحاً أنها تتطلب عدم مخالفة ما جاء به الوحي ونطق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما تتطلب بأن يكون لها غايات جمالية وأخلاقية فضلاً عن الوسائل الكفيلة بصياغة وتكوين الإنسان المسلم القادر على حماية الدين ومواجهه التحديات الشرسة، ومن جهة أخرى عقب الوكيل المساعد لشؤون الصحافة والإعلام في وزارة الإعلام الشيخ سلمان الصباح على محاضرة الدكتور عمارة فاكد أن الفنون بشكل عام هي ضمير الناس ووسيلة لإقناعهم على أن تكون في مكان الأخلاق وأن للأخلاق أولويات تختلف من شعب لآخر ومن أمة إلى أخرى واعتبر أن الجدل القائم حول التصوير والصور قائم وأننا أمام ظاهرة متكررة أشبه ما تكون بظاهرة القوس ودعا الوكيل المساعد لشؤون الإعلام إلى فتح باب التجريب أمام كل فنان مسلم مطالباً الفنان المسلم بأن تكون له الجرأة التي تميز بها أجداده من الفنانين المسلمين الأوائل حين استخدموا الرياضيات في النقوش فضلاً عن التنوع في الخطوط والأشكال الفنية الهندسية وأكد أن يكون ذلك في إطار فقهي واضح يضمن الاستمرار، على الطريق السليم.

العزوف عن الشعر مشكلة قائمة

من جانبه حذر الدكتور أحمد التويجري المدير العام للدار العالمية للاستشارات التربوية في السعودية في اليوم الثاني من أيام المهرجان من ظاهرة استمرار العزوف عن الشعر من قبل علمائنا المسلمين بشكل خاص والأفراد بشكل عام وراجع أسباب هذا العزوف إلى الأشكال والجدل الفقهي الذي ثار حول ما ورد في كتاب الله والشعراء «يتبعهم الغاوون» منوهاً بأن الله استثنى من هذا الوصف الذين آمنوا الأمر الذي يبين أن الحقيقة القرآنية زادت التنفير من الزور والباطل الذي قد يرد في الشعر وليس من مطلق الشعراء والأدب وعرج على الموقع المميز الذي يتمتع به الأدب والشعر في حضارتنا وذكر أن لغتنا الأدبية رغم تأثرها بالقرآن الكريم والحديث الشريف والرسالة الاسلامية بشكل عام إلا أن ذلك التأثير اقتصر على الجانب اللغوي فقط ولم يشمل الجانب الدلالي وبين الدكتور التويجري أهمية الأدب والشعر واسهامهما في تنمية الذوق والحس الجماهيري كما أكد أن الأدب يسهم في تحقيق غايات الوجود الإنساني وينمي ملكات الفرد الفكرية واللغوية والذوقية ولا يعارض قيم الإنسان.

وفي تعقيب للشيخ محمد العوضي على محاضرة التويجري قال الشيخ العوضي: إن هناك ميلاً لدى الإنسان باتجاه اللغة الأدبية وتقديمها على اللغة الرتيبة بسبب طبيعة الإنسان المركبة على تذوق الجمال واستحسان الأمر المتناسق وأكد أن من انتشرت كتاباتهم بغض النظر عن انتماءاتهم هم الذين امتلكوا أساليب وفنوناً في البنيان مشيراً إلى أن القرآن الكريم راعى هذا الجانب الأدبي من خلال أحكامه وتشريعاته كما راعى موقع الأدب والشعر في الثقافة الإسلامية وحذر من أن عدم تدارك موقع الشعر في الثقافة الإسلامية سيؤدي إلى بروز أدب الحداثة الذي سيسطح أفكار الشباب ويفرز آثاراً سلبية نحن في غنى عنها.

هذا وقد اختتم المؤتمر بندوتين حاضر في الأولى الأستاذ الدكتور صالح لمعي والدكتور خالد المقرن حول العمارة الإسلامية والدور المنشود الندوة الثانية حول مستقبل الخط العربي في ظل التقدم التكنولوجي شارك فيها مجموعة من الخطاطين والشركات العالمية وهم محمد زكريا — أمريكا، فؤاد هوندا - اليابان، محمد رسولي - إيران، مسعد خضير - مصر ، محمد أوزجاي — تركي،ا فاطمة اوزجاي - تركيا أعقبها أمسية شعرية رائعة للشاعر الكبير محمد التهامي والشاعر الدكتور أحمد التويجري ثم جرى تكريم الإخوة المشاركين في المهرجان كما جرى تكريم الفائزين في مسابقة البحوث العلمية.■

تأملات في

رؤية اسلامية

معجزة الإسراء والمعراج، كانت حدثاً عظيماً في تاريخ الدعوة الإسلامية. فهي في صورتها تودع في النفس حقيقة الإيمان فتجعل الإنسان أمام حقيقية واضحة في شموخ مبني وكأنه القلاع الراسخة عبر الزمان. إنها الصورة التي تختزل الأحداث لتضع صورة الإيمان في متناول العين المجردة. إنها البدايات والحوافز التي تدفع الإنسان المؤمن لينساق وراء الشعور فيدخل إلى الحقيقة. حقيقة الإيمان وعمق التجربة فينساق وراء التاريخ الذي لن يزول إلى الأبد هكذا بدأت رحلة الإسراء والمعراج وستبقى صورتها خالدة في أذهان المؤمنين وإلى الأبد ونرجو أن تكون خبرة وعبرة إلى من ألقى السمع وهو شهيد.

وقع الإسراء والمعراج قبل الهجرة بعام على الراجح، وقد استطاع - صلى الله عليه وسلم - خلال الفترة الممتدة من بعثته إلى هذا التاريخ استقطاب كل العناصر الصالحة المستعدة للتضحية والبذل والعطاء من أهل مكة، وإعداد هؤلاء إعداداً يؤهلهم إلى حمل دين الله، وإبلاغه في العالمين، وحمايته بالنفس والنفيس الذي بيده مقاليد السموات والأرض، والذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

د. السيد محمد نوح:

كما يرجع الفضل في ذلك إلى نشاطه - صلى الله عليه وسلم — وجده واجتهاده وحكمته في الدعوة والبلاغ والتربية والإعداد، وحسن صلته بالله على الدوام ثم الصبر والتحمل.

وكان للمحن المتتابعة التي امتحن بها هو وصحبه، والتي ختمت بأشد يوم في حياته، ألا وهو يوم الطائف، حيث لم يتمكن من دخول مكة إلا في حماية رجل مشرك هو المطعم بن عدي وإصراره على المضي في الطريق إلى نهايتها، وليكن ما يكون، كما كان لها أعظم الأثر في صقل نفوس المسلمين من أصحابه ودفعهم إلى الدخول في كنف الله، والاحتماء بحماه الآمن باستمرار كي يحفظهم من هذه المحن، أو يخففها عنهم، أو يسكب الأمان والطمأنينة في صدورهم، مع النشاط في الدعوة والبلاغ، والصبر والتحمل، صحيح أدت شدة هذه المحن مع استمرارها إلى الخوف أن يكون ذلك غضباً، وانتقاماً من الله لذنوب وآثام وهم حريصون كل الحرص على رضوان الله حتى كانت المناجاة «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي»، لكنها من وجه آخر أثمرت ثماراً يانعة على النحو الذي ذكر آنفاً..

والأمر بعد ذلك بات يؤذن، بأن المسلمين مقبلون مع نبيهم على مرحلة جديدة من مراحل التمكين لدين الله في الأرض، ولا

> رحلة الإسراء والمعراج سكبت الأمان والطمأنينة في نفس محمد والصحابة وحفزتهم على الصبر والمثابرة.

بد أن يعي هؤلاء ابعاد، ومعالم هذه المرحلة وما فيها من عقبات ومعوقات، وما يلزمها من زاد، وأهبة، واستعداد.

فكانت رحلة الإسراء والمعراج: حيث نقل الله - عز وجل - نبيه يصحبه الروح الأمين جبريل، وميكائيل - عليهما السلام — بروحه وجسده في ليلة واحدة من المسجد الحرام في مكة، إلى المسجد الأقصى في فلسطين ثم عرج به إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى، إلى حيث سجد تحت العرش، وكلمه ربه، وأكرمه بما أكرمه به من المنح والعطاء ثم أعاده إلى بيت المقدس مرة أخرى ثم إلى داره في مكة، وقد وضحت أمامه الطريق بكل أبعادها، ومعالمها، بعقباتها ومعوقاتها، بزادها وأهبتها وعليه أن يكشف ذلك لأصحابه. ليجمعوا همتهم وليترابطوا أكثر فيما بينهم، وليضاعفوا من نشاطهم، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً وقد كان. ويطيب لنا أن نضع النقط على الحروف في هذه التأملات حول:

١ — أبعاد ومعالم الطريق كما كشفت عنها رحلة الإسراء والمعراج.

٢ — عقبات ومعوقات الطريق كما صورتها رحلة الإسراء والمعراج.

٣ - زاد وأهبة الطريق كما بينتها رحلة الإسراء والمعراج.

ودونك البيان

أولاً: أبعاد ومعالم الطريق كما كشفت عنها رحلة الإسراء والمعراج كثيرة، ونذكر منها: -

١ - إن دار الانطلاق بهذا الدين، وإبلاغه في العالمين، وحمايته بالغالي والنفيس إنما هي، طيبة «المدينة المنورة» إذ لما بلغ في سيره مع جبريل وميكائيل أرضاً ذات نخل، قال له جبريل: أنزل فصلِّ ههنا، ففعل، ثم ركب. فقال له جبريل: أتدري أين صليت قال: «لا». قال: صليت بطيبة وإليها المهاجر.

وهذا يعني أن تكون العناية، والتركيز في الدعوة على أهل المدينة وأول ما تتاح الفرصة للانتقال إليها ينبغي اهتبالها وعدم تضييعها إذ أهلها أهل ثقة، وأمان، وهي بطبيعتها وجغرافيتها دار منعة وحماية ولقد وعى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك ــ فصرف كثيراً من وقته وجهده نحو الأوس والخزرج بعد أن لاحت منهم بوادر الاستجابة. والصدق، حيث أرسل إليهم مصعب بن عمير داعية ومعلماً ومربياً، وعبدالله بن أم مكتوم الأعمى مقرئاً وإماماً، ولما جاءوا للحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة وطلبوا إليه أن يلتقي بهم أجاب، وحين التقى بهم طلبوا إليه أن يهاجر إليهم، ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم، ونساءهم، وذراريهم فقبل منهم بعد أن استوثق له عمه العباس بن عبدالمطلب، ثم هاجر إليهم وهذا المَعْلَم إنما هو دعوة للمسلمين على مراحل الزمان كله، أن يعطوا العناصر المستعدة للتضحية والبذل والعطاء وكذلك البلاد والمواقع ذات الحصانة الجغرافية والحماية الطبيعية مزيداً من العناية، والرعاية، والاهتمام، فإنها إن صحت للمسلمين وفرت عليهم الجهد، والوقت، وفتحت أمامهم الطريق للاهتمام بباقي البلدان، والمواقع.

٢ ـ وأن رسالته ــ صلى الله عليه وسلم ـ سيمكّن لها، وستمتد حتى تبلغ الأرض الطيبة المباركة في فلسطين، بل تبلغ المشارق والمغارب، حيث كانت الرحلة إلى بيت المقدس في فلسطين مباشرة من مكة، ولما انتهى إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة قيل له ــ صلى الله عليه وسلم ــ: «هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمّتك خلا على سبيلك ــ أي مضى على طريقك وسنتك ـ وإذا أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: «أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»(١).

والمغزى من ذلك أن رسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ سيمكّن لها في أرض فلسطين، بل وفي الأرض بين النيل والفرات وما حولهما، وعليه ــ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه، وأمته من بعده مهمة ضخمة، وواجب كبير في العمل من أجل إقرار الإسلام في هذه الأماكن، وحمايته من أن يعبث به العابثون، ويتطاول عليه المتطاولون.

٣ ـ وأنه قد حان الوقت عملياً لنزع إمامة وقيادة البشرية من أيدي أهل الكتاب حيث حرّفوا وغيّروا وبدّلوا في الوحي المنزل ثم تسليم هذه الإمامة، وتلك القيادة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه وأمته من بعده. إذ لما وصل بيت المقدس بصحبة جبريل أذّن مؤذن، وأقيمتْ الصلاة، فقاموا ينتظرون مَنْ يؤمّهم، فأخذ جبريل بيده فقدّمه، فصلّى بهم ركعتين .... الحديث»(٢)

وكان ذلك إيذاناً بإمامته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقديمه على الأنبياء والمرسلين، وقيام أمته من بعده بهذا الدور بصورة عملية بعد أن جاءت الآيات بذلك نظرياً، إذ يقول الحق سبحانه وتعالى:

(ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الحج ـ ٧٨.

ثانياً عقبات ومعوّقات الطريق كما صورتها رحلة الإسراء والمعراج

وأما عقبات ومعوقات الطريق كما صورتها رحلة الإسراء والمعراج فكثيرة أيضاً ونذكر منها:

١ ـ شيطان الجن القاعد لبني آدم بكل طريق إذ جاء في حديث الإسراء «وبينما هو ـ صلى الله عليه وسلم ــ يسير على البراق إذ رأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة مِنْ نار، كلما التفت رآه .... الحديث(٣)، فكان ذلك تجسيداً عملياً لأخطر عقبة في حياة الناس، وأن هذا الشيطان يلاحق الإنسان في كل بيئة وزمان، ولا يتركه إلا بالموت، وعلى محمد وصحبه، وأمته أن يستعدوا، وأن يأخذوا من الزاد ما يمكنهم من المواجهة والانتصار على هذا العدو الخبيث.

٢ ـ المعصية بكل صورها من: التثاقل عن الصلاة، ومن تضييع الزكوات والصدقات، ومن الزنا، ومن قطع الطريق، ومن أكل الربا ومن خيانة الأمانات، ومن مخالفة الأفعال للأقوال، ومن الغيبة وغيرها، إذ جاء في حديث الإسراء.

«ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادتْ كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: يا جبريل ما هؤلاء؟ فقال: هم الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم، على إقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع، والزّقوم، ورضف جهنم وحجارتها، فقال: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدُّون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً. وأتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور ولحم آخر نيّء خبيث، فجعلوا يأكلون من النيّء الخبيث، ويدعون النضيج، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب. فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي رجلاً خبيثاً، فتبيت معه حتى تصبح.

ثم أتى على خشبة على الطريق، لا يمر بها ثوب، ولا شيء إلا خرقته فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق، فيقطعونه وتلا: (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله).

ورأى رجلاً يسبح في نهر من دم يُلْقَم الحجارة، فقال: مَنْ هذا؟ قال: آكل الربا.

وأتى على قوم قد جمع الرجل منه حزْمةً عظيمة لا يستطيع حَمْلَها وهو يزيد عليها،

الوصول إلى سدرة المنتهى والسجود تحت العرش أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة لم يحظ بها مخلوق سابق.

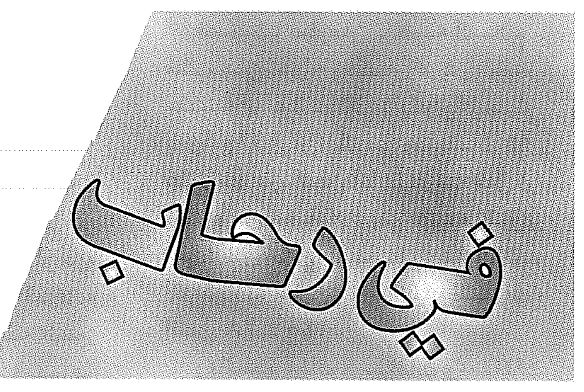
فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس، لا يقدر على أدائها، وهو يريد أن يتحمل عليها.
ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم، وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عاد، لا يفتر عنهم مِنْ ذلك شيء، فقال: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ هؤلاء خطباء الفتنة من أمتك، يقولون ما لا يفعلون ومرَّ بقوم لهم أظفار مِنْ نحاس، يخمشون وجوههم، وصدورهم فقال: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويَقَعُون في أعراضهم.
وأتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردها أجل: إن المعصية المتمثلة في هذه الصور التي جاء بها الحديث وغيرها تعد من أخطر عقبات، ومعوّقات الطريق، إذ هي تكون سبباً في القلق والاضطراب، وفي الخوف والرعب، وفي العلل والأمراض البدنية المستعصية على العلاج من السرطان والأيدز وحب الشباب ونحوها، مع نزع البركة من الأرزاق، والأعمار، ومع كثرة الكوارث والمصائب، والحروب الأهلية، وتمكن الأعداء من رقاب الناس.
٣ ـ الدنيا بزخارفها، وزيناتها، ببريقها، وزهرتها. إذ جاء في حديث الإسراء أيضاً: «وبينما هو يسير إذا بامرأة حاسرة عن ذراعها، وعليها من كل زينة خلقها الله ـ تعالى ـ فقالت يا محمد انظرني أسألك فلم يلتفت إليها، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: تلك الدنيا، أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة»(٤).
حقاً: إن الدنيا ممثلة في الأموال والنساء لهي أعظم عقبة ، وأكبر معوق في طريق الناس، حتى جاء عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: «اتقوا الدنيا والنساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في الدنيا والنساء»(٥).

ثالثاً: زاد وأهبة الطريق كما بينتها رحلة الإسراء والمعراج:
وبعد ذلك كان زاد وأهبة الطريق، ويتمثل ذلك في:
١ ـ ذكر الله عموماً والصلاة على وجه الخصوص، إذ يقول الله تعالى: (أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر......) العنكبوت ـ ٤٥، ويكرم الله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الليلة، فيمنحه أعظم هدية ، ألا وهي الصلاة حيث فرض عليه خمس صلوات في اليوم والليلة ـ، وجعلها خمسين صلاة في الأجر والثواب، كما خفف عن أمته فيما يتصل بحديث النفس، وما يجول في الخاطر، ما دامت لم تتكلم أو تعمل به، وكذلك مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتك دخل الجنة أو مَنْ مات يشرك بالله شيئاً دخل النار، وعلم جبريل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يقول عندما يقتحم عليه الشيطان حياته. إذا قال:
«ألا أعلمك كلمات تقولهن، فإذا قلتهن طفئت شعلته وخرّ لفيه؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «بلى» قال: جبريل: قل: «أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر مِنْ شرِّ ما ينزل من السّماء ومِنْ شرِّ ما يعرج فيها، ومِنْ شرِّ ما ذرأ في الأرض، ومِنْ شرِّ ما يخرج منها، ومِنْ شرّ فتن الليل والنهار ومِنْ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن».... الحديث(٦)
٢ ـ المجاهدة للنفس والشياطين والدنيا بالمخالفة وعدم الاستجابة مع تذكر أن الدنيا قد آذنتْ بالانتهاء والرحيل.
ذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما عرضت له الدنيا وإبليس لم يلتفت إليهما، وكان عدم التفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهما سبيل النجاة من شرورهما، بل إنه وهو سائر فوجيء بعجوز على جانب الطريق تقول: يا محمد انظرني أسألك، فلم يلتفت إليها فقال: مَنْ هذه يا جبريل؟ قال: إنه لم يبق من الدنيا إلا ما بقى من عمر هذه العجوز.(٧)
٣ ـ معايشة الأنبياء والمرسلين في قصصهم وسيرهم فإن ذلك إعانة وتثبيت، إذ يقول سبحانه: (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك.....) هود ـ ١٢٠. ولقد تأكد هذا الزاد من رؤيته ـ صلى الله عليه وسلم للأنبياء والمرسلين في بيت المقدس في فلسطين، وفي السموات العلا، حيث قضى معهم بعض الوقت، فسرّى عنه، وانشرح صدره، وهدأتْ نفسه، وعاد يواصل الجهاد حتى تمّتْ كلمة ربه الحسنى، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.
تلكم تأملات في الإسراء والمعراج، نسأل الله أن يباركها وأن ينفع وأن يثقِّل بها موازيننا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم، هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. ■

صلاة الرسول في أرض فلسطين المباركة يعني أن دعوته ستبلغ مشارق الأرض ومغاربها.

الهوامش

(١)، (٢) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي ٣/ ١٢٠، ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ٣/ ١١٦.
(٤) انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ١١٧ ـ ١١٨.
(٥) انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ١١٩.
(٦) انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ١١٦.
(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه.
(٨) انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ١١٩.



مناسبات

لقد ذاع أمر حادثة الإسراء والمعراج، وتناول القرآن والسنة النبوية حديثهما، ولا مجال لنا في تفصيلهما... بيد أنه من الأحرى بنا أن نتلمس ما بهما من دروس، ونأخذ منهما ما فيهما من عظات وعبر ودروس مستفادة علماً وعملاً، ومنهجاً وسلوكاً حتى ينار لنا الطريق السوي، وترشدنا إلى سبيل الحق والخير وما يجب أن يكون...

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

ففي المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية، تعرض الرسول والمسلمون معه لألوان من التعذيب والتنكيل عديدة، وصور متنوعة ومبتكرة من الأذى والاضطهاد، وصنوف مختلفة من العنف والقساوة، بغية إخماد صوت الحق، في مجتمع علا فيه صوت الباطل، وتعمقت به جذور الشر.

آية الإسراء

فكانت آية الإسراء والمعراج وسط هذا الخضم المؤلم والمحزن، إشراقة أمل، وباعث عمل، وانطلاقة روح، ونبع طمأنينة... أوضحت الرؤية أمام الحبيب المصطفى — صلوات الله عليه — وأشعرته بأن الأرض إن غضبت عليه، فأبواب السماء قد تفتحت له، وإن صده وأهانه الناس، فقد أحبه وعظمه وكرمه رب الناس، وإن ضاقت عليه مكة بجوها الخانق، فقد فتح الكون كله ذراعيه مهللاً له ومرحباً به...

ومس الحادث فؤاد الرسول المعني، وزاده إيماناً ويقيناً، وعزماً وثباتاً، وتمسكاً بتبليغ رسالة ربه، وأداء الأمانة التي أنيطت به، مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة وما لاقى في سبيله من تعد وإجحاف، مادامت عناية الله تكلؤه وترعاه، وتشعره بأنه دوماً في كنف خالقه ومولاه.

رحلة الإسراء والمعراج كانت إشراقة أمل وانطلاقة روح ونبع طمأنينة وسط الأحداث المؤلمة للرسول في ذلك العام

وارتقى النبي صلى الله عليه وسلم - إلى منزلة لم يرق إليها أنس ولا جان ولا ملك: حتى أمين وحي السماء وحامل الرسالات إلى الأنبياء... جبريل عليه السلام - الذي عرف قدر نفسه ولم يتجاوز حده، وقال لرسولنا العظيم: تقدم أنت .. فأنت المطلوب، وأنت المحبوب.. فإنك لو تقدمت لاخترقت، وأنا لو تقدمت لاحترقت، وما منا إلا له مقام معلوم.

وكانت آية الإسراء والمعراج عقب ذلك كله، متوجة بكل المحن والفتن التي مرت بالأولين من المسلمين، وصدق رب العالمين، حيث يقول وهو أصدق القائلين: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الإسراء - ٦٠ حيث انقسم الناس بين مؤيد ومعارض، ومكذب ومصدق.

وانصهرت في بوتقة الحادث معادن المسلمين، وتكشف الغث من الثمين، وبان جيدها من زائفها، ووضح صالحها من طالحها.. فازداد الذين آمنوا إيماناً وتثبيتاً، وانحدر المرتابون إلى مهاوى الشك والظنون، ولم يبق صامداً إلا من صار أهلاً لتحمل المسؤولية، وكفئاً للقيام بالتبعة في صرحلة قادمة حاسمة هي مرحلة الصراع والكفاح التي بدأت بعد الهجرة إلى المدينة.

ولة

ـ عا

إ

ا

خ

الحو

من عنت الخصوم و... يهم.

وفي هـــذا درس عظيم لـــدعـــاة الإصـــلاح، وأصحاب الـرســالات، كي يجهـــروا بـالحق أينما وجـــدوه، ولا يتملقـوا بـه النــاس، ولا يتحسســوا مـواطن الـرضا والاستحسـان لـدى الآخرين إذا تعارضت مع كلمـة حق تقال، فالحق أحق أن يتبع.

ولعل أولئك الــذين أخـــذوا على عاتقهم مهمة الـدعوة إلى الله، وإرشاد النـــاس إلى الخير، وحثهم على أعمال البر، أن يتحـروا سبيل رســول اللــه الكريـم ـ في الجهر بـالحق، والتمسك بـه، والتضحية في سبيلـه، وعـدم بيع دينهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم.

كما أن حــادث الإسراء والمعــراج يـرشدنـا إلى أن الإنسـان المسلم كلما سما بروحـه، وصفت نفسـه.. رق له هذا الوجود، وانكشفت أسراره... وعلى النقيض من ذلك: كلما هوى إلى مزالق حيـوانيتـه، انحجبت عنـه الحقيقـة، وظهـرت الغيـوم كثيفة متلبـدة أمـام نـاظـريه، فيرى الصـور معكـوسـة، والحقـائق مقلوبـة، والمعالم مهتـزة، والثوابت مضطربة ومختلفة..

وإنـه لمن الميســور على المؤمن أن يكون لقلبه معـراج سماوي فوق هذه الدنيا... فوق تـرابها.. فوق حطامها.. فيقفِ ببصيرتـــه على أنـــوار الحق والحقيقـة، ويبصر من خــلال البصر والبصيرة المتفتحـان يشـاهـد جمال الخير، وتجسـد الأعمال الإنسانيـة في صورها الكريمة..

ومع الإيمان الصـــادق، واليقين الـراسخ، يستـــنير القلب، ويتـــفتح العقل... فإذا مـا أدرك الحـــق أقـره، وأذعـــن لـــه وصـــدقه ، دونمـا ريب أو تـــردد ، أوزيـغ أو تمرد ، إذ من

... من

ـ ٩ ـ

... على

... لمؤمن،

... قد قاله

... ـه الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أونهار فأصدقه، فهـذا أبعد مما تعجبون منه...

وجــــاء أبـــو بكـــر إلى الحبيب المصطفى ـــ وسمـع وصفـــه لبيت المقـدس فكـان يـرد مع كل وصف: صــدقت، وأشهد أنـك رسول اللــه... حتى قال لـه الرسـول بعد أن انتهى من وصف بيت المقدس: وأنت يـا أبا بكـر الصديق، فـلازمته تلك الصفـة منذ تلك الساعة...

ذلك لأن الذين لـديهم إدراك بقدرة ربنـا القـادر على كل شيء، وبطبيعـة النبـــوة المهيأة لخرق نـــواميس الطبيعـة، لا يستكثـــرون من الأمـــر شيئــاً، ولا يترددون أبــداً في وقـــوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد.

أما الذين حبســوا أنفسـهم، وقيدوا إيمانهم في حيـــز عقلهـم المحــدود، وفكـرهم القـــاصر، ووزنـــوا الأمــور بميزان قدرتهم، ولم يزنـوهـا بميزان قدرة اللـه، فأنكـروا الإسراء والمعراج بالروح والجسد.. فإلى هؤلاء نسوق مثلا مـن الذكر الحكيـم... علـه يهدي للتي هي أقوم، ويصحح لـدى هؤلاء المفاهيم...

> في هذا الحدث ارتقى الرسول منزلة لم ينزلها إنس ولا جان فزادته إيماناً ويقيناً وثباتاً وعزاً

فسيدنـا سليمان ـ عليـه السلام ـ طلب ممن حوله إحضار عرش بلقيس ملكـــة سبأ قـــائلاً: (أيكم يأتيـــني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفـريت من الجن أنا آتيك بـه قبل أن تقـوم من مقـامك وإني عليـه لقـوي أمين. قال الذي عنـده علم مـن الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طــرفك) النمل ٣٨ ـ ٤٠.

وبالطبع هناك مسـافات ومسافات بين مكـان سليمان ومملكـة سبأ. كما أنه جـاء في كتاب ربنـا الذي نصـدقه ونؤمن بما فيـه، أن الجن ـ وهم خلق من مخلـوقـات الله ـــ كـانت لـديهم القـدرة على الـوصـول إلى السماء، واستراق السمع من حـــوار الملائكـة، وسجل القـرآن على لسانهم في ســورة الجن قـــولهم: (وأنـــا لمسنـــا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً. وأنا كنا نقعد منهـا مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً. وأنّا لا نـــدري أشر أريـد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) الجن ٨ ـ ١٠.

وفي عصرنا الذي نعيشه، نلمس من حـــولنـــا قـــدرة الإنســان المخلـــوق الضعيف.. وقد ارتاد الفضاء، ووصل إلى ما وصل إليه... ومع كل يوم جديد، يتطلع إلى المزيـد.. فإذا كــانت قــدرة مخلـوقـات اللـه قــد وصلت إلى هــذا الحد... فبـأي عقـل وبـــأي منطـق.. يستكثر أحد وقـوع الإسراء أو المعراج بـالـروح والجســـد... مع أن الأصل فيهما أنهما معجـزة، والمعجـــزة أمـــر خارق للعادة، يظهره الله على يد نبي، تأييداً له في دعوتـه، ودليلاً على صدقه وصحة رسالته.

كما أن حـادثـــة الإسراء والمعـــراج تشير إلى الترابط الـوثيق بين الأمـــاكن المقدسـة، والترابط الوثيق بين شرائع الله... وآية ذلك: هـذا اللقاء الذي جمع الـــرســول بإخـــوانـــه من النبيين والمرسلين في بيت المقـدس، حيث أمّهم في صلاة جـامعـــة ـــ صلـوات ربي وسلامه عليهم أجمعين ـ ونبه رسولنا إلى ذلك في قـولـه: «مثلي ومثل الأنبيـاء من قبلي: كمثـل رجل بنـى بيتـــاً،

فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة لزاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة... فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». رواه البخاري.

ولقد تناولت الآية الأولى من سورة الإسراء رحلة الإسراء المباركة من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في فلسطين، ولعظمة الحديث سميت السورة بحديث الآية.. كما تناولت الآيات الأولى من سورة النجم ـ في إيجاز الحديث عن رحلة المعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثم جاءت السنة المطهرة فكشفت النقاب عن تفاصيل هاتين الرحلتين، ورد في ذلك روايات متعددة بأسانيد متنوعة، تقرر كلها هذه المعجزة وتؤكدها.

صفة العبودية

وأنه من الملاحظ أن رب العالمين قد ذكر نبيه الأمين في معرض التكريم موصوفاً بصفة تكررت في آية الإسراء وآيات المعراج، وهذه الصفة هي صفة العبودية، حيث قال في آية الإسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء ـ ١. وقال في آيات المعراج (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرّة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم ١ ـ ١٨.

وفي هذا إشارة ودلالة على أن العبودية لله شرف ما بعده شرف.. كما أن في التعبير بالعبودية إشارة ودلالة على وقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد، لأن كلمة «عبد» لا تطلق على الروح وحدها، وإنما تطلق على الجسم والروح معاً...

وفي لفظة التسبيح التي تفيد التنزيه والتقديس ـ والتي بدأت بها آية الإسراء ـ دلالة وإشارة إلى أن ما بعدها لا يصح أن يقاس بمقياس العبد، وإنما يجب أن يقاس بمقياس المعبود الذي إذا أردا شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.. وبهذا لا يتطرق إلى العقل دهشة أو استغراب لأن الإسراء في حقيقته هبة إلهية، ومنحة ربانية من رب العزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم..

ومع أن الأصل في كلمة الإسراء أن يكون ليلاً، إلا أن رب العالمين أكد ذلك بذكر الليل.. وفي هذا إشارة إلى أن القصة هي قصة النجم الإنساني العظيم المتألق... الذي يتألق في الظلمات هادياً ومرشداً وسراجاً منيراً... والذي بعث ليخرج الناس من الظلمات إلى النور... وأنه لما يساند هذا المعنى، أن قصة المعراج لم تذكر في القرآن إلا في سورة النجم إذا هوى في مقابلة النجم الصاعد للرسول وللرسالة.

وفي بدء رحلة الإسراء من المسجد الحرام وانتهائها بالمسجد الأقصى، وكلاهما من المساجد الثلاثة التي كرّمها الله سبحانه، وخصها بأنها لا تشد الرحال إلا إليها، وهي: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، إشارة إلى ما للمساجد من دور كبير في تحقيق معنى العبودية للملك المعبود، ومن هنا كانت الصلاة صلة بين العبد ومولاه.

> تصديق أبي بكر لكل ما قاله الرسول ووصفه في الرحلة دليل على صدق القائل، وصدق المستمع

وفي آية الإسراء.. جاء قول المولى سبحانه (لنريه من آياتنا). ولم يقل: ليرى من آياتنا ليكون في ذلك دلالة على أن رسول الله ـ حين رأى ما رأى من آيات ربه، لم يكن ذلك بقدرته البشرية، وإنما بقدرة أمده الله بها في تلك الرحلة المباركة، ليتمكن بها من رؤية ما أراد الله له أن يراه من أياته...

ومن ثم جاء في سورة النجم ـ ضمن الآيات التي تتحدث عن المعراج، قول رب العالمين جل جلاله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى).

فوصفت الآيات التي رآها رسول الله بأنها آيات كبرى لا يستطيع غيره أن يراها، ولا يستطيع محمد أن يراها إلا إذا أراه الله إياها....

وآيات المعراج التي بدأت بها سورة النجم، استهلها الله بالقسم بالنجم، والله سبحانه يقسم بما يشاء على ما يشاء، ولعل قسمه بالنجم وهو بصدد الكلام عن معجزة المعراج يشير في قوة إلى ما بعده، ويرتبط بما سبق من أجله أوثق ارتباط، فهو أشبه ما يكون بما يسمى في أعراف أهل البلاغة ببراعة الاستهلال، فما دام الصعود إلى العالم العلوي، فليكن القسم بالنجم إذا هوى.

وفي جواب القسم يأتي التركيز قبل كل شيء على نفي الضلالة والغواية والانحراف عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما ضل صاحبكم وما غوى) سواء فيما بلغ به عن ربه، أو فيما بين به كتابه، أو فيما قصه من آيات الإسراء والمعراج...

وفي هذا إبعاد لكل الشكوك التي يمكن أن تساور النفوس، وصدق قول الله عن نبيه: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ويؤكد قول رب العزة ـ جل شأنه ـ (ما زاغ البصر وما طغى) ما سبق أن أثبتناه من أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً، أما الروح فتناسبها البصيرة لا البصر، وعلى فرض أن للروح بصراً..

فهل يمكن أن يوصف بصر الروح بالزيغ والطغيان حتى ينفيه عز وجل. ■

العالم الإسلامي ومواجهة التحديات

قضايا اسلامية

تجتاز الأمة الإسلامية اليوم مرحلة دقيقة ومنعطفاً خطيراً في تاريخها الطويل من جراء الصراعات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بأمتنا من كل جانب قال تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) البقرة ـ ٢١٧. وأياً ما كان المقاتلون لأمة الإسلام. ... وأياً ما كان زمان القتال فالحرب قائمة والتحديات شاخصة تواجه العالم الإسلامي في يومه... وتواجهه في غده كما كانت تواجهه في ماضيه السعيد طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان.(١)

بقلم: صلاح حسين محمد شهاب الدين

ونحن في هذا العصر نشكو جراءة العدو وطول يده في نهبنا، وغلظ طبعه في إهانتنا وعند التأمل العميق نرى المسلمين قد لحقتهم مغارم فادحة، وسقط لهم قتلى وجرحى كثيرون، أما المفقودون الذين تاهوا هنا وهناك ففوق الحصر!!(٢).

لذا كان لنا هذه الوقفة المتأنية لوضع الأسلوب الأمثل لمواجهة هذه التحديات، ولكي ينهض العالم الإسلامي من جديد وتكون له الزعامة والصدارة والسيادة كما كان من قبل، وفي رأيي أن الأسلوب الأمثل لمواجهة هذه التحديات نبذ الحروب المتمثلة في داخل المجتمع المسلم وخارجه ففي الداخل جهل مطبق بحقيقة الإسلام... وفي الخارج التحدي العسكري، والصورة واضحة لا تحتاج إلى بيان فأغلب مناطق المسلمين بها حروب، وتحدٍ فكري وكلها موجه إلى عقيدة الأمة الإسلامية وكتابها وسنة نبيها من أجل تشويه الإسلام في عيون أبنائه، وحرف المسلمين عن دينهم مستخدمين في كل هذا أحدث ما وصل إليه العلم الحديث لتحقيق هذه الغاية والأسلوب الأمثل لمواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي هي:

١ ـ التمسك بالرسالة الخاتمة:

فالعالم الإسلامي لا ينهض إلا برسالته التي أوكلها إليه صلى الله عليه وسلم ومن ثَم الإيمان بها والاستماتة في سبيلها، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها، ولا أفضل منها، ولا أيمن للبشرية منها.(٣)

> إن النهضة الإسلامية أو الصحة الإسلامية هي الرجوع للدين وللأخلاق والعادات الإسلامية الصحيحة وإلى الشريعة الغراء

إن النهضة الإسلامية أو الصحوة الإسلامية التي تقف في وجه العدو هي في الرجوع الى الدين والأخلاق والعادات الإسلامية الصحيحة وإلى الشريعة الغراء في حياتنا السياسية والاجتماعية والروحية والتنظيمية، وفي التزامنا الشديد بديننا والحفاظ على دستوره مع مواصلة التجديد والاجتهاد.

والمجد والمجتهد في الإسلام هو من يعمل على إظهار روحه الأصيلة ويثبت فاعليات أكبر كامنة في كنوزه الإلهية العظيمة.(٤)

لا شك أنه لا خلاص للأمة الإسلامية من واقعها الأليم إلا بعودتها إلى الله تعبده حق عبادته، وتنشيء على أساس هذه العبادة مجتمعاً حياً يقوم على المفاهيم الصحيحة، ثم تجعل القيم السليمة والعمل الصالح أساس علاقات أفراده وجماعاته وتحكم سلوكهم ونشاطاتهم.

ولكي ينشأ هذا المجتمع الحي لابد من طليعة مؤمنة قادرة على أن توفر للمجتمع الإسلامي تكاملية لجهود أفراده. تكون حافزاً في سبيل تقدم الأمة الإسلامية للحفاظ على طاقاتها بدلاً من إهدارها في الصراعات الإقليمية والاجتماعية.

ولا تستطيع الطليعة المؤمنة القيام بدورها في إحياء المجتمع الإسلامي إلا إذا شكلت في نفسها وفي واقعها «نواة» لهذا المجتمع في صورة أفراد مسلمين خاضعين لتصورات وقيم ومفاهيم ومشاعر وتقاليد وعادات المجتمع الإسلامي الحي، وفي الوقت ذاته لابد أن يكون بين أفراد هذه «النواة» تفاعل وتعاون وتناسق، يجعل كل فرد

يتحرك للمحافظة على وجود مجتمعه والدفاع عن كيانه والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد وجوده في أية صورة من صور التهديد.(٥)

٢ ـ الاستعداد العلمي والصناعي والحربي:

ومهمة العالم الإسلامي لا تنتهي هنا فإذا أراد أن يضطلع برسالة الإسلام، ويملك قيادة العالم، فعليه بالمقدرة الفائقة والاستعداد التام في العلوم والصناعة والتجارة وفن الحرب.

وأن يستغني عن الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة، وفي كل حاجة، من الحاجات. يقوّت ويكسو نفسه ويصنّع سلاحه، وينظم شؤون حياته ويستخرج كنوز أرضه وينتفع بها.... ويحارب العدو ببوارجه ودباباته، وأسلحة بلاده، وتزيد صادراته على وارداته، ولا يحتاج إلى الاستدانة من الغرب، ولا يضطر إلى أن يلجأ إلى راية من راياته، وينضم إلى معسكر من معسكراته.(٦)

لأنه إذا كان هناك تشخيص للمرض فلابد أن يسبقه العلاج، والعلاج لا يثمر إلا إذا بني على تشخيص صحيح فلا بد من اعتبار الخطوة الأولى اللازمة لكل متصدٍ للعمل العام أو السياسي في العالم الإسلامي أو العربي هو أن جوهر الأزمة حالياً هي التبعية وأن العلاج يبدأ من علاج التبعية.(٧) ومنطق التبعية يقول «مادام العالم الإسلامي خاضعاً للغرب في العلم والسياسة والصناعة والتجارة يمتص الغرب دمه ويحفر أرضه فيستخرج منها ماء الحياة، وتغزو بضائعه العالم الإسلامي وبيوته وجيوبه كل يوم فتستخرج منها كل شيء. وما دام العالم الإسلامي يستدين من الغرب الأموال، ويستعير منه الرجال ليديروا حكومته، ويشغلوا الوظائف الخطيرة ويدربوا جيوشه ويستورد منه البضائع ويجلب منه الصنائع وينظر إليه كأستاذ ومربٍّ، وسيد ورب، لا يبرم أمراً إلا بإذنه، ولا يصد عن رأيه فلا يستطيع أن يواجه الغرب فضلاً عن أن يناهضه ويغالبه».(٨)

لذلك قال الإمام محمد الغزالي رحمه الله: «أملك ناصية الحياة بعلم واقتدار تقدر على نصرة الحق الذي تعتنق. أمّا قبل ذلك فهيهات ولسوف يسبقك الدهاة والشطار...!!»(٩)

مواجهة التحديات تتمركز في الاستعداد العلمي والصناعي وأن يتم الاستغناء عن جميع الإمدادات الخارجية

٣ ـ الاستقلال العلمي:

فإذا أراد العالم الإسلامي أن يستأنف حياته من جديد، ويتحرر من رق غيره، وإذا كان يطمح إلى القيادة، فلا بد إذن من الاستقلال التعليمي لأنه من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالاً بالدنيا.

إن هناك سبعين صناعة أو أكثر مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه والانتفاع بمشتقاته لا نعرف منها شيئاً، فهل تُخدم عقيدة التوحيد ما ينبني عليها بهذا العجز المهين؟

إنه لو قيل لكل شيء في البلاد الإسلامية عُد من حيث جئت لخشيت أن يمشي الناس حفاة عراة لا يجدون ـ من صنع أيديهم ـ ما يكتسون، ولا ما ينعلون ولا ما يركبون، ولا ما يضيء لهم البيوت... بل لخشيت أن يجوعوا لأن بلادهم لا تستطيع الاكتفاء الذاتي من الحبوب!!

كما أن هذه البلاد مهزومة في ميدان الدواء، ولو أراد أعداء الإسلام(١٠) أن يسمموا أهلها في هذا الميدان لفعلوا، دون أن يجدوا مقاومة تذكر ثم إن هناك مجالات كاملة لم يدخلها المسلمون بعد وهي الذرة والإلكترونيات والحواسب والفضاء وهندسة الجينات.

إن الهدف يجب أن يكون محدداً وواضحاً وهو بناء تكنولوجيا ذاتية ذات وظيفة إسلامية تتلخص في تحرير المسلم فكراً وسياسة، واجتماعاً وحضارة، إنها التكنولوجيا فقط التي يمكنها ن تنقذنا من زحف الغرب علينا، إنها التكنولوجيا فقط التي تجعلنا نستغني عن الغرب...

فأمريكا كانت مستعمرة بريطانية، والتكنولوجيا هي التي حولتها إلى سيدة على بريطانيا، وروسيا، واليابان لم تعلن أي نظرية أيديولوجية ولكنها فاقت الكل في التكنولوجيا، ثم إن التكنولوجيا هي التي حققت التقارب بين روسيا الشيوعية وأمريكا الشمالية، ثم هي التي حققت وحدة أوروبا الغربية حالياً.(١١)

فالمطلوب الآن هو الاستقلال العلمي مع بناء تكنولوجيا إسلامية خالية تماماً من قيم وروح الغرب، وهذا يستلزم تفكيراً عميقاً وحركة تدوين وتأليف واسعة. «ولا شك في أن الأمة الإسلامية إذا أرادت النهوض واللحاق بركب الحضارة بل وسبقه، فإنه لابد لها أن تستعيد ثقتها في نفسها وتحافظ على ريادتها واستقلالها، وتدرك ما لديها من طاقات وقوى ذاتية نستخدمها في بناء حضارتها، ولا تضيعها في الفراغ أو تتركها لأعدائها يستخدمونها في إذلالها والتحكم فيها... فإذا فعلت الأمة ذلك فإنها تكون متميزة بملكية السلاح الذي لا تملكه الأمم الأخرى وهو المنهاج الرباني فضلاً عن ملكية العوامل المادية التي قد يمتلكها الآخرون، فيكون لها السبق الحضاري على كل الأمم وتعود إلى قيادة البشرية من جديد».

٤ ـ الاقتباس من الحضارة الغربية، ولكن بحذر:

قد يفهم القارىء للسطور الأولى في هذا المقال أنني أدعو إلى العزلة وإغلاق النوافذ على المجتمع المسلم، وتحريم أي اقتباس من أية حضارة، فما إلى هذا أردت. فإن خصائص المجتمع المسلم، هو الجمع بين الثبات والمرونة، فهو مجتمع تلتقي فيه صلابة الحديد ورقة الماء السلسبيل كما قال الشاعر الفيلسوف إقبال.

يجب على المسلمين اقتباس كل ما أمكنهم من العلوم المادية والتطبيقية وما يتعلق بهما، ليكونوا في مركز الأقوى دائماً، فهذه العلوم ـ كما حقق علماؤنا ـ من فروض الكفاية. كما أن واجب الجهاد الإسلامي ـ والسيادة الإسلامية، لا يتمان إلا بإتقانها والتفوق فيهما، وعلماء الإسلام متفقون على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

على أن هذه العلوم قد ظهرت من قبل في

ظل الحضارة الإسلامية وبإيحاء المنهج الإسلامي في المعرفة وتوجيهه، ثم انتقل قبس من هذا النور إلى الغرب المسيحي في غفوة الشرق المسلم، فاستفاد من هذا القبس ونمّاه ووسع دائرته، فإذا عاد المجتمع المسلم يأخذ من الغرب ثمرات هذا المنهج من العلوم والتقنية. فهي بضاعته ردت إليه، وضالته رجعت إلى حظيرته. ولا حرج على المسلمين أن يقتبسوا من غيرهم أي نظام جزئي، يرى ذوو الرأي وأهل الحل والعقد فيهم أنه نافع لمجتمعهم، ملائم لطبيعتهم وحضارتهم(١٢).

فعملية النقل يجب أن تكون انتقائية، نقبل ونرفض ونحوّر ونطوّر لا مجرد نقل، ونقل، ونقل. ففي ترجمة العلم والتكنولوجيا الغربية يجب إضافة مقتبسات وممارسات محلية تتمشى مع طبيعة المجتمع المسلم. لذلك كان لابد من الحذر عند الاقتباس أو النقل وأول هذه المحاذير هي الاحتراس من المستشارين والمبعوثين والدبلوماسيين والإداريين الذين يرسلهم الغرب مع تكنولوجيته مع العلم بأن هذه التكنولوجية الغربية هي ذاتها التي ستنقذنا من الغرب. ثم الحذر الثاني وهو خضوع المثقفين المسلمين للمستشرقين، والتجار المسلمين للسوق الغربية والجيوش للسلاح الغربي، وهناك حذر آخر أهم وهو الحذر من استقدام التكنولوجيا للاستهلاك الترفي بدلاً من الإنتاج فهنا يصبح استيراد التكنولوجيا نقمة علينا ونعمة على اقتصاد الغرب، ونكون قهرنا أنفسنا بأيدينا. إذن عملية استيراد التكنولوجيا يجب ألا تترك للعامة ولا للتجار ولا لوكلاء الشركات الغربية ولكن تسند إلى جماعة لها ذخيرة سياسية وتفهم أن التكنولوجيا يجب أن تنتقى ثم تطور محلياً، وتحت برنامج سياسي وثقافي بعيد المدى، وبهدف خدمة الله ورسالته(١٣).

هذه بعض الأساليب العلمية والعملية لمواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في يومه وفي غده ولكي تتحقق هذه الأساليب في المجتمع الإسلامي لابد أن يأتي التنسيق بين جميع الأجهزة الإسلامية على مستوى الشعوب، ومستوى الحكومات في مقدمة هذه الأساليب.

ومن هنا أصبح من الضرورات الملحة العمل بخطى حثيثة للتنسيق بين جامعة الدول العربية وهيئاتها، وبين منظمة المؤتمر الإسلامي، وكل قطاعاتها، وإداراتها وعلى المستوى لابد من التنسيق بين المنظمات العاملة كرابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية الإسلامية للدعوة والإغاثة وجميع المؤسسات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية في إطار خطة محكمة فعالة تتوافر لها الإمكانات المادية والمعنوية مع دعمها من جانب الحكومات الإسلامية المختلفة على أن يكون ذلك في اتجاهين:

الاتجاه الأول:

خطة دفاعية تعتمد على نشر الإسلام وتعاليمه السمحة في البلاد الإسلامية لاقتلاع جذور التراخي والتسيب والعمل جدياً على تثبيت العقيدة في النفوس ومحو الجهل بالعقيدة الإسلامية الصافية.

الاتجاه الثاني:

خطة موجهة تعتمد على تبيان محاسن الإسلام لجميع الشعوب وللإنسانية عامة ومع بيان مساوىء ما يخطط له أعداء الإسلام من أساليب منحرفة للسير في دروب ضالة، ومن جهة أخرى تعتمد هذه الخطة على دحض الشبهات التي يثيرها هؤلاء الأعداء وفضح مخططاتهم وأساليبهم.(١٤)

وإن كنا لا ننكر الدور الذي تلعبه الدول الإسلامية في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان ولكن نحتاج إلى التضامن والتعاون بين جميع الدول الإسلامية في سبيل نشر هذه الرسالة الخاتمة السمحة، حتى تؤتي ثمارها وترتفع راية الأمة الإسلامية مرة أخرى كما ارتفعت من قبل وظلت مدة طويلة لا ينازعها أحد الزعامة والريادة والسيادة في كل شيء.

> الاستقلال العلمي ونجاح المجتمع وعدم استمداد الأفكار والآراء من خارج منطوق الإسلام تمد المواجهة الحقيقية للتحديات

فهل لنا من عودة أخرى إلى هذه الزعامة والريادة والسيادة، إنه أمل وتحقيقه قريب إن شاء الله تعالى. ■

المراجع

١ ـ الأمة العربية ـ التحديات التي تواجه العالم الإسلامي ـ مقال للشيخ عبدالوهاب الواسع. العدد ٦ السنة الأولى ص ٧.

٢ ـ الطريق من هنا للشيخ محمد الغزالي ص ١٥٣.

٣ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي الحسين الندوي ص ٢٦٧.

٤ ـ الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين، مريم جميلة، ص ٧٩، ٨ بتصرف.

٥ ـ الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ـ محمد محمد بدري ص ١٦٩، ١٧٠.

٦ ـ المسلمون وعقدة التكنولوجيا، د. فهمي الشناوي ص ٣١.

٧ ـ مذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٧٢، ٢٧٣ مرجع سابق.

٨ ـ مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ـ محمد الغزالي ص ١٩.

٩ ـ مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ـ محمد الغزالي ص ١٧.

١٠ ـ المسلمون وعقدة التكنولوجيا ـ ص ٢٢ بتصرف مرجع سابق.

١١ ـ الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ص ١٨٩ بتصرف مرجع سابق.

١٢ ـ الحل الإسلامي فريضة وضرورة ـ د. يوسف القرضاوي ص ٨٢.

١٣ ـ المسلمون وعقدة التكنولوجيا ـ ص ٣٥، ٣٦ بتصرف مرجع سابق.

١٤ ـ الإمة العربية ص ٧ مرجع سابق.

هموم مدارسنا الإسلامية في الخارج

قضايا اسلامية



تنشر بعض الصحف العربية تقارير صحفية عن واقع الجاليات العربية المسلمة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية حيث يؤكد عدد من المسلمين والمسلمات هناك أنهم يعانون من صعوبات كبيرة فيما يتعلق بتربية أبنائهم على مبادىء الدين الإسلامي، وأنهم يشعرون بقلق ـ بالغ أمام تأثير وسائل الإعلام والمدارس الأمريكية والمجتمع المحيط ـ على تربية أبنائهم وهو تأثير غالباً ما يحمل رياحاً فاسدة عنيفة تفسد كل محاولاتهم في تربية أبنائهم التربية الصالحة، وقد أبدوا جميعاً قلقهم على فلذات أكبادهم بسبب بعدهم عن اللغة العربية والثقافة الإسلامية لعدم وجود مدارس عربية إسلامية هناك.. الأمر الذي خلق فجوة عميقة بين هذه الأجيال وبين لغتهم ودينهم مما ينعكس على مستقبل علاقاتهم ومجتمعاتهم الأصلية.

بقلم: د. عبدالصبور فاضل

الدول الكبرى

والحقيقة التي لا تخفى على أحد أن الدول الكبرى حرصت منذ زمن طويل على إنشاء المدارس في الخارج لخدمة أبناء جالياتها المنتشرة في كثير من الدول، ففي بعض الدول العربية والإسلامية نجد مثلاً المدارس الأمريكية، والفرنسية، والألمانية، والإنكليزية وغيرها، ولم يقتصر القبول بها على أبناء جاليات هذه الدول بل يلتحق بها كثير من أبناء العرب والمسلمين أنفسهم لدرجة أن

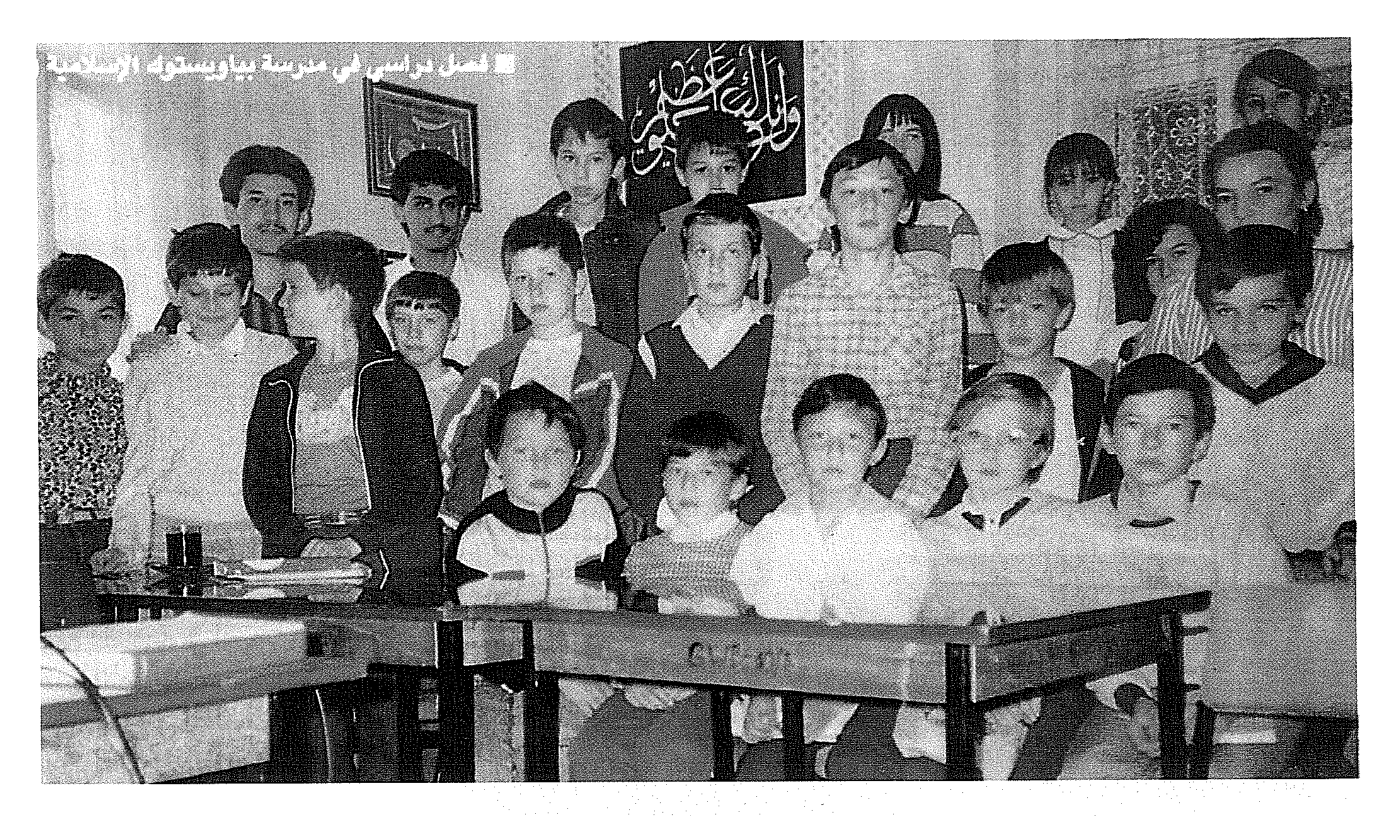
> يعاني المسلمون في دول المهجر صعوبات كثيرة في تربية أبنائهم على مبادىء الدين الإسلامي، ويشعرون بقلق أمام تأثير المجتمع

هناك مدارس أجنبية في بلاد المسلمين لا تجد فيها غير أبنائنا الذين أصبحوا يجيدون اللغات الأجنبية ولا يعرفون شيئاً عن اللغة العربية، وذلك خطر كبير.

وهذه الفكرة راودت بعض الغيورين من العرب والمسلمين وعدداً من رجال الفكر والتعليم، فاستطاعوا ـ بعد محاولات وجهد كبير ـ إنشاء مدارس عربية إسلامية هدفها نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في مختلف أنحاء العالم وخدمة أبناء المسلمين غير الناطقين بالعربية بالداخل والخارج... وقد بدأت الفكرة بإنشاء مؤسسة الإيمان للتربية والتعليم والثقافة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية العام ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م التي أخذت على عاتقها إنشاء مدارس أهلية سعودية انتشرت في عواصم المملكة.

اتحاد المدارس

وفي إطار توسيع نطاق التجربة تم إنشاء مدارس عربية إسلامية في بعض الدول


■ فصل دراسي في مدرسة بياويستوك الإسلامية

الأجنبية مثل أمريكا وأوروبا ويشرف عليها اتحاد المدارس العربية والإسلامية الدولية الذي أنشىء لهذا الغرض بقرار من المؤتمر التأسيسي المنعقد في الرياض العام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م والذي وافق عليه مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية السابع المنعقد في استنبول في مايو ١٩٧٦م.

وهذه المدارس تنقسم إلى عدة أنواع منها: المدارس التي تطبق مناهج التعليم العام في الدول التي أنشئت فيها بالإضافة إلى اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وهذه المدارس هي بيت القصيد وهي التي تصلح لأبناء الجاليات الإسلامية في الدول الأجنبية، ولكن الواقع يؤكد أن عدد هذه المدارس يكاد يكون قليلاً جداً في أوروبا وأمريكا بالقياس إلى عدد المسلمين هناك، ومع ذلك لم ينظر أحد إلى هذه المشكلة بحجمها الطبيعي آثارها السلبية المستقبلية... وهناك المدارس الأهلية التي تطبق مناهج المعاهد الأزهرية وتوجد في آسيا وأفريقيا ويلتحق خريجوها في الجامعات الإسلامية في حالة قبولهم بها... وهناك المدارس القرآنية «الكتاتيب» وتنتشر في آسيا وأفريقيا أيضاً وهدفها تعليم النشء أبجديات القراءة والكتابة وتحفيظهم كتاب الله ثم الالتحاق بالمراحل الرسمية لمن أراد منهم.

ولما كان تمويل إنشاء مثل هذه المدارس يخضع لتبرعات الأفراد والحكومات والمؤسسات الأهلية فقد أنشىء صندوق خاص لجمع التبرعات لهذا الغرض بموافقة مؤتمر وزارة خارجية الدول الإسلامية المنعقد في مدينة داكار بالسنغال في أبريل ١٩٧٨م، حيث جاء ضمن قراراته أن المؤتمر يقرر: «إنشاء الصندوق المقترح.. ويطلب من الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية التعاون مع الاتحاد لتأسيس الصندوق في إطار النظام الأساسي المقترح... ومعاونة الاتحاد في مساعيه لدى حكومات الدول الأعضاء والمسلمين عامة أفراداً وجماعات للمساهمة في تمويل الصندوق.

حرصت الدول الكبرى منذ زمن على إنشاء المدارس في الخارج لخدمة جالياتها

مشكلة التبرعات

ورغم ذلك فإن التبرعات كانت - ومازالت - ضعيفة جداً سواء من الأفراد أو من الحكومات أو المؤسسات مما ترتب عليه قصور في التجربة وضياع منح أجنبية للمشروعات الإسلامية مثل ضياع شراء أراض فضاء حيث إن بعض الدول الأجنبية تمنح أرضاً لجالية أو مؤسسة لإقامة مشروع خيري عليها، وإذا لم يبدأ البناء خلال مدة معينة ينص عليها في قرار المنح تلغى المنحة فوراً، وتخصص لجهة أخرى، وقد حدث ذلك كثيراً بالنسبة للمشروعات الإسلامية وبخاصة المدارس العربية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث ألغيت أكثر من منحة لها لأنها لم تلتزم بالبناء في المواعيد المحددة لعدم توفر الأموال اللازمة للبناء لدى الأفراد أو الجمعيات أو المؤسسات الخيرية الإسلامية التي لديها الحماس لمثل هذه المشروعات، ومما يؤسف له أن بعض هذه المنح خصصت لمؤسسات يهودية قامت باستغلالها في غضون أشهر نظراً لتوفر الأموال لدى مثل هذه المؤسسات.

والغريب في الأمر أن عدداً قليلاً من الدول العربية والإسلامية أنشأت كل منها مدرسة لأبناء جاليتها فقط بينما أنشأت بعض

الجاليات مدارس بجهودها الذاتية المحدودة مما يؤكد غياب دور الدول العربية والإسلامية في هذا المشروع الحضاري الرائد، ورغم ذلك فإن هذه المدارس القليلة حققت نجاحاً لم يكن متوقعاً حيث استطاعت أن تجذب كثيراً من التلاميذ غير المسلمين الذين يدرسون جنباً إلى جنب مع زملائهم العرب والمسلمين وكثير منهم تعلموا اللغة العربية ودرسوا معالم الحضارة الإسلامية ومنحوا شهادات معترف بها هناك، وكل ذلك يتم بجهود أفراد مخلصين لدينهم وأوطانهم يكلفون أنفسهم فوق طاقتهم وما استطاعوا من المال والجهد والوقت في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم. في الوقت الذي لا يجدون فيه أي مساعدة من الهيئات أو المؤسسات أو الحكومات العربية والإسلامية. بل الأكثر من ذلك أنهم يعانون أشد المعاناة في الحصول على كتب اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

وهذه الإنجازات الفردية تعد مكسباً كبيراً للعرب والمسلمين الذين يجب عليهم مد يد العون لإخوانهم هناك من أجل التوسع في إنشاء مثل هذه المدارس حفاظاً على هوية وعقيدة أبناء المسلمين والعرب في الخارج من ناحية، ونشر الثقافة والحضارة الإسلامية والتعريف بالإسلام في هذه الدول من ناحية أخرى، وبخاصة في الظروف الراهنة التي يتعرض فيها الإسلام لحملات عدائية شرسة هدفها تشويه صورته والحط من قدر المسلمين ومكانتهم وإلصاق التهم الباطلة بهم من خلال عدة محاور انطلاقاً من الصراع العقائدي والحضاري والسياسي.

لا توجد إحصاءات

ولكن الذي يبعث على الدهشة حقاً أنه حتى الآن لا توجد احصاءات بعدد هذه المدارس وظروفها سواء في الدول الأجنبية أو العربية أو الإسلامية... إن مشكلة عدم توافر المعلومات لدى المخططين والباحثين في أي مجال من شأنه أن يقضي على آمال الشعوب العربية والإسلامية في التقدم والازدهار في الوقت الذي توسع فيه العالم من حولنا في إنشاء المزيد من شبكات المعلومات المحلية والإقليمية والدولية المتطورة.. وتجدر الإشارة إلى أن اتحاد المدارس العربية والإسلامية الدولية قد حاول من جانبه القيام في هذه المهمة لمعرفة عدد هذه المدارس وأوضاعها ومشكلاتها فأعد مشروعاً لهذا الغرض ولكن يبدو أنه قد توقف تماماً لأنه يحتاج إلى تكاليف باهظة ليست في مقدور الاتحاد. إن هذه المدارس لا تقل أهمية عن السفارات التي تخصص لها الملايين سنوياً ما لم تكن أقوى منها تأثيراً بمرور الوقت لأنها تنشر لغة وحضارة وثقافة نحن في أشد الحاجة إليها في الوقت الراهن على المستوى الدولي ليتعرف العالم على الإسلام، ومن هم العرب والمسلمون، وما حضارتهم وثقافتهم هذه المدارس لن يقل دورها عن دور الرحالة والتجار العرب والبعثات الإسلامية التي أسهمت في نشر الإسلام واللغة العربية في كثير من أنحاء العالم ومازال تأثيرها قائماً إلى يومنا هذا.. فهناك على سبيل المثال أكثر من ستين لغة من لغات الأمم الإسلامية في آسيا وأفريقيا تمت كتابتها بالحرف العربي، ولعل ذلك هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى قيام علاقات وطيدة بين هذه الأمم والعرب حتى وقتنا الراهن، فهناك علاقة تاريخية بين اللغات «الفولانية» Peul و«الماندكية» Mandinque و«الهوسا» Houssa و«السواحلية» Soahili وغيرها وبين اللغة العربية.

عدد المدارس الإسلامية في أوروبا وأمريكا قليل جداً بالقياس إلى عدد المسلمين هناك...

منظمة المؤتمر الإسلامي

إن هذه المدارس هي أملنا المنشود في تشكل اتجاهات الرأي العام العالمي لصالحنا على المدى القريب أو البعيد... هي أملنا في نشر الإسلام وحضارة المسلمين ولغتنا العربية في العالم حتى تصبح لغة عالمية بالمفهوم السياسي وليس ذلك ببعيد فبالأمس القريب كانت بريطانيا هي المملكة التي لا تغيب عنها الشمس وكان اهتمامها شديداً بنشر لغتها في العالم، وقد حققت نجاحاً كبير من وراء ذلك رغم تراجع نفوذها وظهور قوى أخرى غيرها إلا أن اللغة الإنجليزية مازالت هي اللغة الأولى في العالم... لغة المؤتمرات.. لغة المعاهدات الدولية... لغة البروتوكولات الدبلوماسية... لغة التعليم... لغة التخاطب... إلخ. مما حفظ لبريطانيا مكانتها بين دول العالم أجمع حتى يومنا هذا، وحتى نحقق هذه المكاسب وزيادة يجب على الدول العربية والإسلامية حكومات وأفراداً ومنظمات دعم مثل هذه المدارس والتوسع فيها ليس من أجل أبناء العرب والمسلمين فحسب بل من أجل نشر الإسلام واللغة العربية بين غير المسلمين، كما يجب على الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية إدراج هذه المشكلة ضمن جداول أعمالها لمناقشتها في المؤتمرات القادمة وإقناع الدول العربية والإسلامية والأفراد والهيئات بالتبرع لهذا العمل الحضاري ومتابعة هذا المشروع، وما تتخذه المؤتمرات من توصيات في هذا الصدد. ■

الدكتور/ أحمد كمال أبو المجد لـ «الوعي الإسلامي»:

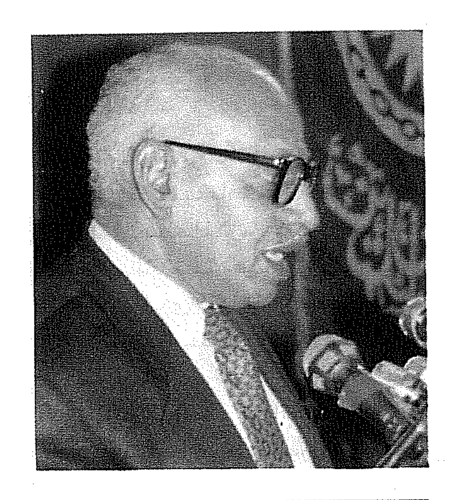
حوارنا مع الغرب لن يفيد إلا إذا اعترف بنا اعترافاً جاداً وأميناً

حوار

قضية الحوار بين الحضارات وبخاصة الحضارة الإسلامية والغربية بدأت تطرح نفسها بقوة في الآونة الأخيرة بعد أن تفرد المعسكر الغربي بقيادة العالم وأعلن مفكروه أن نهاية التاريخ آتية وأن تلك النهاية سيسبقها صراع حتمي بين الإسلام والغرب.

والأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد عضو مجمع البحوث الإسلامية ووزير الثقافة والإعلام المصري الأسبق، واحد من أبرز المفكرين الإسلاميين القلائل الذين عاشوا سنوات طويلة بالغرب ورصدوا حضارته وتقدمه، هذا بالإضافة إلى أن باعه العلمي الإسلامي رصين وعميق تؤهله لطرح رؤيته حول قضية الحوار بين الحضارات... أسبابها وظواهرها والقواسم المشتركة بين الحضارات الإسلامية والغربية.

والوعي الإسلامي حاورت د. أحمد كمال أبو المجد حول تلك القضية الساخنة بعد أن ظهر اتجاه في الغرب يحترم ويقدر دين الإسلام... وكان الحوار التالي:



حاوره: عبدالحي محمد عبدالحي

يلاحظ أن هناك اهتماماً بقضية الحوار بين الحضارات وبخاصة بين الحضارة الإسلامية والغربية... من وجهة نظركم ما أسباب هذا الاهتمام خصوصاً من جانب المسلمين؟

ــ اهتمامنا اليوم بقضية الحوار بين الحضارات وحرصنا على إقامته واستدامته يصدران عن إحساس متزايد بأن الأمر قد تغير، وأن الزمان قد استدار، وأن أمتنا العربية والإسلامية تواجه على امتداد حدودها أخطاراً أو تحديات لم يجتمع مثلها من قبل على امتداد تاريخها الطويل، ذلك أن اللحظة التاريخية التي أذن الله أن تسقط فيها الحواجز بين الشعوب، وأن ترفع الستر التي كانت تحجز بين الثقافات والحضارات، وأن تتسع سوق التبادل التجاري والاقتصادي، وأن ترفع منها القيود والسدود، هذه اللحظة التاريخية الفاصلة قد جاءت وأمتنا تجعلنا نستشعر الخطر، ونتجه إلى وضع حوار الحضارات في إطاره الصحيح ونتنبه وننادي بأن عملاً هائلاً على جبهتنا الداخلية أولاً ينبغي أن يسبق الحوار مع الآخرين، أو أن يواكبه ويتزامن معه على أقل تقدير.

> أربعة مخاطر تواجهها أمتنا أبرزها أننا نواجه حيرة ثقافية غير مسبوقة

أول هذه الأمور التي تمثل الخطر تتناول كل ما يدور حولنا، وأن الكلمة بيننا لا تزال متفرقة والانقسام على النفس لا يزال واقعاً والانشغال بمحاربة الأشقاء عن مواجهة الأعداء لا يزال سمة غالبة بين أمتنا.

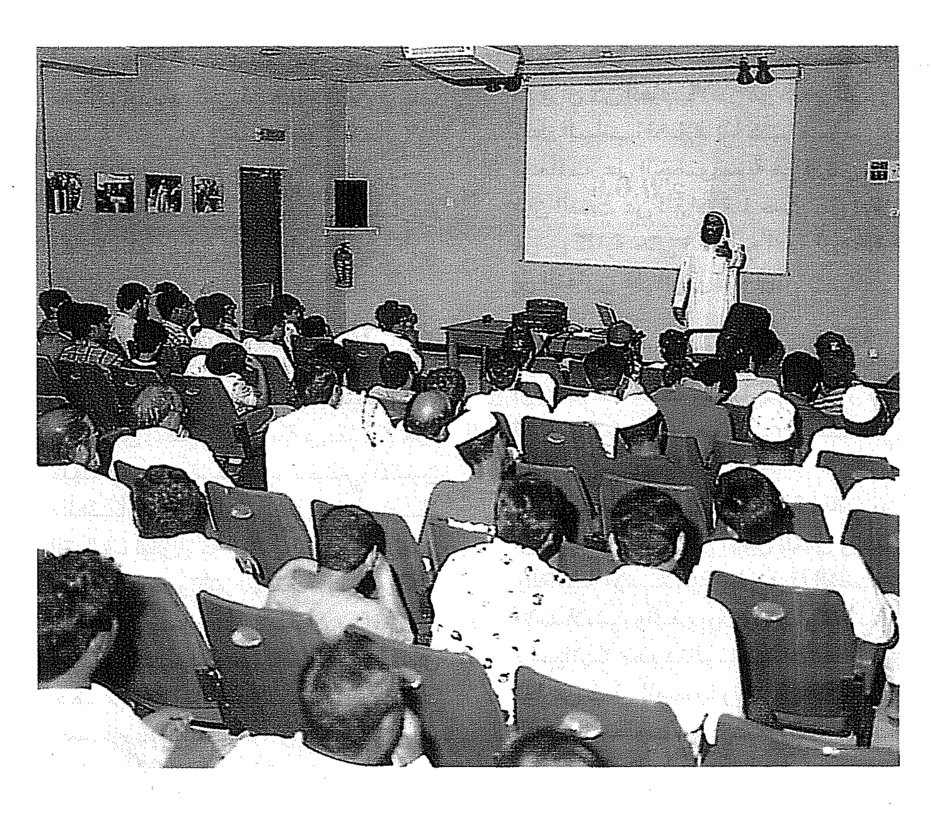
الأمر الثاني: أننا لم نخرج بعد من عنق الزجاجة في معركتنا عن التخلف الاقتصادي والاجتماعي لأن لها علامات لا معنى للمكابرة بشأنها، وحالنا هذا ليس هو الحال الذي نحبه ونتمناه سواء كان بالقياس لما هو منتظر منا ونحن حملة أمانة وأصحاب رسالة، أو بالمقارنة بأمم أخرى تتسابق في دفاع محموم لتفوز بمراكز القيادة والريادة والسيادة في نظام عالمي جديد.

الأمر الثالث: إننا نواجه حيرة ثقافية غير مسبوقة واختلافاً كبيراً حول عدد من

القضايا الكبرى التي لا تملك أمة تريد أن تنطلق إلى المستقبل أن تتركها معلقة.

الأمر الرابع: أننا نواجه حملة على الإسلام والمسلمين نعرف مظاهرها وظواهرها، بينما نحتار في فهم بواعثها ومراميها، لأنها في تقديرنا لا تخدم أحداً حتى الذين يحركونها ويشنونها علينا. ولقد بدأت هذه الحملة بمقولة سياسية تبناها بعض المفكرين ثم تحولت إلى تصريحات سياسية تبناها بعض الساسة والحكام والمسؤولين، وتُرجم ذلك كله في مواقف عملية حتى صار المسلم الذي يعيش في أقلية مسلمة في بلد غير مسلم وصار العربي الذي يعيش في بلد غير عربي يحمل على رأسه شبهة اتهام وتوجس وسوء ظن، الأمر الذي يؤكد أننا أمام حملة لها وزنها يعاني من آثارها ملايين المسلمين الذين يعيشون خارج الإطار العربي الإسلامي الجغرافي، فهل يدرك أبناء الأمة وعلماؤها مخاطر اللقاء مع الآخرين بغير تدارك سريع لهذه الثغرات والنقائص الكبيرة؟! هل تعتقد أن الحوار يتوجه فقط إلى الآخرين المختلفين معنا عقائدياً أم علينا أن نوجهه أولاً إلى داخلنا فنبدأ به؟

- في تقديري أنه حوار يستغرق الأمرين معاً، لذلك لابد أن يكون لنا وقفة مع الهدف الأكبر لحوارنا على هاتين الجبهتين. حديثي الموجه إلى النفس في هذا الحوار ينطوي على دعوة ضمنية قد يصرح لها وقد لا يصرح للخروج من هذه العزلة، والإيمان الصادق للحاجة الحقيقية إلى الحوار وتوظيفه لما يحقق مصالح العرب والمسلمين. لقد أطلت على أمتنا على مدى القرون سلسلة من الهزائم العسكرية والسياسية والثقافية دفعت بنا وبالفكر السائد بيننا إلى إلوان من صور الحروب والانطواء والانسحاب، ومنحتنا عزلة عن الآخرين، وزهداً في التواصل معهم، والتماساً للأمن الموهوم بالتهوين من شأن الآخرين، وإدانة سائر الأمم والشعوب والالتجاء إلى الماضي، وأقيم نسيج ثقافي مغلوط جوهره المبالغة في تمجيد الذات ونفي الآخرين، وتشجيع العزلة والانسحاب، وتقديم مبررات عديدة لهذا المسلك الهروبي الذي لا يصلح به دين ولا تعمر به دنيا، ولا تؤدى به رسالة أمة كانت خير أمة أخرجت للناس. ولقد آن أن



تستعلي هذه الأمة على كل دواعي العجز، وعلى جميع نداءات العزلة، وجميع دعوات التراجع والانكماش والانسحاب، ذلك أن أحداً لا يمكن أن يعزل نفسه عن دنيا الناس ومسيرة التاريخ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

الحوار مع الآخرين

أما الأطراف الأخرى التي تشاركنا الحوار فإننا نوجه إليها بالشكل المتواضع نداء نبعثه حيال الود والتعاون على الخير والانطلاق من خندق واحد لمواجهة أخطار عديدة مشتركة تهدد الكيان الإنساني كله على اختلاف عقائد أهله وألوانهم ومصالحهم القريبة. نقول لهم إنه لا حوار بغير اعتراف جاد وأمين بالآخرين، ولا جدوى ولا جدال إذا كان بعض أطرافه يتعالون على سائر الأطراف. ونحن نسمع حالياً في الغرب حديثاً طويلاً معاداً عن العالمية والكونية والكوكبية، وهذه الكلمات مقبولة في معنى من معانيها ومرفوضة في معنيين. المعنيان المرفوضان أولهما يقول، إن صراع الحضارات لم يبدأ وإنما انتهى وإنه ليس على هذا الكوكب إلا حضارة واحدة منتصرة انتصاراً نهائياً هي الحضارة الغربية، وهذه المقولة التي بشر بها فرانسيس فوكوياما منذ سنوات قليلة دون أن يقيم عليها دليلاً علميا يرضي موضوعية العلماء والباحثين تعني أنه لا حوار ولا تعددية ولا تعاون بين الحضارات هناك نوع من الوصاية الثقافية لا شرعية لها، ولا جدوى منها وفيها استخفاف هائل لآلاف الملايين من البشر في عالمنا العربي والإسلامي وفي الصين وفي أمريكا اللاتينية وفي دول أخرى في آسيا وأفريقيا.

المعنى الثاني المرفوض أيضاً تحت ستار الخيرية أن يتنادى الناس جميعاً إلى أن ينفض كل واحد ما في يده من ثقافته وعقيدته، أن يكون الناس عراة من الثقافة

> لابد أن يعلم الجميع أن التعددية سنة من سنن الله وليست أمراً ناشزاً عن المشيئة الإلهية بل هي جزء منها

مجردين من الحضارة يتفقون على قاسم مشترك جديد. أظن أن هذا يدخل في باب العبثية أكثر منه في باب الحوار الجاد لأنه يلغي التاريخ ويمحي التراث ويجرد المسيرة الإنسانية من حكمة التاريخ وخبرة التجارب وثوابت القيم التي تختزنها ذاكرته.

يبقى معنىً ثالثاً هو معنى مقبول أن يؤمن الجميع بأن التعددية سنة من سنن الله ولا يزالون مختلفين. وهذه ليست أمراً ناشئاً عن المشيئة الإلهية وإنما هي جزء منها فلقد خلقنا الله مختلفي الألسن والعقائد والألوان، وجعل ذلك سبيلاً للتعارف ليثرى به الناس أنفسهم، وتغنى به الحضارة، وتتنوع وتتعدد وتصير أكثر إشراقاً وخصوبة. إذ لابد أن نحافظ على سنة التعددية، ويحافظ أصحاب كل حضارة وثقافة على خصوصيات حضارتهم ويتلقونها ويتعاونون مع بعضهم، أما إذا نظر كل حزب وبما لديه فرح، ثم أصر على أن يحتكر الحقيقة ولا يجادل الآخرين ، فليس هذا حوار وإنما هي مجاملة ممجوجة لا تبنى عليها حضارة إنسانية ولا يقوم في ظلها نظام عالمي جديد.

• ما نقاط الاتفاق بين الحضارتين الإسلامية والغربية التي يمكن أن نبني عليهما حواراً مثمراً بين الطرفين؟

- إذا تأملنا ذلك وجدنا أربعة أمور قائمة في الحضارتين يمكن أن تمثل لقاء مثمراً وإن قامت بصور وصيغ مختلفة أولها الإيمان بالله والثواب والعقاب، وثانيها تكريم الإنسان المخلوق والتأكيد على أن إهانة الأرواح والأعراض والحرية والكرامة مرفوض مرفوض، الأمر الثالث هو الإيمان بأن يقوم أمر الناس على الشورى أياً كانت صيغة هذه الشورى تختلف من الشرق إلى الغرب، الأمر الرابع هوالرغبة الجادة في تحقيق سلام عالمي يحرس مسيرة التنمية التي تتنافس على تحقيقها كل الأمم والشعوب، والاعتقاد التام ان الحماية الحقيقية لحضارة الإنسان لا تكون في تكوين الأسوار العالية ولا السدود المنيعة ولا الأسلحة الرهيبة بل تكون بتحسين العلاقة مع الآخرين. وأعتقد أن هناك على الجانبين قدر مشترك من الجهل بالآخر يحتاج إلى أن يزال لأن العلم بالآخر هو سفير للآخر. وعلى الجانب المشترك إذا كنا نؤمن أن المحافظة على الخصوصية هو فرض عين فإن البحث عن التراث قد صار على الأقل فرض كفاية حتى تستطيع الأمة أن تندفع إلى التعاون على البر والتقوى.

• يعاني الطرفان ـ المسلم والغربي ـ من أزمات قد تختلف بينهما — ما أبرز تلك الأزمات على الصعيدين الإسلامي والغربي من وجهة نظركم؟

- على صعيد جبهتنا الداخلية نعاني من أزمة العمل الإسلامي الأهل للعمل والفكر والتربية الإسلامية لنشر هذا التصور الإسلامي والدعوة إلى قيم الإسلام وإحيائها. نعم هناك مؤسسات حكومية تمارس هذه الدعوة ولكن مهمة تربية الأمم والشعوب صارت من الضخامة بصورة لا تقدر عليها الحكومات مهما حسنت نواياها وزودت بأفضل الكفاءات، ومن ثم فهناك دور كبير يمكن أن تؤديه الجمعيات الإسلامية الأهلية. وللأسف ففي عالمنا الإسلامي أصبح العمل والتوجه الأهلي لنشر الإسلام مواجهاً بسوء الظن ونقول للحكام لا تتعجلوا بالحكم على الجماعات ولا تسرفوا في إساءة الظن والتوجس، لأن هذه الدائرة لو اتسعت فستشمل الصالح والفاسد والحسن والمسيء والذي هو معك والذي ليس هو معك، ومن هنا فلا بد أن نعمل جميعاً شيئاً لفض هذا الاشتباك التعيس بين كثير من روافد العمل الأهلي الجاد والسمح للإسلام وبين الحكومات في عالمنا العربي والإسلامي، ونحن نفهم موقف الحكومات وموقف الجماعات الأهلية لكن هناك خطوات جادة وسريعة وحاسمة على طريق فض هذا الاشتباك والذي هو في تقديري شرط ضروري لخروج الأمة العربية والإسلامية على قلب رجل واحد وبصوت واحد مستريح الأعصاب مؤمن بالطهر موحد الكلمة حكامه ومحكموه رعاته ورعيته في خندق واحد يمدون الود والقربى والسماحة إلى الطرف الآخر.

> العمل الإسلامي الأهلي ـ للأسف ـ أصبح مواجهاً بسوء الظن وأقول للحكام لا تتسرعوا في الحكم عليها

أزمة الغرب

وليس صحيحاً أننا نعيش في أزمة والغرب مستقر، فمواطن الخلل في الغرب عديدة أبرزها نقصان وضياع السعادة الحقيقية وافتقار العلاقة بين الأسرة والجيران والمجتمع. وأقول وبعبارات صحيحة نحن في خاطرنا الحضارتان الغربية والإسلامية أقول نحن نعرف وتعرفون آثار يد الماضي الثقيلة التي سممت الآبار والنفوس، وزرعت الحواجز، نعرف الصراع والمنافسة التي كانت بين الدعاة من المسلمين والمبشرين والكنسيين. في عالم الغرب نعرف الحروب الصليبية التي زج بها باسم المسيح ظلماً وعدواناً، نعرف الاستعمار الذي أذل كثيراً من الشعوب العربية والإسلامية وآسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، نعرف الوقفة الظالمة التي وقفتها دول غربية إلى جانب إسرائيل وهي تأكل حكومة العرب والمسلمين.

نعرف ذلك كله ولكنني أوجه إلى أطراف الحوار على الجانب الآخر كلمة من جزءين لبيان المزيد من الإنصاف، والمزيد من الموضوعية ، فالصدى الذي يتحدث كثير منكم عنه ويطيلون الحديث ليس إلا هامشاً ضئيلاً، ركزوا النظرة على الجزء الصحيح من الجانب العربي الإسلامي وهو الجزء الأكبر الواسع الفسيح وستجدون سماحة وإيماناً بالله، وستجدون إيماناً بالآخرة، واحتراماً للإنسان، وإيماناً حقيقياً بالتعددية، ورغبة جادة في الإسهام بتواضع وموضوعية في معالجة مشاكل قد صارت عابرة للقارات فصار ضرورياً أن يكون الجهد المبذول لعلاجها جهداً عابراً للقارات. ■

اختلاف الرحمة واختلاف المعصية

بقلم: محمد نور سويد

الاختلاف نوعان، جائز ومحرم، فالجائز هو الاختلاف في الرأي الاجتهادي فيما يجوز به الاجتهاد، من اهل الاجتهاد وهو اختلاف رحمة، لانه يؤدي إلى تكثير الرأي، وبالتالي فيه التوسعة على الأمة في العمل.
والنوع الثاني الاختلاف المحرم، وهو أنواع مختلفة:
١-أختلاف في العقيدة، وهو اختلاف أهل البدع والأهواء عن منهج أهل السنة والجماعة.
٢-أختلاف في القلوب المؤدي إلى البغض والكراهية بين المسلمين، وهو مايعرف بأمراض القلب نحو الحسد والكراهية وحب النميمة والفتنة، والسعي لافساد ذات البين، وغيرها من الامراض.
٣- اختلاف يؤدي للخروج على الحاكم المسلم والجماعة المسلمة وهو ماعناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة الجاهلية». رواه أحمد ومسلم والنسائي.
٤-أختلاف في الرأي الذي لايقصد به وجه الله وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وهو ماعناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك» رواه أبو داود والترمذي والبيهقي وابن حبان.
٥-أختلاف يؤدي إلى التنازع والتشاجر والقتال، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال/٤٦].
ولهذا قال الإمام الخطابي رحمه الله:
الاختلاف في الدين له ثلاثة اقسام:
الأول: في إثبات الصانع ووحدانيته، وإنكاره كفر.
والثاني: في صفاته ومشيئته وإنكارهما بدعة.
والثالث: في أحكام الفروع المحتملة وجوهاً «انظر كشف الخفا للعجلوني» ١/٥٦(١).
وكلامنا في هذه المقالة في اختلاف الرحمة وحجيته، لما له من اسهامات كبيرة في طرح الأفكار والآراء، والتي يظنها البعض من النوع المحرم، فيؤدي لتحريم ماأحله الله.
الحجة الأولى:
لقد أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم الاختلاف الاجتهادي في الرأي عندما يكون الأمر محتملاً لذلك، ويضرب الفقهاء الأصوليون مثالاً على ذلك وهو اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في فهم قوله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب« لايصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» فانقسم الصحابة رضوان الله عليهم في الفهم إلى فريقين:
الأول- لم يصل العصر إلا في بني قريظة، ولو بعد فوات وقته، فصلاه بعد وصوله الى بني قريظة، وكانت الشمس قد غربت.
والثاني- صلى العصر في الطريق، وفهم أن المراد هو السرعة في السير إلى بني قريظة لمحاصرتهم.
وعندما وصل الفريقان أقر الرسول صلى الله عليه وسلم الفهمين والرأيين والقولين ولم يخطيء احد الفريقين.
الحجة الثانية:
من واقع حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نرى فيه التوسع في الرأي الاجتهادي حيث يكون الأمر رأياً اجتهادياً.
روى مسلم في صحيحه« باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر» عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما قالا: «سافرنا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيصوم الصائم، ويفطر الفاطر، فلا يعيب بعضهم على بعض».
وروى مسلم أيضاً عن حميد قال: «سئل انس رضي الله عنه عن صوم رمضان في السفر، فقال: «سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم».
وروي أيضا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم، ومنا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم يرون من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون ان من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن.
هكذا ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهكذا تأدب الاصحاب فيما بينهم، حيث الامر اجتهادي ويتحمل اكثر من وجه، فلا يعيب بعضهم على بعض، ولأن الامر حسب طبيعة الفرد، فإن وجد قوة في السفر صام، وان وجد ضعفاً أفطر.
الحجة الثالثة: الأمر بالشورى
حيث لو لم يكن هناك اختلاف في الرأي لما ورد الأمر بالشورى، وفي تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم للشورى قبل غزوة بدر، وفي أسارى بدر، وقبيل غزوة أحد، واختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في الرأي في كل منها، وأخذه صلى الله عليه وسلم بواحد من الرأيين، دليل على الاختلاف في الرأي وكل ذلك مشهور حتى قال البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وامرهم شورى بينهم﴾[الشورى/٣٨] وفي آية آخرى قال ﴿وشاورهم في الأمر﴾[آل عمران/١٥٩].
وان المشاورة تكون قبل العزم والتبين لقوله: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾[آل عمران/١٥٩]. فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله، وشاور النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لأمته وعزم وقالوا: أقم فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: لاينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله، وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة، فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت الى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله، وكان الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو

السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.
ورأي أبو بكر الصديق رضى الله عنه قتال من منع الزكاة فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».
فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين ماجمع رسول صلى الله عليه وسلم. ثم تابعه بعد عمر، فلم يلتفت أبو بكر الى مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، وأرادوا تبديل الدين وأحكامه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه» وكان القراء(أي أصحاب القرآن) اصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً وكان(عمر) وقافاً عند كتاب الله عزو جل. انتهى كلام البخاري رحمه الله.
فهذا كله يدل على جواز الاختلاف في الرأي حيث يكون الأمر أمراً اجتهادياً، وهذا الاجتهاد يبذل من أهل الاجتهاد.
الحجة الرابعة:
اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في الاحكام الفقهية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على بعض الاجتهادات. مما نشأ معه اختلاف المذاهب الفقهية الاربعة المعتبرة من اهل السنة والجماعة وهي المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي.
حتى أخرج البيهقي في (المدخل) عن القاسم بن محمد أو عمر بن عبد العزيز قوله: «لايسرني ان اصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- لم يختلفوا، لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة» المناوي فيض القدير [٢٠٩/٩](١).
وماروي أن الإمام مالك لما أراده الرشيد على الذهاب معه الى العراق، وان يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه- الناس على القرآن فقال مالك- رحمه الله- أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل اليه، لأن الصحابه رضي الله تعالى عنهم، افترقوا بعد موته صلى الله عليه وسلم في الأعصار، فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم» فيض القدير للمناوي٦/٢٠٩(٢).
واخرج الخطيب في ما رواة مالك عن اسماعيل بن أبي المجالد قال: قال هارون الرشيد لمالك بن أنس" يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب- يعني مؤلفات الإمام مالك- ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها الأمة قال: ياأمير المؤمنين ان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على الأمة كل يتبع ماصح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله تعالى.
وذكر بن سعد في طبقاته عن القاسم بن محمد قوله: كان اختلاف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس. وفي رواية أبو نعيم بلفظ آخر: كان اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة لهؤلاء الناس.« كشف الخفاء للعجلوني١/٦٦»(٣).
وإن الإمام احمد بن حنبل له في المسألة الواحدة- غالباً- اكثر من قول حتى يمكن القول مامن رواية في السنة رواها الامام احمد إلا هي قول له، حتى لو كانت تعارض الأولى.
وإذا قرأنا في الفتاوى الكبرى لابن تيمية رحمه الله، والمغني لابن قدامة المقدسي وجدنا فيهما كثرة الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وتلامذتهم،قام كل واحد منهما بسرد تلك الأقوال، وترجيح احداها فيما يوصله اجتهاد اليه. بل إن الأمر في سائر المذاهب الفقهية ،بل وحتى في المذهب الفقهي الواحد هناك اكثر من قول في المسألة الواحدة غالباً.

الحجة الخامسة:
إن الله تعالى ليعطي الحاكم المجتهد، والقاضي المجتهد أجراً على اجتهاده ولو كان خطأ
روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».
وهذا تحريض على الاجتهاد من قبل أهله، ليبذلوا جهدهم، ويقدموا ما في وسعهم.

توضيح لبعض الآيات القرآنية:

أ- قال الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا﴾[آل عمران/١٠٣] فالاعتصام بكتاب الله، والاجتهاد في الرأي هو في الاستنباط من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عندما يكون الأمر محتملاً، كقوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فالقرء لفظ مشترك للحيض والطهر.
كما أن الآية حضت على عدم التفرق الذي يؤدي إلى التباغض والتباعد- حيث كان سبب نزول الآية له، عندما أراد بعض المنافقين تفريق المؤمنين، فأشعلوا بينهم فتيل الفتنة، وماكان بينهم من قتال أيام الجاهلية، فقام بعض الانصار وقال: ياللانصار وقام بعض المهاجرين وقال: ياللمهاجرين، وكادوا ان يقتتلوا، فسمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وقال: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتة، فنزلت الآية.
ب- قال الله تعالى: ﴿ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد جاءهم البينات﴾[آل عمران/١٠٥] أجاب المناوي في فيض القدير ١٢/٦. بقوله: إنما ذم كثرة الاختلاف على الرسل كفاحاً، كما دل عليه خبر: ﴿إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة اختلافهم على أنبيائهم﴾(٤).
هـ- قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم: ولايلزم من كون الشيء رحمة أن يكون ضده عذاباً، ولايلتزم هذا ويذكره إلا جاهل أو متجاهل وقد قال الله تعالى« ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾[القصص/٧٣]. فسمى الليل رحمة، ولايلزم من ذلك أن يكون النهار عذاباً.
د- قوله تعالى: ﴿ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين(هود/١١٩) فالآية تخبر- كما قال ابن كثير- ان الله تعالى قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من ايمان وكفر، وانه لايزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبم وآرائهم.
﴿إلامن رحم ربك﴾ أي إلا المرحومين من اتباع الرسول الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين ولذلك خلقهم فقوله «ولذلك» تعود إلى احد المعنيين ولايزالون مختلفين أي للاختلاف خلقهم، أو الى ﴿إلا من رحم ربك﴾ اي للرحمة خلقهم، أو لكلا المعنيين أي للاختلاف والرحمة خلقهم. (راجع ابن كثير والقرطبي).
قال ابن وهب سألت مالكاً عن قوله تعالى: ﴿ولايزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ قال: فريق في الجنة وفريق في السعير، وقد اختار القول ابن جرير وأبو عبيد الفراء. وفسر

القرطبي قول الإمام مالك بقوله: أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة.
وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:﴿ولايزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾قال الناس مختلفون على أديان شتى (إلا من رحم ربك) فمن رحم ربك غير مختلف.
فقيل له:«لذلك خلقهم» قال: خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لعذابه، وكذا قال عطاء بن أبي رباح والأعمش (انظر تفسير ابن كثير).
وبهذا البيان يتضح ان المقصود في الاختلاف انما اختلاف الدين والملة وليس المقصود هو اختلاف الرأي والاجتهاد، وإلا لما وجدنا اختلاف المفسرين من الصحابة والتابعين حول تفسير آيات القرآن.
فالاختلاف في الاستنباط هو المرتكز الاساسي لخلود الفقه والشريعة الاسلامية، والذي أمد البشرية بالآراء الفقهيه المستنبطة من الكتاب والسنة، والتي تجمعت أخيراً في فقه المذاهب الفقهيه الاربعة التي نقلت إلينا بالتواتر وتحررت الأقوال فيها. قال المناوي في فيض القدير ٦/١٢(٥) (يجب علينا ان نعتقد ان الأئمة الأربعة والسفيانيين والاوزاعي وداود الظاهري واسحاق بن راهوية وسائر الأئمة على هدى،، ولا التفات لمن تكلم فيهم بما هم بريئون منه، والصحيح وفاقاً للجمهور): ان المصيب في الفروع واحد، ولله تعالى حكم عليه أمارة، وان المجتهد كلف بإصابته، وان مخطئه لا يأثم بل يؤجر، فمن اصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر. ثم قال: لكن لايجوز تقليد الصحابة وكذا التابعين كما قال إمام الحرمين من كل من لم يدر من مذهبه،فيمتنع تقليد غير الأربعة في القضاء والافتاء، لان المذاهب الاربعة انشترت وتحررت حتى ظهر تقييد مطلقها، وتخصيص عامها بخلاف غيرهم لانقراض اتباعهم، وقد نقل الإمام الرازي رحمه الله تعالى: إجماع المحققين على منع العوام من تقليد اعيان الصحابة وأكابرهم.
ثم قال المناوي: «نعم يجوز لغير العامي من الفقهاء المقلدين تقليد غير الاربعة في العمل نفسه ان علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنده، لكن بشرط ان لايتبع الرخصة، بأن يأخذ من كل مذهب الأهون بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه» .انتهي.
وهكذا يظهر لنا ان الاختلاف في الرأي الاجتهادي في الفروع العملية وبعض الاصول الفقهية رحمة للأمة، وتوسعة لها، وانه احد المعاني التي وردت فيه الآيات التي تحث على التفكير والاعتبار لأولي الابصار، وبذلك اكتسبت الشريعة الاسلامية المرونة العلمية، وتحققت المعجزة الربانية بخلود الفقه الإسلامي الذي هو مجموع تلك الآراء.
وغدت معرفة الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة مميزة العالم الكامل: فقد قال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه أنفه، وقال سعيد بن عروة: من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالماً.
وقال هشام عبيد الله الرازي: من لم يعرف اختلاف القراء فليس بقارىء، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه.
وقال عطاء: لاينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس، فإنه ان لم يكن كذلك رد من العلم ماهو أوثق من الذي في يديه.
وقال ابو ايوب السختياني: اجسر الناس على الفتيا اقلهم علماً باختلاف العلماء، وامسك الناس عن الفتيا اعلمهم باختلاف العلماء(انظر جامع بيان العلم وفضله للإمام المحدث المجتهد أبي عمر يوسف بن عبد البر) «ت٤٦٣هـ» باب من يستحق ان يسمى فقيهاً أو عالماً حقيقة لامجازاً ومن يجوز له الفتيا عند العلماء٢/٤٣. (٦)
وتلك الأقوال ان دلت على شيء، فإنما تدل على وجود الاختلاف في الرأي بل وان معرفة تلك الآراء هي العلم حتى انتشر قولهم: اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس والمقصود بالناس هنا العلماء.
ولقد جهد بعض العلماء في دراسة أسباب الاختلاف في الرأي فعزيت إلى عدة اسباب اهمها:
١-اختلاف الرواية: نحو قوله صلى الله عليه وسلم:«ماأدركتم الصلاة فصلوا. ومافاتكم فأتموا وفي رواية فأقضوا».
٢-الاختلاف في الحكم على صحة الحديث الشريف وضعفه، فمثلاً شرط البخاري ثبوت اللقاء بين الراويين، بينما شرط مسلم ثبوت المعاصرة بين الراويين، فصحيح مسلم على شرط البخاري ليس بصحيح، لذا قال العلماء: إذا احتج إمام مجتهد بحديث دل ذلك على صحته عنده، وتصحيح للحديث.
٣-الاختلاف في لغة الإعراب والمدارس اللغوية البصرية والكوفية والبغدادية.
٤-الاختلاف في الفهم والدراية.
٥-الاختلاف بسبب وجود القراءات العشر، فالذي يحتج بقراءة متواترة من القراءات العشر رأيه معتبر.
٦-الاختلاف في اصول الاستنباط وأصول الفقه.
٧-وجود اكثر من معنى يحتمله النص، ولهذا قال الاصوليون الدليل إذ طرأ عليه الاحتمال بطل به الاستدلال، اي الاستدلال على الخصم وليس كلمة الخصم هنا تعني العدو، معاذ الله، فهذا لايعرفه العلماء، وانما فهمه من لاعلم له بأقوال العلماء، ومن لايتلقي عنهم، ولايزاحمهم بالركب، وانما يقرأ من الكتب ويفهم حسب هواه.
والى غيرها من الاسباب.
وبهذا يتضح البيان بين اختلاف المعصية، وان المقولولات التالية صحيحة، اذا بقيت ضمن ماتم بيانه:
-الاختلاف في الرأي لايفسد للود قضية.
- وان نعمل فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.
-وان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب.
وبالله التوفيق وهو الهادي للصواب.

المراجع

١-المناوي فيض القدير ٦/٢٠٩
٢-المناويج٦ص٩٢
٣-كشف الجفاء للعجلوني ١/٦٦
٤-المناوي في فيض القدير ٦/١٢
٥- فيض القدير ٦/١٢
٦-جامع بيان العلم وفضله للإمام المحدث المجتهد أبي عمر يوسف بن عبد البر في باب من يستحق ان يسمى فقيهاً او عالماً حقيقة لامجاز٢/٤٣

الحسبة المفترى عليها

شريعة

كثيراً ماتضيع الحقائق وتغيب الجواهر بين الركام، وتتشابه الاشباح في الظلام، يحدث هذا حاضراً وقد حدث ماضياً، والدين الحق جوهرة ثمينة بلسم شاف للبشرية والدين الحق قد اشتبه بين الافراد وغالوا فيه فشوهوه، وفرطوا فيه فعابوه وطمسوا معالمه ومحاسنه لكنه بقي سليماً صحيحاً، معافي محفوظاً، وبقي منهجه الإلهي القويم في الاعتدال عقيدة وشريعة وسلوكاً.

تعددت وتنوعت كتابات من امشاج شتى في «الحسبة» من غير اهل التخصص العلمي الدقيق عبر مايتاح لهم في الوسائل الاعلامية بزعم مجابهة مايسمى « بالتطرف» ومن بعض الكتاب الدارسين او العاملين في حقل الدعوة الاسلامية، وامسى الناس في حيرة من امرهم فيما يخص هذا الباب من العلم، لذلك اسطر السطور التالية لإماطة اللثام عن معنى الحسبة ومشروعيتها وحكمتها وانواعها.

بقلم /د. احمد محمود كريمة

الحسبة لغة: اسم من الاحتساب ومن معانيها الأجر وحسن التدبير والنظر والاختبار والانكار(١) واصطلاحاً: عرفها جمهور الفقهاء بأنها« الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله»(٢).

ومشروعية الحسبة شرعت طريقاً للإرشاد والهداية والتوجيه الى مافيه الخير ومنع الضرر، و قد حبب الله- تعالى- الى عباده الخير وامرهم بأن يدعو اليه، وكره اليهم المنكر والفسوق والعصيان ونهاهم عنه، كما امرهم بمنع غيرهم من اقترافه وبالتعاون على البر والتقوى والنصوص والشواهد في ذلك كثيرة قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...﴾(٣).

وقال تعالى:﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم- «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا»(٦).

وقال صلى الله عليه وسلم-« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٧) اما الاجماع فقد اجمعت الامة سلفاً وخلفاً على مشروعية الحسبة.

مشروعيتها ان الناس على ماهو معلوم في مختلف الاعصار والامصار بحاجة ماسة الى من يرشدهم إذا جهلوا، ويذكرهم اذا نسوا، ويكف شرهم اذا ضلوا وأضلوا، وهذا من دواعي تشريع الديانات، وقيام النبوات، وظهور الرسالات التي في مجمل وسائلها آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، وعلى هذا فالحسبة التي هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تعد منهاج الهادين الصالحين المصلحين والمرشدين الصادقين، وبهذا فقد اضحت مع إسفار صبح الاسلام امراً متبعاً وشريعة ضرورية تهدف الى التذكير بالمعروف والحث عليه والدعوة اليه وتوضيح المنكر والتنفير والتحذير منه.

صفتها:

الحسبة ولاية شرعية ووظيفتها دينية تلي في المترتبة وظيفة« القضاء» اذ ان ولايات رفع المظالم عن الناس- اجمالاً- على ثلاث مراتب:

ولاية المظالم، ولاية القضاء، ولاية الحسبة.

والحسبة من الخطط الدينية الشرعية التي لايمارى فيها إلا المارقون الجاحدون الكائدون للدين المجترئون على شعائره وحرماته(٨).

الحكم التكليفي:

الحسبة واجبة في الجملة من حيث هي لابالنظر الى متعلقها إذ انها قد تتعلق بواجب يؤمر به، او مندوب يطلب عمله، أو حرام ينهى عنه.

فإذا تعلقت بواجب أو حرام فوجوبها حينئذ على القادر عليها ظاهر، واذا تعلقت بمندوب او بمكروه فلا تكون حينئذ واجبة بل تكون امراً مستحباً مندوباً اليه تبعاً لمتعلقها(٩).

واذا علم هذا فإن جمهور الفقهاء قد ذهبوا الى الحسبة فرض كفاية(١٠)واستدلوا بقول الله تعالى:﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وأولئك هم المفلحون﴾(١١).

وجه الدلالة: ان الخطاب موجه الى الكل مع اسناد الدعوى الى البعض بما يتحقق معنى فرضيتها على الكفاية، وأنها واجبة على الكل

الكتابة عن الحسبة تنوعت وتعددت وبات الناس في حيرة من امرهم فيما يخص هذا القانون

لكن لو اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل أثموا جميعاً.

وقد تكون فرض عين في حق طائفة مخصوصة وأحوال معينة فمن ذلك:

أ- من يكون في موضوع لايعلم بالمعروف والمنكر إلا هو، أو علم أنه يقبل منه ويؤتمر بأمره، أو عرف من نفسه صلاحية النظر في ذلك أو عرف منه ذلك فإنه يتعين عليه الأمر والنهي(١٢).

ب-من لايتمكن من مزاولة الأمر والنهي إلا هو كالزوج مع زوجه والأب مع أبنائه، والمعلم مع طلابه(١٣).

ج-الأئمة والولاة ومن ينتدبهم أو يستنيبهم ولي الأمر عنه والأصل فيه قوله -تعالى:﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾(١٤).

انواعها:

لولاية الحسبة نوعان:

أ-ولاية أصلية مستحدثة من الشارع وهي الولاية التي اقتضاها التكليف بها لتثبت لكل من طلبت منه.

ب- ولاية مستمدة وهي الولاية التي يستمدها من عهد اليه في ذلك من الحكام وهو المحتسب(١٥).

شروط المحتسب: اشترط الفقهاء الذين بين المولى الكريم في قرآنه المجيد اختصاصهم وتأهلهم لاستنباط الاحكام الشرعية فقال تعالى:﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(١٦) وهي كالتالي:

١-الإسلام: والأصل فيه قوله -تعالى:﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾(١٧).

وجه الدلالة: ان الاسلام شرط من شروط الاحتساب لما فيه من عز التحكيم فخرج الكافر لانه ذليل لايستحقه. ولان في الامر والنهي نصرة للدين فلايكون من اهلها من هوجاحد لاصل الدين (١٨).

٢-التكليف «البلوغ والعقل: والحسبة كغيرها من الولايات وسائر ما يكون واجباً تستدعي وفور العقل وكماله، وهذا يكون بالبلوغ الشرعي والعقل وإلا فإن فاقدهما لاتكليف عليه في حق نفسه فمن باب اولى لاتكليف عليه في حق غيره(١٩).

٣-العلم: يعني به العلم بأحكام الشريعة في الجملة واحكام مايحتسب فيه خاصة(٢٠).

٤-العدالة:وهي هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة او صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة(٢١).

والاصل فيها نصوص منها قوله تعالى﴿اتأمرون الناس بالبروتنسون انفسكم﴾(٢٢)،﴿كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون﴾(٢٣)، وقوله﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه﴾(٢٤).

٥-القدوة: والاصل فيها﴿الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾(٢٥).

ويعني بها الاستطاعة والسلامة.

مراتب الاحتساب

يمكن إيراد اهمها فيما يلي:

أ- التنبيه والتذكير

ب- الوعظ والتخويف

ج-الزجر والتأنيب

هـ-التغيير باليد« للحاكم أو لمن أنابه أو فوضه»

و-ايقاع العقوبة« للحاكم أو لمن أنابه أو فوضه»

هذه بعض الاحكام الفقهية للحسبة الشرعية المفترى عليها من المجترئين على الشريعة الاسلامية بغية العبث بأحكامها المستندة إلى اصول شرعية معتبرة ومتعمدة «والفتنة نائمة لعن الله من أيقضها».

أما الحسبة المفترى بها فقد اجترأ على تعاطيها في الأمور العامة بعض فاقدي شروطها أو اقحمت في احوالها معينة تجعل القول او العمل حراماً ويتضح هذا في حالتين:

أ-الجاهل بالمعروف والمنكر الذي لايميز موضوع احدهما من الآخر فهذا يحرم في حقه لانه قد يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف!!.

ب- ان يؤدي انكار المنكر الى اعظم منه مثل ان ينهي عن شرب الخمر فيؤدي نهيه عن ذلك إلى قتل النفس (٢٧).

ولذلك اذكر الغيورين على قدسية الدين وحرمة شعائرة في ايام التواثب على الدين يقول الله -تعالى-﴿واصبر على ماأصابك﴾(٢٨) وقوله تعالى:﴿ولاتلقوا بأيدكم الى التهلكة﴾(٢٩) وقوله ﴿عليكم انفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم﴾(٣٠).

فيابني جلدتنا المتكلمين بلساننا اتقوا الله ربنا وربكم في شريعته ولا تفتروا عليها أو بها!!

والله الهادي إلى سواء السبيل. ■

الحسبة شرعت طريقاً للارشاد والهداية والتوجيه الى مافيه الخير ومنع الضرر

الهوامش

١-لسان العرب١/ ٣١٤ ومابعدها، المصباح مادة (حسب)
٢-الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٠، ولابي يعلي ص ٢٦٦.
٣-الآية ٧١من سوة التوبة
٤-الآية ١٠٤ سورة آل عمران
٥-الآية ٢ من سورة المائدة
٦-سنن أبي داود٤ /٥٠٨
٧-صحيح مسلم١ /٦٩
٨-الحسبة لابن تيمية ص١٠ ومابعدها، الطرق الحكيمة ص٢٣٩، احكام القرآن لابن العربي ١٦٢٩ ومابعدها.
٩-الفروق٤ /٢٥٨ معالم القرية في احكام الحسبة ص٢٢، الزواجر عن اقتراف الكبائر٢ /١٦٨- الأداب الشرعية١ / ١٩٤.
١٠-احكام القرآن للجصاص ٢ / ٣١٥ ولابن العربي١ / ٢٩٢ وللكيا الهراسي٢ / ٦٢.
١١-الآية ١٠٤ من سورة ال عمران
١٢-شرح النووي على مسلم٢ / ٢٣ الآداب الشرعية١ / ١٧٤
١٣-المراجع السابقة وانظر نصاب الاحتساب ص١٩٠
١٤-الآية ٤١ من سورة الحج
١٥-الاشباه والنظائر لابن نجيم ص٢٤٢، الطرق الحكمية ص٢٣٦ ومابعدها.
١٦-الآية ٨٣ من سورةالنساء.
١٧-الآية ١٤١من سورة النساء.
١٨-احياء علوم الدين٢ /٣٩٨، معالم قرابة ص٨
١٩-احياءعلوم الدين ٢ /٣٩٨، معالم قرابة ص٧.
٢٠-المرجع السابق ص٨ / تحفة الناظر ص٧.
٢١-الاشباه والنظائر للسيوطي ص ٣٨٤، المستصفى ١ / ١٠٠
٢٢-الآية ٤٤ من سورة البقرة
٢٣-الآية ٢من سورة الصف
٢٤-الآية ٨٨من سورة هود
٢٥-الآية٤١ من سورة الحج
٢٦-احياء علوم الدين ٢ / ٤٢٠، الطرق الحكمية ص١٠١ ،معالم القربة ص١٩٥.
٢٧-احياء علوم الدين ٢ /٤٢٨، اتحاف السادة المتقين ٧ /٥٢.
٢٨-الآية ١٧ من سورة لقمان.
٢٩-الآية ١٩٥ من سورة البقرة.
٣٠- الآية ١٠٥ من سورة المائدة.

شريعة

الخلوة الصحيحة وأثارها الشرعية

قبل ان نتعرض لتعريف الخلوة الصحيحة والآثار المترتبة عليها، وتوضيح الفروق بينها وبين الدخول الحقيقي، نعرض أولا مقدمة واجبة، لوجوب المهر كاملا. وكذلك ايضاح الفرق بين الدخول وبين العقد كسببين من اسباب وجوب المهر.

بقلم: عمر ابراهيم الراكشي

الدخول:

اذا كان سبب وجوب المهر هو الدخول لا العقد كما في «الزواج الفاسد» وكما في «الدخول بإمراة بشبهة». فإن المهر يجب من اول الامر وجوبا مؤكدا غير قابل لأن يسقط كله او بعضه، لأن سبب وجوبه وسبب تأكده واحد وهو الدخول فيكون وجوبه مقارنا لتأكده.

فإذا افترق الزوجان بأنفسهما في عقد الزواج الفاسد بعد ان دخل بها الزوج دخولا حقيقيا، أو فرق بينهما القاضي، أو مات أحدهما، فإن المهر يجب كاملا، لايسقط منه شيء، سواء كان المهر الواجب مهر المثل وذلك اذا لم توجد تسمية للمهر في العقد، او كان المهر الواجب هو الأقل من المسمى ومن مهر المثل، وذلك إذا كان المهر مسمى وقت العقد تسمية صحيحة، فالقاعدة المقررة ان المهرالواجب بالدخول وبالعقد يجب من أول الامر وجوبا مستقرا غير قابل للسقوط كله او بعضه.

العقد:

أما اذا كان سبب وجوب المهر هو العقد لا الدخول، كما في عقد «الزواج الصحيح» فإن المهر يجب من اول الامر وجوبا غير مؤكد، اذ يحتمل ان يسقط كله او بعضه لحصول الفرقة بين الزوجين قبل ان يوجد مايؤكد وجوب المهر.

والذي يؤكد وجوب المهر في حالة العقد واحد من ثلاثة أمور:

إما الدخول الحقيقي، او الخلوة الصحيحة، او موت أحد الزوجين قبل الدخول الخلوة.

١- وهذه الامور الثلاثة هي التي تؤكد وجوب المهر بتمامه، فإذا وجد واحد منها اصبح وجوب المهر مؤكدا ومستقرا غير قابل لأن يسقط كله او بعضه اذا حصلت فرقة بين الزوجين لأي سبب من الاسباب سواء كانت الفرقة من قبل الزوج او من قبل الزوجة، وسواء كانت الفرقة طلاقا او فسخا لعقد الزواج، وانما تأكد وجوب المهر بالدخول الحقيقي لقوله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾ [النساء/ ٢٤].

وكلمة فريضة: تعني مفروضة مقررة، وايضا بدخول الزوج بزوجته يكون قد استوفى المعقود عليه واستمتع بزوجته استمتاعا كاملا، فيتقرر لها المهر كاملا.

٢- وعلى الجملة تأخذ الخلوة الصحيحة ذات الحكم المقرر للدخول الحقيقي فتلحق به في وجوب المهر، وذلك ان المرأة فعلت مافي مقدورها وسلمت نفسها لزوجها بالخلوة الصحيحة- التي سيأتي تعريفها فيما بعد- ولم يوجد هناك مانع من قبلها في ان يدخل بها الزوج دخولا حقيقيا، لكنه هو الذي اكتفى بالخلوة دون الدخول بها دخولاً حقيقياً، فلا تؤآخذ هي بتقصيره، فيتقرر لها المهر كاملا. وسوف نبين فيما بعد الفروق الجوهرية في الآثار والاحكام بين الدخول الحقيقي وبين الخلوة الصحيحة.

٣-اما في حالة موت احد الزوجين فإن المهر يتاكد وجوبه لأن عقد الزواج ينتهي بالموت، والشيء بانتهائه يأخذ حكمه كاملا فإذا كان الزوج هو الذي مات فإن الزوجة تأخذ مهرها أو مابقي منه من تركة زوجها قبل قسمتها بين الورثة باعتباره دينا في ذمة زوجها، فالقاعدة ان الديون تستقضي من التركة قبل قسمتها بين الورثة.

أما إذا كانت الزوجة هي التي توفيت قبل زوجها، فإن ورثتها يأخذون مهرها او مابقي منه من زوجها لكونه واجبا في ذمته بعد خصم نصيب الزوج في تركتها، وهو النصف إن لم يكن لها ولد، أو الربع إن كان لها ولد.

وفي كون الموت مؤكدا لوجوب المهر بتمامه، فإنه لافرق بين ان يكون الموت طبيعيا او غير طبيعي، كما اذا قتل اجنبي احد الزوجين، أو قتل الزوج الزوجة، أو قتل الزوج نفسه، او قتلت الزوجه نفسها، فلافرق في ذلك كله على

> وجوب المهر وجوباً مؤكداً في أول الأمر سببه الدخول لا العقد كما في الزواج الفاسد

الرأي الراجح عند الحنفية.

الخلوة الصحيحة:

الخلوة الصحيحة التي تؤكد وجوب المهر بتمامه، وتقوم مقام الدخول الحقيقي لا تكون إلا في الزواج الصحيح. فالخلوة في العقد الفاسد لاتكون صحيحة اصلا. ذلك ان العقد متى كان فاسدا فهو مانع للزوج ان يستمتع بزوجته الاستمتاع الذي يترتب على الزواج الصحيح.

فالخلوة الصحيحة إذن هي ان يجتمع الزوجان بعد عقد الزواج الصحيح منفردين، في مكان آمنين من اطلاع غيرهم عليهما من غير إذنهما، وليس هناك مانع حسي او شرعي أو طبيعي يمنع الزوج من ان يدخل بزوجته دخولا حقيقيا.

فإذا توافرت كل هذه الشروط في الخلوة كانت صحيحة، وقامت مقام الدخول الحقيقي في تأكيد المهر ووجوبه كاملا، فإذا فقد شرط من هذه الشروط تكون الخلوة فاسدة أي غير صحيحة ولايترتب عليها الاحكام المترتبة على الخلوة الصحيحة.

فإذا اجتمع الزوجان بعد العقد في مكان لايأمنان فيه من اطلاع غيرهم عليهما، أو وجد مانع حسي كوجود ثالث معهما سواء كان هذا الثالث اعمى او نائما او صبيا يعقل الاشياء، وإذا وجد مانع شرعي كما اذا كانا صائمين في شهر رمضان او كانت الزوجة حائضا، او وجد مانع طبيعي كمرض او سفر يحول دون الدخول الحقيقي فلا تكون الخلوة في هذه الصور صحيحة، وبالتالي لايتاكد بها وجوب المهر بتمامه ولا غيره من الاحكام.

وجدير بالذكر ان الخلوة الصحيحة توافق الدخول الحقيقي في احكام، وتخالفه في احكام اخرى ونعرض اولا لأوجه الموافقة.

أوجه الموافقة

١-تشارك الخلوة الصحيحة الدخول الحقيقي في تأكيد المهر الواجب بالعقد الصحيح

٢-تشارك الخلوة الصحيحة الدخول الحقيقي في ايجاب العدة على المرأة إذا طلقت، وفي الاحكام المترتبة على وجوب العدة، فإنه يحرم على المطلق مادامت مطلقته في العدة ان يتزوج بأختها ومن في حكمها، كما يحرم عليه ان يتزوج بامرأة خامسة إذا كان متزوجا من أربع، مادامت مطلقته في العدة، كما يجب عليه نفقة المعتدة.

٣-تشارك الخلوة الدخول الحقيقي في ثبوت النسب، فإذا أتت المرأة بولد بعد ان اختلى بها خلوة صحيحة يثبت نسب هذا الولد اذا توافرت شروط ثبوت النسب وفي الحقيقة ان ثبوت النسب حكم من احكام عقد الزواج الصحيح وليس حكما للخلوة الصحيحة.

أوجه المخالفة

وتختلف الخلوة الصحيحة عن الدخول الحقيقي في الاحكام التالية:

١-ان دخول الزوج بزوجته دخولا حقيقيا يحرم عليه ان يتزوج من ابنتها، فإذا دخل الزوج بزوجته ثم توفيت الزوجة، او طلقها وانقضت عدتها منه فلايجوز له ان يتزوج بفروعها، بخلاف ما إذا اختلى بزوجة خلوة صحيحة من دون ان يدخل بها دخولا حقيقيا ثم توفيت الزوجة، او طلقها وانقضت عدتها منه فإن له ان يتزوج بفروعها.

٢-ان الطلاق بعد الخلوة الصحيحة بالمرأة يكون بائنا في جميع الاحوال، بخلاف الطلاق بعد الدخول الحقيقي بها، فإنه قد يكون رجعيا وهي في العدة وقد يكون بائنا.

٣-ان الدخول بالمرأة المطلقة طلاقا رجعيا وهي في العدة يعد مراجعة من الزوج لها، بخلاف ماإذا اختلى بها وهي لاتزال في العدة خلوة صحيحة فلا يعد ذلك مراجعة منه لها.

٤-إذا طلق الرجل زوجته طلاقا مكملا للثلاث فإنها تحرم عليه تحريما موقتا، فإذا تزوجت بغيره ودخل بها الزوج الثاني دخولا حقيقياً ثم فارقها لأي سبب من الاسباب وانقضت عدتها من الزوج الثاني فإنها تصبح محللة لزوجها الأول، بخلاف ماذا اختلى بها الزوج الثاني خلوة صحيحة ثم فارقها وانقضت عدتها منه فإنها لاتكون محللة للزوج الأول لان النصوص الشرعية اشترطت لتكون محللة للزوج الأول ان يدخل بها الثاني دخولا حقيقيا.

٥-إذا طلق الرجل زوجته بعد ان اختلى بها خلوة صحيحة ثم توفي أحدهما وهي في العدة فلا توارث بينهما، لأن الطلاق بعد الخلوة الصحيحة طلاق بائن في جميع الاحوال، ولاتوارث بين الزوجين في الطلاق البائن.وهذا بخلاف ماذا طلق الرجل زوجته بعد الدخول بها حقيقة، ثم توفي أحدهما وهي في العدة فقد يتوارثان اذا كان الطلاق رجعياً، وقد لايتوارثان إذا كان الطلاق بائنا.

٦- إذا دخل الرجل بزوجته دخولا حقيقيا يكون محصنا فإذا زنى بعد ذلك فعقابه الرجم لا الجلد، وأما اذا اختلى بزوجته خلوة صحيحة دون ان يدخل بها حقيقة فلا يكون محصنا فإذا زنى بعد ذلك فعقابه الجلد لا الرجم.

ولايخفى أنني بهذه المقالة أردت ان أعرّف القارىء الكريم بالخلوة الصحيحة وما يترتب عليها من احكام وآثار شرعية، حيث انها تعرض لنا كثيرا في الحياة، وتستتبع كثيرا من المنازعات العائلية أو القضائية، حيث يصعب على الكثيرين معرفة أوجه الاتفاق في الحكم بينها وبين الدخول الحقيقي، وكذلك أوجه الاختلاف بينهما، وعلى نحو يجعل من العسير على الشخص العادي تحديد الآثار الشرعية المترتبة على الخلوة الصحيحة تحديداً دقيقا، فلزم التنويه على التفصيل الوارد في هذه المقالة. وعلى الله قصد السبيل. ■

الخلوة الصحيحة تؤكد وجوب المهر بتمامه وتقوم مقام الدخول الحقيقي وتكون في الزواج الصحيح

الإنسان بين الشك والإيمان

عقيدة

إن الشك فيما لا يحتاج إلى الشك معناه ضعف في الإيمان، وأن الإيمان دليل على قوة الإنسان وتمكنه من ضبط النفس والسيطرة على العواصم واستخدام العقل. وهذا الموضوع حاولت فيه معالجة هذا الجانب، علما بأن مسألة الشك واليقين أمست من المسائل الملحوظة في سلوك الناس وممارستهم للحياة، كما تظهر من خلال الارتباطات والمعاملات والعلاقات الإنسانية العامة.

بقلم: علال البوزيدي

الإنسان كما خلقه الله على الفطرة لا ينجو من مخاطر الشك، ومعالم اليقين وتقوية الإيمان، وبالتالي فإنه سريع التأثر بالمحسوسات والملموسات والمسموعات، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان في تكوينه الجسدي والعقلي خمس حواس، وهذه الحواس الخمس، تميزه عن باقي الكائنات الأخرى، وهي خاضعة للعقل والعاطفة، وقد حاول العلم الرياضي تحليل هذه الخصائص المعلومة في سلوك الإنسان وتصرفاته، ولم يوفق إلى ذلك كتاب الله المنزل القرآن الكريم، الذي ما ترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام/٣٨] هذا الكتاب الخالد الذي جاء بما ينقذ الإنسانية من ضلالات الشرك ومتاهات الشك إلى نور اليقين والإيمان، وانتشال النفس البشرية المعذبة من حلبة الصراع بين المادة والروح، وقام بنشره وتوضيح تعاليمه للناس أجمعين رسول صادق أمين صلى الله عليه وسلم، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة وأسوة حسنة، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب/ ٢١].

> القرآن الكريم كتاب خالد جاء لينقذ الإنسانية من ضلالات الشرك ومتاهات الشك إلى نور اليقين والإيمان

مسيرة الإنسان

وهكذا فإن مسيرة الإنسان في هذه الحياة لا تستقيم ولا تنجح إلا بتطبيق شريعة الله التي جاء بها القرآن الكريم، واتصاف الإنسانية بأحكامه العادلة، وعندما يملأ الإيمان القلوب لا يبقى هناك مجال للشك والإلحاد، بل ستنمو في الإنسان القيم والأخلاق،كما تنمو فيه خصائص وصفات يتميز بها عن الحيوان، وفي ارتقاء الإنسان إلى هذا المستوى حد فاصل بينه وبين التأثر بأسباب التمييع التي تحرك في الوسط الإنساني أسباب الصراعات الأيديولوجية والمذهبية والعقائدية، وتصبغ الصراع بأصباغ فلسفية جافة ومادية محضة، وعندئذ يتضح بأن وراء الصراعات المفتعلة دوافع حيوانية هدفها إرضاء النزوات وإشباع الغرائز والانحطاط بالقيم الإنسانية والمثل العليا، إذ لا يمكن لأي مجتمع التحضر والتمدن والتقدم الحقيقي دون مقومات، بل لابد من ارتكاز نهضته على القيم والمثل والأخلاق الإنسانية.. ولا غرو أن هذه القيم في عصرنا الحاضر المتميز بالتقدم العلمي والتكنولوجي لم تعد بالشيء المهم من وجهة نظر الحداثة والمعاصرة، فأصبح

الناس أكثر تهافتا على جمع المال، وكأنهم في هذه الدنيا خالدون مع أن الخلود والبقاء لله سبحانه وتعالى، والإسلام لا يحقر المادة، ولا يرفض الاجتهاد من أجل تحصيل المال، ولكن في نطاق الشريعة الإسلامية، ففي التربية الإسلامية تعاليم تحث على ممارسة التجارة واستثمار المال، ولكن من دون إفراط في الأرباح ومن دون احتكار، ودون ربا، كما أن الإسلام يحب العبد المحترف الذي يبتكر ويمارس الفلاحة والصناعة والعمل الصالح لاكتساب عيش شريف بعرق الجبين، فالعمل كرامة وشرف للإنسان، وكل الأسباب المشروعة التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية يتفوق فيها عقل الإنسان.

الإيمان

والإيمان هو مصدر الحركة التي ينتج عنها نشاط المجتمع الإنساني، والحركة النابعة من الإيمان تكون حركة مباركة ناجحة في كل ممارسة لأسباب الحياة، ولذلك فإن عمل المؤمن يكون دائما منطلقا من العقيدة الصحيحة المتجسدة في الإسلام، وتعتبر الحركة واستمرارية العمل الصالح عند المسلم نقطة الانطلاق والوجود الواضح للعقيدة الإسلامية التي تسمو بالإنسان نحو الفضائل والمكارم وترتفع به عن المساوئ والرذائل. ذلك لأن النشاط الفكري والإبداعي السليم مصدره التصور الإسلامي، فالتعبير عن النشاط الإنساني بكل انعكاساته المتصلة بظروف الإنسان المختلفة وطبيعة الوجود والحياة في النفس، وما يتفرع عن ذلك من الأصول والمبادىء في الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا النشاط الإنساني وحركة التاريخ، ولا يعي حق الوعي هذه الحقائق إلا الإنسان الذي يمتلىء قلبه ونفسه بالثقة في الدين والعقيدة، ويعبر عن ذلك في ممارسته لعقيدته عمليا ومن خلال سلوكه في الحياة ومعاملته للآخرين.

> الإيمان مصدر الحركة التي ينتج عنها نشاط المجتمع الإنساني وتكون ناجحة إذا نبعت منه

وبهذا المستوى الإيماني يقوم الإنسان المسلم المؤمن برسالته الإنسانية متحديا كل الأفكار الفاسدة معرضا عن كل التيارات الفكرية المنحرفة المعاصرة، سالكا في حياته الاتجاه الأقوم والطريق الأسلم، لأن التسلح بالإيمان هو الرصيد الضخم الذي لا يوازيه أي رصيد آخر، ولم يكن تحصيل هذا المستوى الإيماني الذي يخرج الإنسان من ظلمات الشك إلى أنوار اليقين بالشيء العادي، بل إنه مستمد من الإلهام بوحدانية الله خالق هذا الكون ومبدع هذا الوجود ومن فيه، ولذلك فإن الذين آمنوا يرجعون إلى الله والرسول فيما يختلفون فيه. والواقع أن الإنسان الحديث انتابته الحيرة وسيطر عليه الشك، ولم يعد يعاني فقط الوساوس التي توسوس بها الشياطين التي تتربص الدوائر بالإنسان في كل مكان وتزين له حب الشهوات وتغريه بملذات الحياة، فهذه الوساوس قد لا تؤثر في القلوب العامرة بالإيمان، بل سرعان ما ترفضها وتصد عنها إذا ما كان القلب مطمئنا بالإيمان، فلا مكان فيه للوسوسة، ولكن الشك أخطر لكونه شعبة من شعب الفكر والنفاق ولعل هذا جانب من منطلق الصراع الذي تخوض فيه النفس الإنسانية، ولابد لمواجهة هذا الصراع من التسلح بالإيمان، ومن الالتزام بعقيدة دينية صحيحة، ورحم الله شيخ الإسلام ـ ابن تيمية الذي قال: (إن الإيمان بالله فطري ضروري)، وهو أشد رسوخا في النفس من مبدأ العلم كقولنا: (الواحد نصف الاثنين)، والتدين عنصر ضروري لتكميل الفطرة في الإنسان، فيه وحده يجد العقل لتحقيق مطامحه العيا، كما يجد الوجدان في التدين ضالته المنشودة، وفي هذا الموضوع تحدث أكثر من واحد من علماء الإسلام، فأجمعوا على القول إن الإنسان بفطرته لا يملك أن يستقر في هذا الكون العجيب الأعظم ضائعا تائها، فلابد له من رباط في هذا الكون يضمن له الاستقرار، وفسره العلماء بأنه العقيدة التي تلهم الإنسان إلى معرفة مكانته الحقيقية في الكون، وكذا معرفة ما يحيط به، ووصفوا الإسلام بأنه دين عقيدة وشريعة، ونظام اجتماعي يحكم حياة كل الأفراد، ويضع لهم قواعد السلوك وإشعار الإنسان بمسؤوليته نحو نفسه ونحو أسرته وأولاده، وبالتالي كيف يتعايش مع من حوله، وهذا هو أساس الاندماج الاجتماعي المتكامل وهو الوضع السليم الذي ينبغي أن يكون عليه المجتمع المتعاون والمتكافل.

> مسيرة الإنسان في هذه الحياة لا تستقيم ولا تنجح إلا بتطبيق شريعة الله كما جاءت في كتابه وسنة نبي

ومجمل القول إن الإيمان شيء ضروري لا معنى لحياة الإنسان من دونه ولذلك قيل إن منزلة الإيمان في القلب بمثابة منزلة الرأس من الجسد.

فاللهم ارزقنا إيمانا قويا، ويقينا صادقا، وعلما نافعا، وقلبا خاشعا، وإيمانا نهتدي به، ونورا ويقينا نقتدي به، وارزقنا حلالا نكتفي به، لا إله إلا أنت سبحانك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. ■

العبودية.. وقضية التوحيد

عقيدة

غير خافٍ على أحد ما يحياه الإنسان المعاصر بين جواذب ومثيرات.. ونوازع وشهوات. غلبتها شديدة... تسعى جميعها بعون من الشيطان إلى احتواء ذلك الإنسان، والسيطرة عليه واستعباده! ولعل مهادنة تلك القوى الطاغية: لا يتوقف أثرها على ضعف النفس البشرية وحسب، فبحكم استعداد النفس للاستئناس بالسوء والركون إليه.... (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) يوسف ـ ٥٣، قد يقضي الأمر بها إلى الذوبان والتبعية وينتقل الإنسان شيئاً فشيئاً من دور العبودية لله إلى دور الشرك، حيث ترزح نفسه ذليلة تحت حكم القوى الغالبة، عاملاً في خدمتها ومؤتمراً بأوامرها... تلك التي لا تتفق ـ غالباً ـ في الميول والاتجاهات.

بقلم: عطية فتحي الويشي

لقد دلل القرآن الكريم على ذلك مصوراً طرفاً من هذا الموقف البالغ الحرج... أحكم تصوير... فقال: (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً) الزمر ـ ٢٩. فبوسعنا أن نتخيل حال المرء وهو عامد إلى تلبية حاجات أمرائه المتعددين... ذوي الميول المتباينة... وفي آن واحد... هذا يأمره بالتوجه شمالاً... وذلك يريده أن يتجه يميناً... وآخر يؤكد عليه بالبقاء بين يديه... إنها عملية معجزة.... فيها ما فيها من العنت والتعب والمشقة و والمكابدة في سبيل بلوغ رضى سادته وأمرائه... ولكن دون جدوى... (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) الحج ـ ٣١.

إن الوثنية بأنماطها التقليدية المألوفة: لم تعد ذات بال في سياق المعترك العام للحياة المعاصرة التي تأثرت إلى حد كبير بتيار الحضارة الذي يجتاح المجتمعات الإنسانية بأسرها، ذلك التيار الذي أفرز أنماطاً متباينة من التألهات التي انطبعت ـ على حين غفوة ـ في الشعور الإنساني: كأوثان خفية .. فاتباع الهوى وعشق الذات، والتعلق المهين بأستار الدنيا، والشغف بالزوجة، واللهفة على الولد، وتعليق قضاء الحوائج وتصريف الشؤون على غير الله... وكل ما كان من هذا الباب: ضرباً من الشرك والوثنية!

ولعل الناظر المتفحص لما بين سطور القرآن الكريم... تهوله إيقاعات التلميح إلى ضرورة التحوط لقضية التوحيد، وتفادي ما يعترض سبيل المؤمنين من فخاخ الوثنية التي لا تخطر ببال ولا تثر أي انتباه... ونضرب أمثلة لها: ـ

ـــ فإزاء معطيات الحياة من متع وملذات.. لا يجد المرء من مزاجه وهواه إلا ميلاً لتعاطيها كلما عنّ له ذلك دون تورع بهدي عقيدة أو إنزاع بخلق أو فضيلة... ولا يزال الإنسان يولي جوارحه ومشاعره ونوازع نفسه شطر هواه... يدور في فلكه ويأتمر بأمره فلا تحرك ولا سكون إلا بوحي من إرادته.

ولقد كشف القرآن الكريم القناع عن هذا الوضع الخبيث من وثنية الذات فقال: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً) الفرقان ـ ٤٣. فالقلب الذي يخلص لله، فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه، كالغصن: أي نسيم مر به عطفه وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً....(١).

هكذا تفضي وثنية الذات إلى تضخم الشعور «بالأنا» ومن ثم انصراف العبد عن رعاية حق الله إلى رعاية حق نفسه وهواه.. فالحق أننا نعلم أقواماً اقتلعت شهوات الدنيا جذورهم من أرض الإسلام فصاروا عبيداً لهواهم وما

القرآن الكريم كشف القناع عن هذا الوضع الخبيث من وثنية الذات

يشتهون...!!

ـ أما ثنائية الخطر الداهم ـ الزوجة والأولاد ـ تلك التي تتربص بالمؤمنين الدوائر ويصدهم عن سبيل الله، فكم من فرائض ضيعت... وواجبات ران عليها الإهمال والتفريط... وكم من بطولات خمدت... وتضحيات ضمرت... وكم من أقدام على طريق الله زلّت: شغفاً بالزوجة وتعلقاً بالأولاد... وهنا بيّن الله تبارك وتعالى حقيقة خطر ما يدور في حياة الإنسان، فأوحى إلى المؤمنين بالحذر والتيقظ لما يكون من جانبهم: الخطر على ولائهم له تعالى وإخلاصهم عبوديته... فقال جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) التغابن ـ ١٤، فكثيراً ما يحول الإفراط في التعلق بالأهل بين المؤمن وبين إخلاصه العبودية لله تعالى... تلك العبودية التي تتحقق بحصول الخير للفرد والمجتمع على السواء، من خلال السعي الإنساني في إطار ما سن الله وشرع (أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف ـ ٤٠.

فالرجل يعصى الله بمرضاة زوجته حين يعق أمه وأباه ويضن عليهما بالرعاية المادية والأدبية... مائلاً إلى رغبات زوجته وأولاده.. فضلاً عن كون الزوجة لا تبرح العزف على أوتار الرزق.. ومستقبل الأولاد... ومطالب الحياة الضرورية والكمالية... حتى يرزح الرجل تحت وطأتها لا يكاد يفيق إلى شيء من واجباته الأخرى تجاه ربه ومجتمعه.... وتنحصر دائرة اهتماماته حول تلك الحوائج المقضية سلفاً من قبل الله، بقليل من الجهد وحسن التدبير...!! وقد تحدو به حاجات أسرته الملحة المتكررة إلى امتطاء وسائل غير مشروعة في سبيل تلبيتها وتوفيرها... وذلك أمر ما أخطر شأنه... إنه انتحاء بناصية العبد عن الله شطر وثن خفي ومعبود جديد...!!!!

ليس ذلك وحسب... فثمة وفرة من النساء المسلمات حين نتجه اليهن بسؤال حول علاقتهن بالله... أهي أقوى من علاقتهن بأزواجهن....؟! وهل ولائهن لله يعدل ـ لا نقول يزيد ـ ولائهن لأزواجهن... بل نسأل: هل المرأة المسلمة بحق تحب الله أكثر من زوجها؟! قد يكون لوهلته الجواب بنعم... بيد أننا لا نريد في هذا السياق جواباً نظرياً من نظم الشفويات ووهم الخيال... فعندما تختبر المرأة أحوالها وطبيعة سعيها في الحياة: فسوف يتغير الجواب وترجح كفة الأزواج!!

وبغرور من الشيطان: تأخذ وثنية الولد انطباعاً خطراً لدى الوالدين، فقد يفضي حبهما المفرط وتعلقهما بالأولاد إلى الوقوع في غوائل الشرك والكفران، ولقد أوحى الله لصاحب موسى بقتل ولد أوشك الحال بوالديه أن يؤول إلى الكفر والطغيان بحبهما له... (أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) الكهف ـ ٨٠.

ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو معتضد أحد ابني ابنته وهو يقول: «إنكم لتبخّلون وتجبّنون وتجهّلون»(٢) فالمرء حين يركن إلى ولده بقلبه وجوارحه فقد أوقف نفسه عليه... فلا شيء دونه... وتتفتح ـ من ثم ـ ذرائع الشح المطاع بكره التصدق والتولي لدى حاجات الأمة ونبذ مفاهيم التكافل بالفضل... فثمة وثن ماثل يشارك الله قلب عباده ويراودهم عن عبودية الله وتبعيتهم إياه (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) التغابن ـ ١٥.

وكذلك مما يقدح في عبودية المؤمن لله وحده: إسرافه في حب الدنيا بمالها وجاهها، وكل ما يتأتى من بابها... فبغير توسط أو تعقل يتعاطى المرء الدنيا حتى تملأ جوفه، وتكتم أنفاسه، وتسري في دمه... فتطوف بالقلب مع كل نبضة من نبضاته!! فمثلاً: النفس البشرية تتوق إلى المال بحكم وظيفته الحيوية في تحقيق حياة كريمة للإنسان «لكنه يزيد حبه في بعض القلوب حتى يصير محبوباً لذاته لا للتوصل به إلى المقاصد»(٣) وقد تصل به درجة الحب هذه إلى التذليل والمسكنة والتشكي... ليس هذا فحسب، بل والتوسل بالتسول تأدية لواجبات وتبعات حبه للمحبوب...! ثم تراه في الأخير قتيلاً بسيف شحه ونصال بخله في سبيل المال بالطبع لا في سبيل الله... الذي لم يعد يدري المرء من أمر عبوديته له شيئاً «فكثيراً ما يخالط النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له»(٤).

النبي ﷺ عين أثر حب الدنيا في دين المؤمن

ولقد عين النبي صلى الله عليه وسلم أثر حب الدنيا في دين المؤمن فقال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»(٥)، فتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق. وتارة يستعبده الدرهم والدينار، مشدوه القلب مستل البال نحوهما... وأمثال ذلك كثير من الأمور التي تستعبد القلوب والقلوب تهواها.... فكلما كان في القلب ميل وحب لغير الله كانت فيه عبوديته لغير الله بقدر ذلك، وكل محبة في غير الله فهي باطلة ذميمة(٦).

وكان مما يقول عيسى ابن مريم عليه السلام لأتباعه... «لايقدر خادم أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»(٧).

وهكذا تمثل بين يدي واقعنا: ضروب وأنماط صارخة من التألهات والوثنيات الخفية التي تهدد قضية التوحيد في بلداننا الإسلامية... بل تهدد أمتنا وسلامتنا في الحياة.... (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة ـ ٢٤....

حتى لتتكامل المأساة بالركون المزري من جانب بعض بلاد المسلمين... إلى إمرة النظام العالمي الجديد وإيكال تصريف شؤوننا إليه.. وتعويل خلاصنا من مشاكل وهمومنا الداخلية والخارجية عليه... وبات بزعمنا حل قضايانا مرهون بإراداته... ذلك فضلاً عن ضعف الثقة المطلقة بنصر الله وتأييده... وغيره مما يقدح في عقيدتنا التي أبت أبداً إلا توحيد العبودية وإخلاص القصد وحسن التوجه لله وحده. فرغم أن العبودية إنزاع وترفع عما يكره المعبود.... لكننا نستظهر في الواقع كل يوم: أوضاعاً اجتماعية ومظاهر شائنة... لا تمثل تأبقاً من جرم العبودية وحسب، بل افتئات ومزاحمة لله في ألوهيته... وتجاهلاً لقدره وتنكراً لسيادته الكائنات وسلطانه عز وجل عليها... وذلك يتجلى في تحدي بعض الأنماط الاجتماعية لقيم وأخلاق وقوانين السماء.....!!

وإيثاراً للإيجاز وخلوصاً من هذا المأزق المحيّر نقرر أن العبودية: عاطفة تكتنف النفس فتحرك فيها معاني الولاء والاستسلام... وتنمي لديها سلامة الانقياد للمعبود، وفي هذه المعاني وتوابعها، تعبير بليغ عن توحيد العبودية... ذلك الذي يقتضي لتوه: الحركة في إطار تلك المعاني دون بطر أو انحراف، فهي حركة من أبجديتها: أداء الواجبات التي نسميها العبادة... فالعبادة هي ترجمان العبودية.

وإن الحركة الإنسانية في سياقها العام حين تتجرد من معنى العبودية كضابط وجداني لإيقاع تلك الحركة: تؤول بأوضاع حياتنا على النحو الذي يزدريه المخلصون... «فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه عن عبودية الغير، ومن حلاوة محبته ما يمنعه من محبته غيره، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاص الدين كله» «فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه، وإلا كان مشركاً»(٨).

إن القيمة الحضارية في قضية العبودية لله تتجلى في أمر الله القاضي باستعمال الذات في خدمة البشر أجمعين، لا في دائرة «الأنا»، ولا في هباء الشهوات وسخف الأهواء... كلا... فالعبد المؤمن إذا أبدى إزاء المغريات الشيطانية عفاً وتمنعاً وتحرراً من عبودية الأهواء وأغلال الشهوات، وارتمى في أحضان السماء... مسلماً قياده وناصيته لربه ومعبوده: كان بوسعه أن يسعد وتسعد أمته! فإنه حينئذ يضحى موكولاً إلى تدبير ربه وعونه ... فالله يضمن العبد بيسير من الجهد وسلامة القصد وحسن التدبير: حياة رغدة كريمة: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل ـ ٩٧.

كما أن حسن لقاء الله في الآخرة مرهون ـ من حيث مقدماته وأحواله ونتائجه ـ بتوحيد العبودية... (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) الكهف ـ ١١٠.

وبعد... فما أجمل أن يحيا المرء حياته عبداً خالصاً لله وحده... فهو إذ ذاك قد أدرك حظاً عظيماً من الراحة النفسية والسكنية وهناء البال.. فضلاً عما في العبودية لله من شرف وتكريم وعلو بإنسانية الإنسان من مستنقعات الحضيض ومسافل المقامات الوضيعة إلى سمو الغاية ونبل المقاصد وكرامة الحياة... فبدلاً من أن يكون المرء عبداً لأكثر من سيد أو أمير... وما سيؤول به ذلك إلى نحو ما أسلفنا... فقد وضع الله عنه قيود أسره وأخلى سبيله إلى الحرية والهداية والرشاد ينطلق بأمر من الله وحده لعمل الخير وإشاعة المحبة والعمار والسلام... وهو حر طليق يرتع في كنف الله.. مستظل برعايته وحفظه!!

أما أن يكون المرء عبداً لغير الله: فهي عودة للوثنية التي أبت إلا أن تمضي إلى واقعنا بتلون ومخادعة وصور أكثر جاذبية... تتحدى إرادة الضعفاء فتذلهم وتكسرهم وتقصف عزائمهم وتكبت مشاعرهم وتدفن ملكاتهم ومواهبهم... إلا في خدمة ما يشين ويقبح ثم تكون الخاتمة الأليمة.... (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) العنكبوت ـ ٢٥.

الحركة الانسانية سياقها العام حين تتجرد من معنى العبودية تؤول بأوضاع حياتنا

المصادر والهوامش:

١ ـ العبودية ـ شيخ الإسلام بن تيمية (٦٦١:٧٢٨) ـ المكتبة القيمة ـ مصر ١٤٠٣هـ ـ ص/٧٦.

٢ ـ أخرجه بن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ـ وأوعزه إلى البزار.

٣ ـ صيد الخاطر ـ أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ـ تحقيق: محمد الغزالي ـ دار الكتب الإسلامية ـ مصر ١٤٠٨ هـ ـ ط ٢ ـ ص ٢٥٤.

٤ ـ العبودية ـ مرجع سابق ـ ص ٧٤.

٥ ـ رواه الدارمي في الرقائق عن كعب بن مالك ـ حديث ـ ٢٧٣٠.

٦ ـ العبودية ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ و ٧٤ ـ بتصرف.

٧ ـ العهد الجديد ـ لوقا ـ ١٣/١٦.

٨ ـ العبودية ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ و ٧٧.

الطبيعة الارتقائية المتفردة للحضارة الإسلامية

بقلم محمد علي وهبه

نظراً لأن رسالة الإسلام الخالدة تمثل المنعطف الأخير في التاريخ البشري للهداية الإنسانية، وذلك لكونها خاتمة الرسالات السماوية.

وبالنظر كذلك إلى أن الإسلام قد جاء مستمتعاً بسمات ارتقائية وتفوقية متفردة، من حيث احتوائه على جميع التشريعات المساعدة للإنسان على الارتقاء بكل شؤون حياته في كلا الدارين، دار الفناء ودار البقاء و الإسلام لذلك قد جاء ظاهراً، مهيمناً وحاكماً على كل ما سبقه من رسالات سماوية، حيث قال جل شأنه في ذلك (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) الفتح ـ ٢٨.

ومن أجل ذلك، فقد كان لزاماً أن تأتي الحضارة المنبثقة عن الإسلام والمستلهمة منه متمتعة بالسمات الارتقائية والتفوقية المتفردة التي تتسم بها نفسها رسالة الإسلام، بحيث تكون حضارة الإسلام ـ كما رسالة الإسلام ــ أكثر توافقاً مع الطبيعة الإنسانية السليمة ذات الجوانب المتعددة، وأكثر توافقاً كذلك مع نواميس الكون والحياة في كل مكان وزمان.

النشأة المتسامية للحضارة الإسلامية:

وإن كانت الحضارة كمصطلح تعني الحياة في المدن والقرى والأرياف بكل ما يرتبط بها من تنظيم إداري، وبناء وعمران وأنشطة زراعية وصناعية وتجارية، وبكل ما يستلزمه ذلك من علوم، كعلم الهندسة والرياضيات وعلوم المعادن والتعدين، والزراعة والصناعة وفنون التجارة، أو الفنون الإرشادية والترويحية والآداب، وغير ذلك من أمور ترتبط بتطور حياة الإنسان وارتقائها، فقد كانت الحضارة موجودة بهذا المفهوم لدى شعوب كثيرة قبل الإسلام، كما كان لدى الفراعنة والبابليين والفرس والإغريق وغيرهم، إلا أن العلوم والفنون والآداب لدى تلك الشعوب كانت بدائية بالقياس لما أضافه علماء المسلمين إليها بعد ذلك من تطور غير مسبوق.

وإن كان الفراعنة مثلاً قد برعوا في فن التحنيط بالعمليات الكيميائية، إلا أن علم الكيمياء ظل بدائياً لديهم، وكذلك علم الطبيعة، وسائر علوم الحضارة، فضلاً عن اعتمادهم في تناولهم للعلوم على السحر والكثير من الخرافات، واعتمادهم كذلك في عباداتهم على عقائد الشرك والوثنية.

وكذلك كان الحال عند الإغريق الذين رغم براعتهم في علوم الفلسفة والآداب، فقد كانوا بعيدين كل البعد عن العلوم التجريبية والعملية، حتى أنهم في تناولهم لعلم تجريبي، كعلم الكيمياء، على سبيل المثال، فإنهم لم يتناولوه إلا من جوانبه النظرية فقط.

وما يؤكد ذلك ما ذهب إليه المستشرق «ديلامير»، في قوله: في تاريخ علم الكيمياء لا يمكنك أن تعد مجرباً واحداً عند اليونانيين، ولكنك تعد من المجربين مئتين عند ا لمسلمين».(١)

وفضلاً عن ذلك فإن اعتماد الإغريق في تناولهم للعلوم والفنون والآداب على الأساطير الخرافية والعبادات الوثنية.

وهكذا كانت سائر الحضارات الإنسانية القديمة قبل الإسلام. ولكن بعد أن جاء الإسلام بإشراقاته النورانية، متمثلاً في كتاب الله العظيم وفي السنة النبوية المطهرة، بكل ما يحتويان من الحض على توظيف العقل.

(كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) الروم ـ ٢٨).

والحض على طلب العلم والجهاد في سبيله، وهو مما يرفع في الدنيا، وينفع في الآخرة. (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة ـ ١١، وحيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «... من سلك طريقاً في سبيل العلم، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» جزء من حديث طويل، أخرجه مسلم.

وبعد أن جاء الإسلام كذلك بالحض على نشر العمران في الأرض. (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود ـ ٦١.

حيث جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: (واستعمركم فيها) أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها.(٢) وإن كان الإسلام إجمالاً قد جاء مشتملاً على ما يصعب إدراجه تحت حصر من القيم الارتقائية الرفيعة، فإنه قبل كل شيء قد جاء بالحض على الارتقاء بأهم جانب من الجوانب التي يتشكل منها كيان الإنسان، وهو الجانب الروحي ذو الطبيعة النورانية المتسامية بالإنسان، والمتوحدة بالكون والحياة وبالذات الإلهية العليا المهيمنة على السموات والأرض وسائر الكائنات، وهو ما يمكن وصفه بالبعد الإلهي التوحيدي والتعبدي في شريعة الإسلام الذي يعني العبودية الكاملة لله الواحد الأحد الذي لا شريك له في الملك، حيث العبودية له وحده، سبحانه، هي الهدف الأسمى من الخلق كما قال جل شأنه في ذلك: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات ـ ٥٦.

الأصالة التجديدية:

ولكون شريعة الإسلام، متمثلة بالوحيين الإلهيين «الكتاب والسنة» فقد أتت بالجديد غير المسبوق فيما يختص بشؤون العبادات والمعاملات والأحكام والآداب، كما أتت بهذه الأمور في صورة أحكام عامة تجريدية مطلقة، لتبقى صالحة بإطلاقاتها للتنزيل على الواقع النسبي المتغير في كل زمان ومكان، مما يستوجب من علماء المسلمين أن يستلهموا تفصيلات دلالاتها ومقاصدها الشرعية والعقلية

والكونيـة، وهي قابلة لـلاستلهام عنهـا بحول الله وبفضلـه إلى ما لا نهاية.

وكما يستـوجب ذلك ضرورة الجهـاد والاجتهاد الـدؤوبين من علماء المسلمين ومفكريهم للعمل على تنقية الشريعة دوما من كل ما يعلق بها من بدع وأباطيل على مر العصور، وردها إلى أصالتها ونقائها البديع.

لذلك اتسمت شريعة الإسـلام بالأصالة والتجديديـة منذ بدء الإسـلام وإلى يوم الدين، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك:

«إن الله يبعث لهذه الأمـة على رأس كل مئة سنـة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه، وغيرهما.

ولعله من أخطر البدع التي تحث شريعة الإسلام على مجاهدتها، دعوة الفصل بين الـدين والدنيـا، بالاقتصـار على الاهتمام بشؤون الـدين وحده، أو بشؤون الدنيا وحـدها، حيث إن الإسلام دين ودنيا وآخرة، كما قال جل شأنه في ذلك:

(وابتغ فيم آتـاك اللـه الـدار الآخـرة ولا تنس نصيبك من الـدنيـا) القصص ـ ٧٧.

فنجد لذلك أن شريعة الإسلام قـد جاءت بالحث على الاستلهام الدائم والمتجـدد للعلوم الصـالحة للبناء الارتقـائي المسـاعد على النهـوض بشؤون الإنسان في الـدنيا، وهو ما أخذ بـه علماء السلف، فاستلهموا الكثير من إبداعـات العلوم المتجددة، ممـا تشير إليه إيحاءات ودلالات القرآن الكريم. ومن ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى:

(إن في خلق السمـوات والأرض واختـلاف الليل والنهـار والفلك التي تجري في البحـر بما ينفع النـاس وما أنـزل اللـه من السماء من مـاء فأحيا بـه الأرض بعد موتها وبث فيهـا من كل دابة وتصريف الـرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـوم يعقلون) البقرة ـ ١٦٤.

فبالتـدقيق في هـذه الآية الكريمـة يتضح أنها تشير إلى سـائر العلوم العبـاديـة والكونيـة والعقليـة كـالفلك والطبيعة والأرصـاد الجويـة والجيولوجيا والجغرافيا وغيرها من العلوم.(٣)

والاستلهام للعلوم من القرآن الكريم والسنـة النبوية الشريفة على هذا النحو يعتبر نبعاً صافياً للعطـاء الفكري والعلمي الذي لا ينضب أبداً، وهو قـابل للـزيادة والتجدد بفضـل الله إلا مـا لا نهاية، كما يعتبر في الوقت ذاتـه أساسـاً راسخاً للنهوض الحضـاري غير المسبوق، وغير الملحوق، عنـدما أخذ به علـماء السـلف استطاعوا أن يحققـوا طفرة حضـاريـــة لم يصـــل إلى أسرارهـا الكامـــلة لا الســـابقـــون واللاحقـون.

حضارة متكاملة:

وإن كانت الحضـارات السابقـة على الإسلام قد اعتمـدت في نهوضها على جانب واحد أو جانبين مما يتشكل منه كيان الإنسان، هما الجانب المادي المتمثل في الجسد، والجانب العقلي، المتمثل في الفكر، وما يرتبط بذلك من الاهتمام بكل مـادي محسوس وملمـوس في الحياة، وأهملت في الوقت ذاته الجانب الروحي المرتبط بالجانب الوجداني إلى حد كبير، أو مارستهما بأسلوب غير راشد وغير قويم، وذلك باتخاذها للكثير من مظاهر الطبيعة كآلهة يعبـدونها، كعبادتهم للشمس والقمر، والشجر والحجـر، وغير ذلك من مظـاهـر الشرك والوثنيـة، فنجـد أن صنـاع الحضارة المادية الحديثة قد حـذوا حذوهم، باتخاذهم للمادة كمحور أساسي تـدور حوله اهتمامـات الإنسان، واتخاذهم للمادة أو للعلم أو للعقل كــآلهة يعبـدونها بشكل صريح، أو بشكـل ضمني، حيث لا يفترقون في ذلك عن صانعي الحضارات القديمة.

ولـذلك نجـد أن الملايين من البشر المخـدوعين بـا لمظـاهـر الخداعـة للحضارة المادية الحديثـة يعانون في الغالب مـن فقدان التوازن فيما بين العقل والجسـد والنفس والـروح، وهـو مـا ينتج عنـه الكثير من المشاكل كـالصراع الدائم حول المادة، وكثرة حـالات الطلاق، وجرائم السرقة والقتل، وكثرة حالات الانتحار النـاتجة أساساً عن الإحساس بالفراغ الروحي.

وقد جـاءت الحضارة الإسـلامية المنبثقـة عن شريعة الإسـلام بنوع جديد من التكامل والتـوازن فيما بين الجوانب الأساسية التي يتشكل منها كيان الإنسان، وهي:

(الجانب الـــروحي والجانـب الجســـدي «المادي» والجانب العقلي والجانب الوجداني) بإعطائها لكـل جانب منها ما يستحقه من اهتمام ورعاية وإنماء، بحيث لا يطغى جانب منها على الآخر، بل يتم توظيفها جميعها، على النحو الذي يعطي في النهاية شخصية إنسانية متكاملة، متـوازنة، قـابلـة للهدايـة والسير على صراط اللـه الحميد، فـالجانب الروحي يعززه الإيمان بالله الواحد الأحد والتعبد له وحده دون غيره، والجوانب الثـلاثة الأخـرى تشارك الـروح في أداء المظاهـر والسرائر العبادية لله وحـده سبحانه، ويؤدي كل منها وظـائفه الأخرى المنوط بها والتي منها بالنسبة للجسد أداء المعـاملات الصالحة للإنسان في إطارهـا الشرعي القويم. وبـالنسبة للعقل، التزود بـالعلوم النـافعة، وإفراز الفكر الراشد المتفق مع الفطـرة الإنسانية السليمة، وبالنسبة للوجدان، إشاعة المحبـة والسلام والتأدب والتخلق بالآداب والأخلاق المعبرة عن الرقي الإنساني في أبهى معانيه.

ولذلك استحقت الحضارة الإسلامية أن تـوصف بالتكامل، باتخاذها لـلإنســان محوراً لاهتمامهـا مع اهتمامهـا بـالتـوفيق بين الجوانب المختلفة في الكيـان الإنساني، وذلك بعكس الحضارة الماديـة الحديثة التي اتخذت من الجانب المادي وحده مرتكـزاً أساسياً للاهتمام وعلى حساب سائر الجوانب الأخرى.

آداب وأخلاق أكثر تفرداً:

ولعلـه من السمات الأكثـر بـروزاً في الحضارة الإسـلاميـة أنها قـد تأسست على زخم هـائل من الـركـائز الـراسخة لـلآداب والأخـلاق الإنسانية المتسامية.

وتلك الآداب والأخـلاق، ولكـونها مستلهمـــة من الـوحيين العظيمين الخالـدين (الكتاب والسنـة) فهي تتميز عن سـائر الآداب الوضعيـة بالشمـول والسمو والخلـود، وهي لذلك لا تكتفي بـوضع المعالجات الوجدانية والفكرية لشـؤون الإنسان الدنيوية فحسب، وإنما تنير له السبيل للعمل من أجل دينـه ودنياه وأخـراه، فعندمـا تتناول الآداب والأخلاق الإسلامية الجانب الوجـداني المرتبط بعالم الحس الدنيوي مثلاً، فلا تتنـاوله منفصلاً، وإنما متصلاً بـالوهج النوراني الشفيف لروح الإنسان المتصلة بنافثها الأعظم جل شأنه.

وذلك يعني الارتبـاط الـوثيق بين الآداب والأخلاق الإسـلاميـة وبين الشفافية الروحية المرتبطة بدورهـا بتقوى الله عز وجل، مما يتوجب معه على الإنسـان المسلم أن يعمل دائباً على تـزكية الجانب الـروحي

لـديـه من خـلال تهذيب النفس بفضـائل محـاسن السلـوك الشرعي المتسامي والقويم.

ولما كـانت الآداب بشكل عـام، مما يتخـذ كأسـاس راسخ للنهـوض الحضـاري في أي مجتمع، فقـد كـان لـلأدب الإســلامي دوره المعـروف في تأجـيج روح النهـوض المتواصـل في الحضـارة الإسلاميـة التي قادت مسيرة الحضارة الإنسـانية عـلى مدى ألف عـام، وعـلى نحـو ارتقـائي غـير مسبـوق في مخـتلف مـناحي الحياة.

كما أنه من الثابت علمياً أن الأدب الإسلامي كان له دوره المؤثر بشكل حـاسم في بـزوغ عصر النهضـة الأوروبيـة الـذي قـادم بـدوره إلى الحضارة الغربية الحديثة.

وقـد تأكد هـذا المعنى على يد الكثير من مستشرقي الغـرب المنصفين، ومنهم الباحث الأسبـاني «خوان أندريس» الذي وضـع كتـاباً ضخما تحت عنوان «أصول كل الآداب وتطورها وأحوالها الراهنة» كشف من خـلاله عن أن الآداب الإسـلامية بصفـة خاصـة كانت هي الأسـاس الأعظم للنهوض الأوروبي في مختلف المجالات.(٤)

كما كشف الـدكتور «لـويجي رينالـدي» عن أثر الأدب الإسـلامي في الأخـلاق التي كان يتحلى بها المسلمـون، وأثـرهـا المباشر في نهضـة الأوروبيين بعـد انتقـالها إلى أوروبـا عـبر الفتوحـات الإسـلاميـة، بقـوله:

اجتاح العـالم الغربي حوالي ألف سنة ميـلادية غزو إسلامي جـديد، كان كـالسيل الجارف، ولم يكن أي حاجز يقوى على صـد ذلك الغزو الذي يحمل التهذيب الإسلامي.(٥)

كما تحدث المستشرق «هيرشفيل» عن القرآن العظيم، بـوصفه مصدر إلهام لجميع العلوم والآداب الإسلامية بقوله:

ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته، وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم والآداب الإسلامية كافة» (٦).

ارتقاء عالمي:

وإذا استعرضنـا السمة الكبرى التي تميزت بها الحضارات القـديمة قبل الحضارة الإسـلامية، فسنجد أنه من الممكن أن تـوصف جميعها بـالمحلية والإقليميـة، فنجـد مثلاً أن الحضـارة الهنـديـة قد تميـزت بالناحية الذاتية، بينما تميزت حضـارة اليونان بالفكر البحث المجرد. وهكـذا سـائر الحضارات القـديمـة، بحيث يصعب تعميم معطيـاتها إجمالاً على المستوى العالمي.

بينما نجد أن الحضارة الإسلامية قد استطاعت ولأول مرة في التاريخ أن تبتكر منهـاجاً علميـاً تجريبياً قائماً على الـرصد والملاحظـة، وهو المنهج الذي ثبتت صلاحيته عالمياً، وإمكان ديمومته على مر العصور، كما تعتبر الحضارة الإسـلامية هي الوحيـدة في التاريخ البشري التي أبـدعت زخماً هائلاً من العلـوم التجريبيـة لم تكن موجـودة من قبل، وتتمتع بالصـلاحية للانتفاع العميم بها على المستـوى العالمي، كعلم الكيمياء والطبيعة وعلوم المعادن وحساب المثلثات والحيل «الميكانيكا» وغيرها من العلوم.(٧)

لـذلك استحقت الحضارة الإسـلاميـة ـ ولأول مـرة في التاريخ ــ أن توصف بـالحضارة العالميـة، حيث أسهمت بدور تـاريخي حاسم في نقل الحضـارة من أطوارهـا المحليـة إلى طـور آخـر عـالمي متسم بالديمومة والسمو والشمول.

أقوى من روح العصر:

وإن كـان المؤرخـون لعلـوم الحضارة الغـربيـة يشيـدون بعلمائهم وأدبائهم ومفكريهم منذ عصر النهضـة الأوروبية، ويصفونهم بأنهم قد استطاعوا أن يعبروا عن روح عصرهم، فإنهم في الحقيقة يتجاهلون أن علماء الحضارة الغربية وإلى عهد قـريب كانوا مجرد نقلة ومقلدين للابتكارات العلميـة والتقنية لعلماء الحضارة الإسلاميـة التي نسبوا الكثير منها إلى علمائهم في غفلة من الزمن.

ومما يؤكد ذلك ما ذهب إليه العالم الفرنسي «سيديو» بقوله:

«إن إنتـاج المسلمين أفكارهم الغـزيـرة ومخترعاتهم العلميـة الرائعـة تشهد بأنهم أساتذة أهل أوروبا في كل شيء».(٨).

كما أشار عالم الاجتماع الشهير «لوبـون» إلى الحقيقة نفسها بصورة أكثر إيضاحاً بقوله: «ما من مؤلف أوروبي حتى القرن الخامس عشر الميلادي، إلا وعلمـه منقول عن علوم العرب». ثم ذكـر عدداً وفيراً من علماء أوروبا في ذلك الزمان، وقال:

«إنهم كلهم إما متتلمذون للعـرب، أو نقلة لكتبهم. وأن الكتب المترجمة من العربية، ولاسيما الكتب العلمية منهـا كانت إلى مدى بعيد الأساس الذي قـام عليه التعليم في جامعـات أوروبا نحو خمـسة قرون. وفي بعـض العـلوم ظـل تأثير الـعرب في أوروبـا بـادياً إلى عـهد قريب».(٩)

ويعني ذلك أن التعبير عن روح العصر، هـو في الأصل من إنشاء علماء المسلمين.

وعندما يقال إن علماء المسلمين كـانوا يعبرون عن روح العصر، فذلك يعني أنهم كان لـديهم القدرة على الكشف عن العبقـرية الإنسـانية في أزهى وأبهى صورها، وكانوا يستطيعون كذلك صياغة إرادة عصرهم، ويملكون أرقى السبل العلمية لتحقيقها.

وإذا أضفنـا إلى ذلك أن العـلوم الغـزيرة التي ابتكـرهـا علمـاء الحضارة الإسلامية كـانت من وحي وإلهام الكتاب والسنة، بوصفهما المصدر الأمثل للنهوض والارتقاء الـدائمين المتجددين، فذلك يعني أن علماء المسلمين يملكون القـدرة على مر العصـور، ليس للتعبير فقط عـن روح العصر، وإنـما للتـعبير عما هـو أبقى وأقـوى مـن روح العصر. ■

الهوامش

١ ـ آراء فلاسفة وعباقرة الغرب في الإسلام ـ زكريا هاشم زكريا ـ س المكتبة الثقافية ـ ع ٤٣٣ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٨م.

٢ ـ من تفسير ابن كثير في الآية ٦١ من سورة هود.

٣ ـ من العطاء العلمي لـلإسلام ـ د. محمد جمال الـدين الفندي ـ س العلم والحياة ـ ع ٤٤ ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ ١٩٩٤م.

٤ ـ أثر العرب والإسلام في النهضـة الأوروبية ـ في الأدب ـ د. محمود علي مكي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٧م.

٥ ـ مرجع سابق (الأول).

٦ ـ المرجع السابق.

٧ ـ الله ليس كذلك ـ زيجريد هونكـه ـ ترجمة . غريب محمد غريب ـ دار الشروق ـ مجلة النور الكويتية ـ ١٩٩٥م. «بتصرف».

٨ ـ مرجع سابق (الأول).

٩ ـ المرجع السابق.

ومضات حنان في التاريخ الإسلامي

حضارة

الرحمة عند المؤمنين قاعدة متبعة في الشريعة، أمرت بها آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾(١) وقال تعالى: ﴿ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(٢) وأحاديث جمة (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)(٣) (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)(٤).

بقلم: عبدالرحمن أحمد شادي

وعلى أي حال فالشيء من معدنه لا يستغرب، ولا يخلو قلب إنسان من الرحمة حتى ولو كان كافرا في أشد المواقف هولا، وهذه بعض ومضات الحنان ونبضات العطف المشهورة المذكورة في كتب التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية الشريفة من مصادرها القديمة والحديثة. الكبيرة والصغيرة:

الشدة واللين

دخل عمر بن الخطاب محنقا غاضبا على أخته فاطمة التي سبقته إلى الإسلام وهي دون العشرين فاعتدى على زوجها سعيد بن زيد وكان حنيفا مسلما مثلها وهو دون سن العشرين أيضا وقد رفض أبوه قبله عبادة الاصنام بالفطرة فهو من الحنفاء قبل الرسالة والرسول ...

ولما قامت فاطمة لصد العدوان والدفاع عن المظلوم وهي بذلك تقرر مبدأ الحرية الشخصية في اعتناق الدين بفطرتها السليمة التي أيدتها الآيات فيما بعد مثل ﴿لا إكراه في الدين﴾(٥) لطمها أخوها على وجهها فشجه حتى سال منه الدم فعزت عليها نفسها وسالت قطرات الدموع من عينيها فتحول قلب أخيها في التو واللحظة من الشدة والقسوة والغلظة إلى الرفق والعطف واللين والحنان... هذه اللطمة التي سبقتها نقط الدم وقطرات الدمع في وجه فاطمة انطبقت عليها الآية من قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(٦) والمثل يقول (رب ضارة نافعة) هذه اللحظة كانت سببا في خير كثير يطالعه كل من قرأ كتب السيرة في مواقف عمر بن الخطاب بعد إسلامه وهذا ما أدعوا إليه القراء الكبار للاستذكار في مواقف أهل الأنصار، والصغار المحدثين للتفقه في الدين ولا يتكبر أحد على قراءة كتاب مرة ثانية فلكل مرة حلاوة وطلاوة وأذكر في هذه المناسبة قول العقاد رحمه الله «لأن يطالع القارىء كتابا واحدا عشر مرات خير له من أن يقرأ عشرة كتب كل كتاب مرة واحد.

> قراءة كتاب واحد عشر مرات خير من قراءة عشرة كتب كل كتاب مرة واحد

الحصار الاقتصادي

اتفق كفار مكة على المقاطعة العامة و(الحصار الاقتصادي) لبني هاشم والمطلب في شعب أبى طالب فلا بيع ولا شراء ولا زواج ولا محادثات ولا زيارة.

وكان المقصود إرغام بني هاشم على تسليم الرسول للقتل ولكنهم فدوه بأنفسهم ولم يسلموه لأعدائه وكتب الكفار بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة وظل الحصار الاقتصادي ثلاث سنوات كان يسمع فيها عويل وصراخ وبكاء الأطفال من وراء الشعب وهم يتألمون من شدة الجوع ولم يبق المحاصرون على قيد الحياة إلا حين أكلوا ورق الشجر والجلود والخروج من الشعب في الأشهر الحرم لشراء شيء من القوت بعيدا عن مكة وتجارها، وما يفعله ذوو القلوب الرحيمة من الكفار الذين يرفضون قطيعة الرحم ووصول العداوة إلى حد الموت جوعا فكانوا يصلونهم بالطعام خفية في جوف الليل وشدة الظلام والناس نيام، ومنهم هشام بن عمرو، ولما اشتدت على نفسه مرارة الظلم وبلغ السيل الزبى قام بنصر المظلوم وسعى في نقض الصحيفة وانهاء المقاطعة العامة والحصار الاقتصادي وابتغى على هذا الخير أعوانا: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾(٧) والمثل يقول (اليدُ وحدها لا تصفق) فمنهم زهير بن أبي أمية المخزومي والمظاليم في الشعب أخواله فهو ابن عاتكة بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، والمطعم بن عدي وأبو البختري ابن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وكان المتحدث باسم القوم والمحامي عنهم زهير، وقام المطعم — بعد مؤازرة إخوانه — ليشق الصحيفة فأخبرهم أبوطالب بناء على ماذكره ابن أخيه رسول الله بأن الأرضة أكلتها ولم يبق فيها إلا باسمك اللهم، فلما تبينوا صدق الخبر انتهى الحصار وخرجوا إلى مساكنهم ورجعوا إلى بيوتهم.

خير الصبر

وأم سلمة هند بنت حذيفة بن المغيرة المخزومية اسلمت مع زوجها عبدالله ابن عبدالأسد بن هلال المخزومي... في الرعيل الأول وهاجرا إلى الحبشة، ثم عادا إلى مكة وسبقها زوجها في الهجرة إلى المدينة وتركها مع ابنها وحدهما في مكة مضطرا فقد منعها قومها من السفر وجاء أهل الغلام فأخذوه منها فأصبحت وحيدة حيل بينها وبين زوجها وابنها فكانت تخرج كل يوم إلى الأبطح تبكي حتى يأتي المساء لمدة عام فرق لحالها ولبلواها ابن عم لها وتشفع عند قومه فسمحوا لها بالخروج مع ابنها، ولقيها عثمان بن طلحة بالتنعيم وهي مهاجرة ففزع عليه أن تسافر وحدها في الصحراء الموحشة فأخذ بخطام بعيرها وكان يتأخر عنها في محطات الراحة حتى يستجم الأربعة هي وابنها والجمل والجمال من وعثاء السفر. ورضي أن يكون جمّالا خاصا دون أن يتقاضى على ذلك أجراً فهي امرأة مظلومة مضطهدة غريبة بين أهلها ووطنها فقيرة لا تملك شيئا من حطام الدنيا، ويكفي أنها نجت بجلدها من القوم الظالمين وأفلتت بروحها وحريتها.

وظل معها على هذا الحال حتى وصلت بسلامة الله إلى قباء فدخلتها حيث التأم شمل الأسرة، وعاشت مع زوجها حتى استشهد في سرية إلى بني أسد سنة ٤هـ بفعل جرح أصابه في غزة أحد شفى منه فترة ثم انتقض عليه فكان سبب موته.

وترك لها أربعة أولاد صغار (سلمة وعمر وزينب ودرة) وكان من التقاليد المحمودة والأعراف الحسنة المتبعة أن تجد أرملة الشهيد زوجا كافلا لأولادها اليتامى... وهذا ما يفعله بعض أصحاب القلوب الرحيمة من أغنياء المسلمين اليوم مع أرامل ويتامى البوسنة والهرسك تأسيا بفعل أسلافهم النبلاء الكرام، والمعاشات سنة حسنة في الاسلام... فهي تفتح طريق الأعمال أمام العاطلين وتساعد في فك أزمة البطالة وتحفظ كرامة الشيوخ الكبار والمرضى والأرامل واليتامى وتصون الأعراض فهي جنة من الانحراف تحت ضغط الجوع والمرض... ولكنها لا تنفع إلا في دولة قائمة البنيان موطدة الأركان يغلب عليها طابع الإسلام..

فهل يأخذ الحمل الوديع (البوسنة والهرسك) معاشاً من ذئاب الصرب والجبل الأسود اللذين سودت بشاعة افعالهم وجه الحضارة الغربية وأخرست ألسنة المدح والتأييد من الأبواق والإمعات والأذناب.

وهناك حل معقول أن تساعد كل دولة إسلامية أي زوج كافل من مواطنيها بدفع معاشات شهرية وتمليك شقة والحديث ذو شجون...

وقد عوض الله صبر أم سلمة وجزاها خيرا فقد أصبحت من أمهات المؤمنين. وعاشت حتى كانت آخرهن موتا سنة ٦١هـ وعلى الله قصد السبيل■

كفار مكة حاصروا بني هاشم اقتصاديا لإرغامهم على تسليم محمد لقتله، لكنهم فدوه بأنفسهم

الهوامش

١- [الحجر/٨٨].
٢- [الأنبياء/١٠٧].
٣- حديث ٢٢٢ في رياض الصالحين للنووي.
٤- حديث ٢٢٧ في رياض الصالحين للنووي.
٥- [البقرة/٢٥٦].
٦- [البقرة/٢١٦]
٧- [المائدة/٢].

الدكتور علي السالوس:

الاقتصاد الإسلامي.. رباني المصدر والهدف ويضمن تمام الكفاية لكل مسلم

اقتصاد إسلامي

يعتبر الاقتصاد من الجوانب التي اهتم بها المنهج الإسلامي اهتماماً كبيراً لما له من أثر في بناء الأمم والشعوب فقد وردت أحكام كثيرة في القرآن والسنة والفقه الإسلامي تعالج المعاملات الاقتصادية بين الأفراد والشعوب، وهذه الأحكام والمبادئ كونت نظاماً اقتصادياً إسلامياً متميزاً كان له دور كبير في تقدم الأمة الإسلامية ورقيها وقوتها وغلبتها في العصور التي تمسكت به وطبقته.

وحول منهج الاقتصاد الإسلامي ومشكلات المسلمين الاقتصادية المعاصرة كان «للوعي الإسلامي» هذا الحوار مع الدكتور علي السالوس أستاذ الفقه والأصول في كلية الشريعة جامعة قطر وخبير الفقه والاقتصاد الإسلامي بمجمع الفقه الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي وعضو الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي.

حاوره أحمد أبو زيد:

أسس الاقتصاد الإسلامي

● ما الأسس والمبادئ التي يقوم عليها النظام الاقتصادي في الإسلام؟

- الاقتصاد الإسلامي اقتصاد يتميز عن أياً اقتصاد آخر في العالم سواء كان اقتصاداً رأسمالياً أو اشتراكياً وله عدة خصائص أولها: أنه رباني المصدر، فأي مذهب اقتصادي يعتبر مذهباً بشرياً من وضع البشر أما الاقتصاد الإسلامي فمصدره رباني بمعنى أنه يستمد أسسه ومبادئه من القرآن والسنة، والجانب البشري فيه هو الاجتهاد لتطبيقه في مختلف العصور.

وثاني هذه الخصائص: رباني الهدف - فالاقتصاد الماركسي هدفه خدمة الدولة دون النظر الى الأفراد، والاقتصاد الرأسمالي هدفه إشباع الرغبات الخاصة بالأفراد، أما في الإسلام فالاقتصاد يرتبط بالناحية الربانية بمعنى أن له أهدافاً إنسانية تجمع بين المادة والروح.

وثالث الخصائص أنه يجمع بين المرونة والثبات بمعنى أن فيه أشياء ثابتة كتحريم الربا، وفيه أشياء متطورة كنظام الشركات القائمة على العمل ورأس المال والضمان

العمل في الإسلام حق وواجب.. ويجب أن يوجه إلى الضرورات قبل الكماليات



فقد يختلف شكل الشركة من زمن إلى آخر، وفي ضوء هذا نستطيع أن نعرف الثابت والمتغير في الاقتصاد الإسلامي.

في حين نجد أن أي مذهب اقتصادي وضعي يتغير لأنه من صنع البشر، فالنظام الاشتراكي بدأ يتغير ويأخذ من الرأسمالية، والنظام الرأسمالي بدأ يتغير ويأخذ من الاشتراكية.

الملكية المزدوجة

وأما المبادئ الرئيسة للاقتصاد الإسلامي فأولها: الملكية المزدوجة بمعنى أن الإسلام يجمع بين الملكية العامة والملكية الخاصة فتجده قد حدد أشياء لا يجوز ملكيتها ملكية خاصة مثل الماء والكلأ والنار وهناك الملكية الخاصة بالدولة كأرض الحمى التي كانت ترعى فيها إبل الصدقة، فالملكية العامة والخاصة أصلان في الاقتصاد الإسلامي.

أما في النظم الوضعية فنجد الملكية في الاشتراكية جماعية وفي الرأسمالية فردية

وقد بدأ كل نظام يبحث عن جوانب الملكية الأخرى التي لا يطبقها نتيجة لفشله في الاعتماد على نوع من الملكية.

ضمان تمام الملكية

وثاني هذه المبادئ التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي: ضمان تمام الكفاية لكل مسلم، فالنظام الماركسي يضمن للفرد «حد الكفاف» وهو المستوى الأدنى للمعيشة، ولذا لابد للمرأة من أن تعمل حتى تجد هذا الحد، والنظام الرأسمالي لا شأن له بحد الكفاف، ولكن يترك الأفراد كل يحقق لنفسه ما يشاء.

أما الإسلام فهو لا يقف عند حد الكفاف ولكن يضمن لكل فرد تمام الكفاية أي المستوى اللائق لمعيشة كريمة وتتحقق تمام الكفاية للفرد على عدة مراحل.

أولها: العمل بمعنى أن يعمل الشخص حتى يحقق لنفسه تمام الكفاية والعمل في الإسلام حق وواجب، وعلى المسلم القادر أن يعمل، أما المرأة فعملها في بيتها ولا يجب عليها العمل، ولها أن تخرج له في حالة الضرورة أو إذا كان المجتمع بحاجة إليه.

وفي تحقيق تمام الكفاية يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: «من ولي لنا أمراً وليس له مسكن فليتخذ مسكناً، وليس له دابة فليتخذ دابة، وليس له زوجة فليتخذ زوجة، وليس له خادم فليتخذ خادماً».

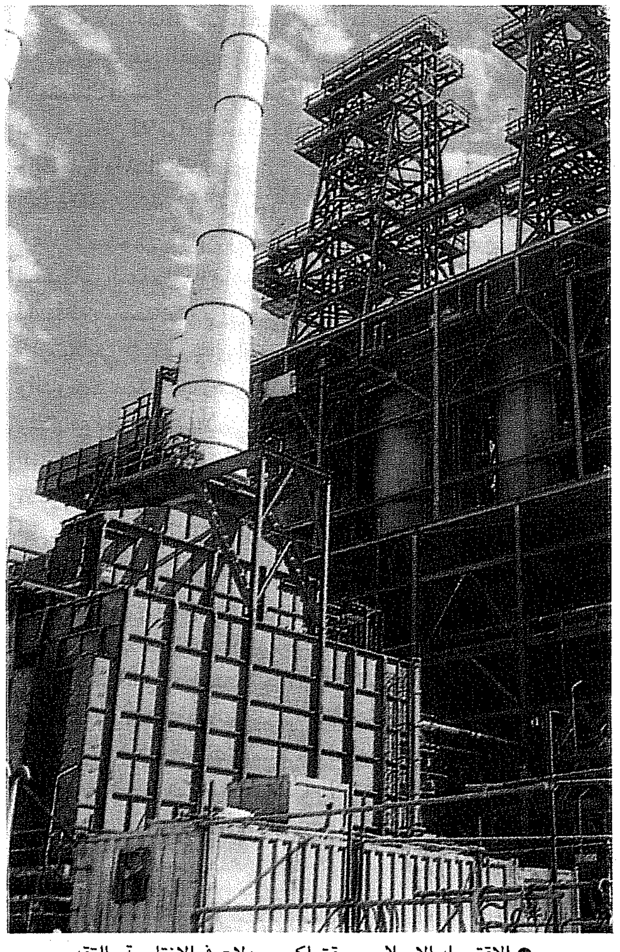
ومعنى هذا أن الذي يتولى عملاً في الدولة الإسلامية يجب على الدولة أن توفر له هذه الحاجات، إما عن طريق مرتبه الذي يكفيه لتحقيق هذه الأمور أو تعينه الدولة.

وثاني هذه المراحل تأتي عندما لا يكفي العمل لتحقيق تمام الكفاية أو يكون هناك من لا يعمل لعجز أو مرض وتتمثل هذه المرحلة في نفقات الأقارب الموسرين وهذه المرحلة لا يعرفها أي نظام اقتصادي آخر.

وإذا افترضنا أن العمل الذي يقوم به الفرد لا يكفي مردوده المادي وليس للشخص أقارب موسرين وله أولاد ولكن نفقتهم لا تكفي هنا تأتي المرحلة الثالثة ممثلة في الزكاة التي تجمعها الدولة الإسلامية.

والزكاة ليس معناها إعطاء الفقير ليبقى فقيراً ولكن لتحويله إلى طاقة منتجة إلا إذا كان عاجزاً عن العمل.

وأما المرحلة الرابعة فهي أن تعطي الدولة من مواردها ما يفي بتمام الكفاية وهناك مرحلة أخيرة تأتي إذا عجزت المراحل السابقة في تحقيق تمام الكفاية وهي أن تأخذ الدولة من الملكية الخاصة للأفراد ما يفي بتمام الكفاية وهذا الأخذ ليس على سبيل التطوع من الأغنياء بل هو فرض عليهم وقد حدث ذلك في عهد عمر بن الخطاب فأخذ من مال الأغنياء، وهذا أمر نعجب لمن يعرفه كيف يدعو للشيوعية والاشتراكية ولذلك قد نجد في الإسلام صاحب المليارات مادام كل شخص يجد تمام كفايته، ومادام هذا الفتى يجمع ماله من حلال ويؤدي الحقوق التي عليه فيه، فليس هناك حد للغنى في الإسلام طالما هو بطريق مشروعة.



● الاقتصاد الاسلامي حقق اكبر معدلات في الانتاجية والتقدم

الحرية المقيدة

وأما ثالث المبادئ التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي فهو: الحرية المقيدة، ففي الماركسية نجد الحرية منعدمة وفي الرأسمالية نجدها حرية مطلقة ونتيجة لفساد النظامين بدأ التداخل فيما بينهما، أما في النظام الإسلامي فالإنسان حر في أن يعمل ويختار عمله ويكسب، ولكن إذا احتاجت الدولة إلى عمل معين فلها أن تعيّن من الأفراد ما يصلح له، فالأصل في الإسلام الحرية ولكن هناك قيود وضوابط تهذب هذه الحرية وتحكم إطارها سواء في العمل أو الكسب أو الإنفاق، والرقابة في الاقتصاد الإسلامي رقابة مزدوجة من رقابة الشخص الذاتية على نفسه والرقابة الخارجية للدولة التي تطبق النظام الاقتصادي.

> ليس هناك حد للغنى في الإسلام.. وللمسلم أن يمتلك المليارات بالطرق المشروعة

عقبات التطبيق

● كيف يطبق الاقتصاد الإسلامي في هذا العصر من وجهة نظركم؟

ـــ الاقتصاد الإسلامي طبق وحقق أكبر معدلات في الإنتاجية والتقدم والرفاهية عندما كان الإسلام يطبق ولكن في عصرنا الحالي هزم المسلمون في اقتصادهم وبدأوا يستوردون الأنظمة من الشرق والغرب خصوصاً في المجال الاقتصادي ولذلك أصبح تطبيق الاقتصاد الإسلامي من الأمور الصعبة ولكنها ممكنة، فمع الصحوة الإسلامية بدأ المسلمون يفكرون في عقيدتهم وشريعتهم، وجاءت البنوك الإسلامية كبديل إسلامي للبنوك الربوية ولكنها وجدت

صعوبة لأن العالم كله يتعامل بالربا. ولكن مع إصرارنا على العودة إلى ديننا سوف يطبق الاقتصاد الإسلامي بشيء من التدرج وهناك أشياء يمكن للأفراد تطبيقها في البيع والشراء والتجارة والمعاملات.

وما عقبات التطبيق في رأيكم؟

العقبات منها داخلية ومنها خارجية فأما العقبات الداخلية فأهمها: عدم شعور المسلمين بحاجتهم إلى تطبيق الاقتصاد الإسلامي الذي يحل أزماتهم المعاصرة، والدور الذي يلعبه من يكيدون للإسلام ولكل ما هو إسلامي من أبناء المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام ويحاولون تشويه أحكامه ونظمه وتعاليمه، ثم الأمور التي جاءتنا من الاقتصاديات الأخرى سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية واستقرت في بلادنا وأصبح تغييرها ليس سهلاً.

كذلك نجد الأخطاء التي حدثت في بعض الشركات التي دخلت تجربة الاستثمار باسم الإسلام، هناك أخطاء الأشخاص الذين رفعوا شعارات الإسلام ولم يحسنوا التطبيق فشوهوا سمعة الاقتصاد الإسلامي.

أسلمة المؤسسات الاقتصادية

● وهل تطبيق الاقتصاد الإسلامي يحتاج إلى تغيير المؤسسات الاقتصادية القائمة؟

- التطبيق ليس معناه إلغاء الشركات والبنوك المؤسسات الاقتصادية القائمة الأمر فيها يحتاج إلى أسلمة هذه المؤسسات وتطهيرها مما بها من ربا ومعاملات تخالف الإسلام، وقد حدث ذلك في باكستان حينما تحولت كل بنوكها إلى بنوك إسلامية دون أن يحدث تغيير كبير في التركيبة البنيوية والمؤسسات القائمة.

علاج الأزمة الاقتصادية

● كيف يعالج الاقتصاد الإسلامي الأزمة الاقتصادية التي تعيشها الأمة في الوقت الراهن؟

- لو نظرنا إلى الكساد العالمي الذي حدث في إن المتخصصين بحثوا الناحية الاقتصادية وقالوا إن علاج هذا الكساد يتطلب وصول الفائدة إلى الصفر بمعنى إلغاء الفائدة، ومشكلة المسلمين الآن تتمثل في الديون وقلة الإنتاجية، وعلاج هذا واضح في الاقتصاد الإسلامي إذ نجده يمنع الدولة من الاقتراض



● الاستثمار الفردي في الزراعة وضرورة الالتزام بالضوابط الشرعية

بالربا طالما أن هناك موارداً يمكن استغلالها، فالديون لها آثار خطيرة على الأمة لأنها بسبب هذه الديون تفقد الأمة كلمتها وقرارها وتصبح مستعمرة باستعمار جديد هو الاستعمار الاقتصادي.

وأما قلة الإنتاجية فإن الاقتصاد الإسلامي يدعو إلى العمل وزيادة الإنتاج والعمل حق وواجب، وهذا العمل يجب أن يوجه إلى الضروريات أولاً ثم إلى الكماليات.

استثمار الأموال

● ما الطرق المتاحة أمام المسلم لاستثمار المال بعيداً عن الربا والمحرمات؟

ـــ هناك طرق خاصة للاستثمار كالاستثمار الفردي في الزراعة والصناعة والتجارة مع الالتزام بالضوابط الشرعية.

وهناك طرق الاستثمار الجماعية نتيجة لحاجة بعض المشروعات إلى أموال طائلة وهنا يأتي نظام الشركات في الإسلام ومنها المضاربة والمزارعة والمساقاة، والبنوك الإسلامية عبارة عن شركة المودعون فيها يمثلون رأس المال والمصرف يمثل العمل والضمان.

> للمرأة أن تخرج للعمل في حالة الضرورة وإذا احتاج إليها المجتمع.

تجربة البنوك الإسلامية

● وما تقويمكم لتجربة البنوك الإسلامية حتى الآن؟

- البنوك الإسلامية عمرها قصير فقد بدأت العام ١٩٧٥م وقد حولت باكستان كل بنوكها الربوية إلى بنوك إسلامية ويبلغ عددها سبعة آلاف بنك، واستطاعت هذه البنوك تحقيق أرباح فاقت الفوائد الربوية وتتولى الدولة جمع الزكاة عن طريق هذه البنوك. ولكن هناك الكثير من البنوك الإسلامية التي فيها بعض الخلل نتيجة لتقصير القائمين عليها سواء في الإدارة أو الرقابة الشرعية، فنجد مثلاً الذين جاءوا لإدارتها لم يدرسوا الفقه الإسلامي ونجد الرقابة الشرعية في كثير من الحالات تضم من لا يعرفون أعمال البنوك معرفة تامة.

والواجب على المسلمين اليوم أن يأخذوا بيد هذه البنوك ولا يحاربونها. ■

صلة الأرحام
من أعظم الفضائل الأخلاقية في الإسلام

خص الإسلام بعض الفئات بمزيد من العناية والاهتمام، وذلك لما بينها من علاقات وصلات، وروابط وأواصر قربى، أو روابط صداقة وجوار.
وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئات والأنواع، في قول الحق سبحانه: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) [النساء ـ ٣٦].
وهذه الصلات هي على الترتيب كالتالي:

بقلم محمد رجاء حنفي

طاعة المولى سبحانه وتعالى: وذلك بالعبادة الخالصة، لرابطة الربوبية، وأنه سبحانه هو الخالق، وهو الواجد.
فقد أوصى بالوالدين: إذ هما أحق الناس بعد المولى سبحانه وتعالى بالشكر والإحسان، وأمرنا التزام البر والطاعة لهما، وما من آية من آيات القرآن الكريم دعت إلى عبادة الحق سبحانه إلا واقترنت بالإحسان إلى الوالدين.
كما أوصى بذي القربى: وهم الأرحام، لرابطة النسب.
واليتامى الذين مات عنهم والدهم ولم يصلوا سن البلوغ.
والمساكين: وهم الفقراء فقراً واضحاً بيناً، لدرجة أنهم لا يملكون قوت يومهم.
والجار ذي القربى: وهو الذي يتمتع بصلتين: القربى، والجوار معاً.
والجار الجنب: وهو الجار الذي يكون بجانب البيت، ولكنه لا يمت للفرد بأي صلة قرابة.
والصاحب بالجنب: وهو الصديق، أو الصاحب في السفر، أو في المهنة.
وابن السبيل: وهو الذي انقطع في الغربة عن أهله.
وما ملكت أيمانكم: من الإماء، والعبيد.
ولقد تكفلت الشريعة الإسلامية بتفصيل هذه العلاقات والصلات، التي تجمع علاقة الإنسان وصلته بخالقه سبحانه وتعالى، وصلته بنفسه، وصلته بالمجتمع الذي يعيش فيه، فالصلة مادياً ومعنوياً لمن له القدرة عليها أمر يحبذه العقل، ويحث عليه المنطق السليم، وإذا لم يتيسر ذلك للجميع فالأولى بذلك الأرحام، والذين تجمعهم لحمة النسب.
يقول المولى سبحانه وتعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) [النساء ـ ١]
ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم)[الأنفال ـ ٧٥].

> صلة الرحم تعد من القيم التي لها شأنها وخطرها ومكانتها الرفيعة لعلو شأنها وعظيم خطرها

مكانة صلة الرحم

صلة الرحم تعد من القيم التي لها شأنها عند الله تعالى، ولها مكانتها بين القيم السامية الرفيعة، ولعظيم شأنها، وجليل مكانتها، قال المولى سبحانه وتعالى في الحديث القدسي والذي رواه عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى: «أنا الله ... وأنا الرحمن... خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»(١)
ففي هذا الحديث القدسي الشريف توجيه حكيم، يرشد المسلم إلى أهم شيء يجب أن يكون في حياته، وهو أن يصل رحمه، وهذا جانب من أهم جوانب البر والإحسان.
ولقد جاء هذا التوجيه بصورة حاسمة، لا تحتمل التهاون، والتكاسل في أية لحظة من اللحظات، فقد بين المولى سبحانه وتعالى أنه أخذ للرحم اسماً من اسمائه، واشتقه من اسم «الرحمن»، فكان لها علاقة به، وليس المعنى أنها من ذات الله سبحانه جل شأنه

عن ذلك علواً كبيراً.
إن الحق سبحانه وتعالى أوجد الرحم، وخلقها بقدرته الشاملة، فهي مضافة إليه وفي كنفه ورعايته، يتكفل بثواب واصلها، وعقاب قاطعها، ثم رتب على ذلك أن من وصل رحمه بالبر والإحسان، وصله الحق بالبر والإحسان في الدنيا والآخرة أيضاً، وأن من قطعها قطعه المولى سبحانه من رحمته وإحسانه، وأبعده عن جنته، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»(٢).
وصلة الرحم واجبة، وقطعها من الذنوب الكبيرة، وقد ورد الوعيد بشأن قاطعها، فقد روى أبو هريرة ــ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة... قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك... قالت: بلى... قال: فذاك لك»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا إن شئتم: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله، فأصمهم، وأعمى أبصارهم»(٣).
لقد جعل الحق سبحانه وتعالى قطيعة الرحم مماثلة فساد في الأرض، إذ إن في فساد الأسرة فساد المجتمع، وفي فساد المجتمع فساد للحياة، والأسرة المتمسكة بصلة رحمها فيما بينها تشملها البركة، وتعمها الرحمة، في حالها وفي مآلها، وتنعم بالسعادة والاطمئنان، يقول المولى سبحانه وتعالى: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) [الرعد ـ ٢١].
وأما الذين أقفرت قلوبهم من الإيمان، وخلت من خشية المولى سبحانه وتعالى، وتمزقت بينهم الصلات، وتشققت الأرحام، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل فأولئك هم الخاسرون، يقول تعالى: (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)[البقرة ـ ٢٧].

أنواع الرحم

إن للرحم أنواعاً ثلاثة هي:

١ ــ رحم عامة: وهي رحم الدين، وتجب مواصلتها بالمودة والمحبة، والتناصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما إلى غير ذلك من الحقوق الواجبة والمندوبة.
٢ ـ رحم خاصة: وهم الأقارب، وهذه الرحم هي التي يعنيها الحديث القدسي الشريف، فتكون صلتها بزيادة النفقة على الأقارب، وتفقد أحوالهم، والتسامح معهم، وقضاء حوائجهم، وكل ما يعود عليهم بالنفع في حياتهم.
٣ ـ رحم القريب غير المسلم: أجاز الإسلام صلة رحم القريب غير المسلم، عن طريق صلته بالبر والإحسان إليه، وذلك للرحم التي يرتبط بها الإنسان معه، يقول عمرو ابن العاص ـ رضي الله عنه ـ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن آل أبي ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله، وصالح المؤمنين»(٤).
ويقول المولى سبحانه وتعالى في محكم آياته: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [الممتحنة ـ ٨].
ويروى في سبب نزول هذه الآية القرآنية الكريم، أن الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا: ضباب(٥)، وقرط، وسمن... وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها، وتدخلها بيتها... فسألت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ــ النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: (لا ينهاكم الله).

وجوه الصلة

إن لصلة الرحم وجوهاً كثيرة ومتعددة، فمنها ما يكون بإعطاء المال، ومنها ما يكون بقضاء الحاجات، وتفقد الأحوال، والصلة هذه ليست خاصة بمن يصلون بالمودة، بل إن المسلم مطالب أن يصل أرحامه جميعاً بلا استثناء، سواء أحسنوا إليه أم أساؤوا.
ولقد روى عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»(٦).
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ــ أن رجلاً قال: يا رسول الله.. إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ... فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ»(٧)، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك»(٨).
وأن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الأسوة، وأطيب القدوة، فقد لقي من أهله ما لقي، ومن عشيرته ما أقض مضجعه، وأقلق راحته، وأطلق لسانه الشريف بالضراعة إلى خالقه ومولاه سبحانه وتعالى مستجيراً به من إيذاء «ثقيف» له، إذ يقول: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي.. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٩).
وعلى هذا فإن المعنى الشامل لوجوه الصلة، هو: إيصال كل ما يمكن من الخير، ودفع كل ما يمكن من الشر.
ويختلف ذلك باختلاف القدرة، ومدى الحاجة، فمنها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فمن وصل بعض الصلة ولم يصل إلى غايتها فإنه لا يسمى قاطعاً، أما لو قصر فيما يقدر عليه فلا يسمى واصلاً.

الإسلام أجاز صلة الرحم مع القريب غير المسلم بالتسامح وصلته بالبر والإحسان إليه ومساعدته

ثمرات الصلة

إن لصلة الرحم ثمرات كثيرة ومتعددة، وردت في أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.
ومن هذه الثمرات ما روي عن أبي هريرة ـ

ثمــرتين من أهم الثمــرات التي تشملهما صلة الـرحم وهما: زيادة الـرزق، وزيادة العمر.

ولقـد قـال بعض العلماء: إن ظـاهـر هـذا الحديث النبوي الشريف، يتعارض مع قول الحق سبحانه وتعـالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخـرون سـاعــة ولا يستقـدمــون) [الأعراف ـ ٣٤].

وقد حـاول بعض العلماء التوفيـق بين هذا الحديث النبـــوي الشريف، وبين الآيـــة القرآنية الكريمة، ولهم في ذلك أربعة أقوال:

القول الأول: إن الزيادة كناية عن البركة في العمـر، بسبب التوفيـق في الطاعـة، فيبقى بعد ذلك الذكر الطيب الجميل.

الثـاني: إن هـذه الـزيـادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمـر، وأما ما دلـت عليه الآية القـرآنية الكريمـة فالبنسبة إلى علم المولى سبحـانه وتعالى، كأن يقال للملك مثلاً: إن عمر فلان مــائة عـام إن وصل رحمه، وستـــون إن قطعهـا، وقد سبق في علـم الحق سبحانـه وتعالى أنه يصل رحمه أو يقطـع، فالذي في علم المولى سبحــانه لا يتقـدم ولا يتأخـر، والـذي في علم الملك هـو الـذي يمكن فيـه الزيادة والنقصان.

الثالث: إنه محمـول على الذرية الصالحة، يدعون لأبيهم بعد موته.

الرابع:

إن المراد بزيادة العمـر هو نفي الآفات، عن صــاحب البر، في : فهمه، وفي عقلـه، بل وفي كل شيء.

هــذه هي الأقــوال الأربعة، وأنــه لمن الخير إبقـاء الأثـر في الحديـث على المعنى الـذي يتبادر منـه عند النطق به، وهــو عبارة عما بقي من رسم الشيء، وهذا يـؤيد اللغة، ولا يوجد أشكالاً ولا تنـاقضاً يحتاج إلى تأويل في النصوص دون حاجة.

وعلى هـذا يكـن المراد بـالأثــر الـوارد في الحديث هو أثر ما يعمله الفرد صلة للرحم، من المعـونة لهم بالمال عنـد حاجتهـم إليه، وفك ضـــائقتهم بــه، إن كــانـوا فقــراء، وبـالهدايـا والـزيــارات والمجــامـلات في

اسبات إن كانوا أغنياء، وما إلى غير ذلك كل ما يدخل السرور على الأرحام.

ـذا العمل ـ بـلا شك ـــ سوف يـدخل جة على النفوس، وسوف يترك فيها أثراً ناً، إذ إن غـرس الورد، وزرع المحبـة، وتقـوية العــلائق، ودعم الـروابط، وجمال الألفـة، مما يخلـد ذكر الفـرد بين قرابتـه، مـادام هذا الأثـر قائماً فيهم، فكأنـه حتى بينهم، يقوم بما كان يقوم بـه حال حياته، ومن أجل هـذا قال رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم في حديثـه الشريف: «وينسأ له في أثـره»، ولم يقل: «في أجله»، ولـو وردت روايـة تقـول: «وينسأ لـه في أجلـه» فإنـه ينبغي أن يحمل الأجـل فيهـــا على الأثـــر، تلافياً لهذا التناقض.

خلاصة القول

فضل المولى سبحانه وتعالى كثير ولا حرج عليـه، ومـادام سبحـــانـه يعمل كل شيء، وبيـده كل شيء، وجعل لصـانع المعـروف ثمـرة، وللـدعاء نتيجـة، فـلا مــانع من أن يعطي لمن يصل رحمه مـزيـداً من البركـة، ومزيداً من الرزق، والفضـل بيده سبحانه وتعـالى يؤتيـه من يشاء، وهــو ذو الفضل العظيم.

ومن الأحاديث التي وردت فيما يترتب على صلة الأرحام من خير عظيم، وفضل عميم، قوله صلوات الله وسـلامه عليه: «من كان يؤمن بـالله واليـوم الآخر فليكـرم ضيفه، ومن كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(١١).

وقوله عليـه أفضل الصلاة والسلام: «من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله وليصل رحمه»(١٢).

لصلة الرحم ثمرات كثيرة ومتعددة وردت في أحاديث المصطفى منها السعة في الرزق والزيادة في العمر

وقـولـه صلى اللـه عليـه وسلم: «إن أفضل الفضـــائل أن تصل مــن قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن شتمك»(١٣).

هــذا هو حق الـرحم في الإسلام، وهـذه هي مكانتها، عناية زائدة، ورعاية فائقة، وتقدير ما بعده تقدير، وخير ومثـوبة لا يعلم مداها أحد، ولا يـدرك كنهها أحـد، فعلينا أن نعمل بحقها، وأن نسير في طريقها حتى نكون من الفائزين برضا الحق سبحانه وتعالى، فكما ندين ندان، وما نفعله ستعاملنا به أرحامنا، في المستقبل العاجل والآجل. ■

الهوامش

(١) رواه أبـو داود، والترمـذي، من روايـة أبي سلمـة عنـه، وقـال الترمـذي: حـديث حسن صحيح.

(٢) أي: قـــــاطـع رحم، رواه مسلـم، والبخاري.

(٣) رواه البخاري: ومسلم.

(٤) وزاد عنبسة بن عبدالواحـد، عن بيان بن قيس، عن عمرو بن العـاص ـ رضي الله تعـالى عنهم أجمعين ـــ قـال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ولكن لهم رحم أبلّها ببلالها»، يعنـي: أصلها بصلتها، رواه البخاري.

(٥) الضباب: نوع من الحلوى.

(٦) رواه البخـاري واللفظ له، وأبـو داود، والترمذي.

(٧) الملّ: الرماد الحار.

(٨) رواه مسلم.

(٩) رواه البخاري.

(١٠) رواه البخـاري، والترمـذي، ولفظـه: «تعلمـوا من أنســابكم مــا تصلــون بـه أرحامكم، فـإن صلة الرحم محبـة في الأهل، مثـراة في المال، منسأة في الأثــرة»، وقـال: حـديث غريب.. ورواه الطبراني من حـديث العلاء بن خارجة كلفظ الترمذي، بإسناد لا بأس به.

(١١) رواه البخاري، ومسلم.

(١٢) رواه عبـداللــه بن الإمــام أحمد في زوائده، والبزار بإسناد جيد، والحاكم.

(١٣) رواه الطبراني من طـريـق زبـان بن فائد

التربية المجتمعية في ضوء

تربيه

عنى القرآن الكريم عناية بالغة بالعلاقات الاجتماعية بين الناس بمستوياتها المختلفة، فجاء التشريع الإسلامي لتلك العلاقات على هيئة حلقات متصلة يكمل بعضها بعضاً، فإذا كان الإنسان الفرد هو الوحدة الأساسية في تكوين المجتمع، فإن القرآن الكريم قد بدأ بتنظيم علاقات الإنسان - بوصفه فرداً في جماعة - من خلال:

أ - تنظيم علاقات الفرد في صورتها الإنسانية بأصوله وفروعه ويتمثل ذلك في الأمر بطاعة الوالدين وبرهما في حياتهما وبعد مماتهما.

ب - تنظيم تلك العلاقات في صورتها المادية ويتمثل ذلك في تنظيم ميراث الأصول والفروع تنظيماً دقيقاً يحقق المصلحة لجميع الأطراف.

ج - تنظيم تلك العلاقات حين تتشابك فيها الجوانب الإنسانية بالجوانب المادية ويتمثل ذلك في تنظيم العلاقات الزوجية وعلاقات القرابة وما إلى ذلك.

بقلم أ.د. مصطفى رجب

فإذا خرج الإنسان الفرد من دائرة فرديته وبدأ يمارس حياته في المجتمع تأثيراً وتأثراً، وجد نفسه في دائرة أوسع من العلاقات نظمها القرآن تنظيماً شاملاً كاملاً من زاويتين متكاملتين هما: زاوية السلوك الإيجابي الذي لا ينبغي للمجتمع مخالفته ممثلاً في التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام والجهاد وما شابه ذلك مما حض عليه القرآن، وزاوية السلوك السلبي الذي لا ينبغي للمجتمع اقترافه مثل الغيبة والنميمة والنفاق، والكذب والرياء، والفتنة، وقتل النفس، والزنا، والسكر وما شابه ذلك مما نهى عنه القرآن الكريم.

ولكن الزاوية التي نود أن نركز عليها الأضواء في هذا المقال تلك التي تتصل بمفهوم التربية من حيث كون التربية هي انتهاج السلوك المرغوب فيه اجتماعياً، ونبذ السلوك المستهجن اجتماعياً وإدانته.

وفي هذا السياق نجد أن القرآن الكريم سعى إلى درء كثير من المفاسد الاجتماعية عن طريق ما يمكن أن نسميه بالتربية الوقائية ونقصد بهذا المصطلح: «تشكيل سلوك الناس بحيث يتجنبون ما يسيء إليهم أو إلى الآخرين، بحيث يسيرون في حياتهم وفقاً لما يمليه الضمير الإنساني المسلم».

دعائم التربية الوقائية:

تستند التربية المجتمعية الوقائية كما تتضح من آيات القرآن الكريم إلى مجموعة من الدعائم السلوكية التي تصون المجتمع من الانزلاق إلى هاوية الدمار ومن أهم تلك الدعائم:

أولاً: الترفع عن الدنايا: تتحقق التربية الوقائية للمجتمع بترفع أفراده عن صغائر الأمور وتجنبهم المعاصي وحرصهم على المظهر الكريم والسلوك القويم. قال تعالى في صفة عباد الرحمن (... وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الفرقان ــ ٦٣، وليس المراد هنا سلام التحية المعروف لأن هذه الآية مكية وتشريع تحية السلام الذي ورد في سورة النساء نزل بعد الهجرة، وإنما السلام في هذه الآية معناه المفارقة والترك أي أن المؤمنين إذا خاطبهم الجاهلون أعرضوا عنهم ولسان حالهم يقول: سلمنا الله منكم ومن أعمالكم.

وقال تعالى أيضاً: (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) الفرقان - ٧٢، قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية ١٨/١٣: اللغو، هو كل سقط من قول أو فعل، فيدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك مما قاربه، ويدخل فيه سفه المشركين وأذاهم المؤمنين وذكر النساء وغير ذلك من المنكر، وقال مجاهد: إذا أوذوا صفحوا. وروي عنه إذا ذكر النكاح كنوا عنه، وقال الحسن: اللغو المعاصي كلها. وهذا جامع، و«كراما» معناه معرضين منكرين لا يرضونه، ولا يمالؤون عليه، ولا يجالسون أهله، أي مروا مرور الكرام الذين لا يدخلون في الباطل، يقال: تكرَّم فلان عما يشينه، أي تنزه وأكرم نفسه عنه. وروي أن عبدالله بن مسعود سمع غناء فأسرع وذهب، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لقد أصبح ابن أم عبداً كريماً» وقيل: من المرور باللغو كريماً أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر».

ثالثاً: صيانة العقيدة: من شأن المجتمع المؤمن أن ينافح عن عقيدته بكل ما أوتي من قوة، فلا يدعو مع الله إلها آخر، ولا يرضى لأي من أفراده أن يشرك بالله أحدا ويحافظ المجتمع المؤمن على عقيدته بعدة طرق

القرآن الكريم سعى الى درء الكثير من المفاسد الاجتماعية عن طريق التربية الوقائية

أهمها: محاربة مظاهـر الكفر حيثما وجدت، والقضاء على الفتن العقـائدية في مهـدها قبل أن تستفحل وإظهـار التـوحيـد الحق في كل مناسبـة، وما يستتبعـه ذلك من نبذ مظـاهر الشرك كـالخوف من المخلـوق، والتـزلف المقيت، والنفاق الرخيص، فهـذه السلوكيات تخلق مجتمعاً مريضاً تافهـاً جديراً بالذبول والتلاشي والمجتمع المؤمـن الحق هو مجتمع العزة وقـوة الشخصية ولا يتأتـى للفرد ولا للمجتمع أن يكـون قـوي الشخصية معتـزاً بنفسه إلا إذا كـانت عقيدة التوحيـد متأصلة فيـه، فلا يشعـر بضعف أو هوان لأن حبلـه متصل بخالق المخلوقات، واستمساكه بحبل اللـه المتين وتحريه الـدؤوب للإخـلاص مع الله، يبـذر في نفسه بذور القـوة فلا يخضع لأحـد، ولا يخشى على رزقـــه أن ينقطع، ولا على عمره أن ينتقص، فالخالق الرازق القادر هو ضمان بقاء المخلوق المرزوق الضعيف في كنفه مـادام معتصماً بحبله، مطيعـاً أوامره، وبهذا تتحقق الـدعـامة الثـانيـة من دعـائم التربية الـوقائية للمجتمع. قـال تعالى: (ومن أضل ممن يـــدعـــوا من دون اللــــه من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلـون. وإذا حشر الناس كانـوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) الأحقاف ـ ٥، ٦).

أي أن القـوى التي يتشبث بها من يكفـرون بالله هي في ذاتها قوى زائفة لا تملك لنفسها نفعـاً ولا ضراً وهي تتبرأ منهم يـوم القيامـة ومن عبادتهم إياها.

يقـول الإمـام الفخر الـرازي في تفسير هـذه الآية «القول بعبادة الأصنـام قول باطل من حيث إنها لا قـــــدرة لها على الخلـق والفعل والإيجاد والإعـدام والنفع والضر، فـأردفـه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب، وهي أنها جمادات فـلا تسمع دعـاء الـداعين، ولا تجيب حاجات المحتاجين، وبالجملة فالدليل الأول كـان إشـــارة إلى نفي العلم مـن كل الـوجـوه، وإذا انتفى العلم والقـدرة من كل الوجـوه لم تبق عادة معلـومة ببـدهية العقل فقوله (ومن أضل ممن يـدعو من دون الله) استفهام إنكاري والمعنى أنـه لا أمر أبعد عن الحق، وأقرب إلى الجهل ممن يـدعو من دون الله الأصنام فيتخذها آلهة ويعبدها وهي إذا دعيت لا تسمع، ولا تصح منها الإجـابة لا في الحال ولا بعـد ذلك اليـوم إلى يوم القيـامـة، وإنما جعل ذلك غاية لأن يوم القيامة قد قيل إنه تعالى يجيبها وتقع بينهاوبين من يعبدها مخاطبة فـذلك جعله تعالى حـداً، وإذا قامت القيامة وحشر الناس فهـذه الأصنام تعادي هؤلاء العابـدين، واختلف فيه الأكثرون على أنه تعـالى يحيي هذه الأصنـام يوم القيـامة وهي تظهـر عـداوة هؤلاء العـابـدين وتتبرأ منهم، وقال بعضهم بل المراد عبدة الملائكة، وعيسى فإنهم في يـوم القيـــامـة يظهـرون عـداوة هـؤلاء العابـدين فإن قيل مـا المراد بقـوله تعـالى (وهم عن دعـائهم غافلـون) وكيف يعقل وصف الأصنـام وهي جمادات بالغفلة؟ وأيضـاً كيف جاز وصف الأصنام بما لا يليق إلا بالعقلاء؟ وهي لفظة من قوله (هم غافلون) قلنا إنهم لما عبـدوها ونزلوها منـزلة من يضر وينفـع صح أن يقال فيهـا إنها بمنزلة الغافل الذي لا يسمع ولا يجيب، وهذا هـو الجواب أيضاً عـن قولـه إن لفظة (من) ولفظـة (هم) كيـف يليق بها، وأيضـاً يجوز أن يريـد كل معبود من دون اللـه من الملائكـة وعيسى وعزيـر والأصنام إلا أنـه غلّب غير الأوثان على الأوثان.

ثالثـاً: الإيجابية: يحرص القـرآن الكريم في تربيته للمجتمع على إذكاء روح التفاعل بين أفراد المجتمع المؤمن فلا يقبل من المؤمن أن يكون منكفئاً على ذاته ساعياً وراء مصلحته الخاصـة، غـافـلاً عن أحـوال إخـوتـه من المؤمنين ومن ثم فإن التربيـــة الـوقـــائيـة للمجتمع تسعى إلى استئصـــال جـذور حب الذات وعبـادة المصلحة الخاصـة من خلال تشجيع التعـاون على البر والتقـوى، وبـذل العطاء المعنوي والمادي ـ كل حسب طاقته ـ بين المؤمنين.

قال تعالى: (الذين يبْخلون ويأمرون الناس بالبخـل ويكتمون ما آتـاهم الله مـن فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا) النساء ـ ٣٧، فكأنه سبحـانه وتعـالى سوى بين من يسلك هذا السلوك الشائن وبين الكفار.

يقـول الإمام ابن عطيـة في تفسير هذه الآيـة (٥/١٠١) (الذين يبخلـون) أي يمنعون ما أوجب اللــه عليهم من الــزكـوات وغيرهــا واختـاره الجبائي وأبـو مسلم، وقيل معنـاه الذيـن يبخلون بإظهـار ما علموه مـن صفة النبي صلى الله عليـه وسلم... عن ابن عباس ومجاهـد والسـدى وابن زيـد (ويأمـرون ا الناس بالبخل) ويأمـرون غيرهم بذلك وقيل يأمـرون الأنصار بترك الإنفـاق على رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم وعلى أصحابـه... عن ابن عبـاس وقيل يأمـرون بكتمان الحق (ويكتمـون مـا آتـاهم اللـه من فضلـه) أي يجحدون مـا آتاهم الله من اليســار والثروة اعتذارا لهم في البخل، وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم ببعث النبي ومبعثه، والأولى أن تكون الآيةعـامة في كل من يبخل بأداء ما يجب عليه أداؤه ويأمـرون النـاس به، وعامة في كل من كتم فضلاً آتـاه الله تعالى من العلم وغيره من أنـواع النعم التي يجب إظهـارهـا ويحرم كتمانها، وقـــد ورد في الحديث «إذا أنعم الله تعـالى على عبد نعمـة أحب أن يرى أثرهـا عليه» واعتدنا للكـافرين عذابـاً مهينا أعددنا للجـاحدين ما أنعم الله عليهـم عذاباً يهانون فيه ويذلون، فأضاف إلى العذاب إذا كان يحصل به.

وفي الجانب الآخـر امتـدح القـرآن الكـريم السلوك الإيجابي الذي يسلكه المؤمن فيحقق بـذلك مـراد اللـــه تعـالى في تكـوين مجتمع متحـاب متآلف فأثنى سبحـانه وتعـالى على هذا السلوك ووعد أصحـابه بالجزاء الحسن متمثـلاً ليس فقط في الجنـة ولكن أيضـاً في جمع شملهم بأحبابهم في الدار الدنيا ليكونوا معهم يـوم القيامـة لتكتمل بذلك سعـادتهم فقـال تعالى: (الـذين يوفـون بعهد اللـه ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشـون ربهم ويخافون سوء الحساب. والـذين صبروا ابتغـاء وجه ربهم وأقامـوا الصلاة وأنفقـوا مما رزقنـاهم سراً وعلانيـة ويدرءون بـالحسنة السيئـة أولئك لهم عقبى الدار. جنات عـدن يدخلونها ومن صلح من آبـــائهم وأزواجهم وذريـــاتهم والملائكة يدخلـون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الـدار) الرعـد

القرآن الكريم امتدح السلوك الايجابي الذي يسلكه المؤمن فيحقق بذلك مراد الله تعالى

٢٠ - ٢٤

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآيات (الذين يوفون بعهد الله) أي بما عقدوه من العهود فيما بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد (ولا ينقضون الميثاق) الذي واثقوه على أنفسهم، وأكدوه بالإيمان ونحوها، وهذا تعميم بعد التخصيص، لأنه يدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد على نفسه كالنذور ونحوها، ويحتمل أن يكون الأمر بالعكس فيكون من التخصيص بعد التعميم على أن يراد بالعهد جميع عهود الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل في ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه.

ويراد بالميثاق ما أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم في عالم الذرية المذكور في قوله سبحانه في سورة الأعراف ١٧٢ (وإذا أخذ ربك من بني آدم) وكذلك الآية (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) ظاهرة شمل كل ما أمر الله بصلته، ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق عباده، يدخل تحت ذلك صلة الأرحام دخولاً أولياً، وقد فسره كثير من المفسرين على صلة الرحم، واللفظ أوسع من ذلك ويخشون ربهم خشية تحملهم على فعل ما وجب، واجتناب ما لا يحل (ويخافون سوء الحساب) وهو الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عذب، ومن حق هذه الفئة أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) الرعد - ٢٢.

وبالمراد بالصبر، الصبر على الإتيان بما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، وقيل: على الرزايا والمصائب، ومعنى كون ذلك الصبر لابتغاء الله: أن يكون خالصاً له، لا شائبة فيه لغيره (وأقاموا الصلاة) أي فعلوها في أوقاتها على ما شرعه الله سبحانه في أذكارها وأركانها مع الخشوع والإخلاص، والمراد بالصلوات المفروضة، وقيل أعم من ذلك (وأنفقوا مما رزقناهم) أي أنفقوا بعض ما رزقناهم، والمراد، بالسر: صدقة النفل، والعلانية: صدقة الفرض، وقيل السر لمن لم يعرف بالمال، أو لا يتهم بترك الزكاة، والعلانية لمن كان يعرف بالمال أو يتهم بترك الزكاة (ويدرءون بالحسنة السيئة) أي يدفعون سيئة من أساء إليهم بالإحسان إليه كما في قوله تعالى في سورة فصلت - ٣٤ (ادفع بالتي هي أحسن)، أو يدفعون سيئة من أساء إليهم بالعمل الصالح العمل السيء، أو يدفعون الشر بالخير، أو المنكر بالمعروف، أو الظلم بالعدل، أو الظلم بالعفو، أو الذنب بالتوبة، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور، والإشارة بقوله: (أولئك) إلى الموصوفين بالصفات المتقدمة (لهم عقبى الدار) المراد بالدار: الدار الآخرة، وعقباها الجنة للمطيعين (جنات عدن يدخلونها) بدلاً من عقبى الدار أي لهم جنات عدن، ويجوز أن يكون مبتدأ، وخبره يدخلونها، والعدن أصله الإقامة، ثم صار علماً لجنة من الجنان. (ومن صلح من آبائهم) يشمل الآباء والأمهات (وأزواجهم وذرياتهم) معطوف على الضمير في يدخلون، وجاز ذلك للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه: أي ويدخلها أزواجهم وذرياتهم وذكر الصلاح دليل على أنه لا يدخل الجنة إلا من كان كذلك من قرابات أولئك، ولا ينفع مجرد كونه من الآباء أو الأزواج أو الذرية من دون صلاح (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) أي من جميع أبواب المنازل التي يسكنونها، أو المراد من كل باب من أبواب التحف والهدايا من الله سبحانه (سلام عليكم) أي قائلين سلام عليكم: أي سلمتم من الآفات أو دامت لكم السلامة (بما صبرتم) أي بسبب صبركم وهو متعلق بالسلام. أي إنما حصلت لكم هذه السلامة بوساطة صبركم أو متعلق بـ «عليكم»، أو بمحذوف: أي هذه الكرامة بسبب صبركم أو بدلاً مما احتملتم من مشاق الصبر (فنعم عقبى الدار) جاء سبحانه بهذه الجملة المتضمنة لمدح ما أعطاهم من عقبى الدار المتقدم ذكرها للترغيب والتشويق.

الميثاق ما أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم

يتضح مما تقدم أن للتربية المجتمعية في ضوء القرآن - في شكلها الوقائي - ثلاث دعائم هي: الترفع عن الدنايا، صيانة العقيدة، الإيجابية.

وتندرج تحت كل دعامة من هذه الدعائم عناصرها الأساسية من مفردات السلوك اليومي للإنسان المؤمن التي بها يتحقق التواد والتحاب والتكافل والتراحم مما يخلق مجمعاً مثالياً تظلله رعاية الله في الدنيا ورحمته في الآخرة، وحتى تكتمل صورة التربية القرآنية للمجتمع فإن المخطط التالي يعكس تصورنا الخاص لمسار تلك التربية:

التربية القرآنية للمجتمع

تربية وقائية: هدفها هو:
(تقويم السلوك حتى لا يعوج)

الترفع عن الدنايا
- ترك اللغو
- ترك المنكرات كالزنا والخمر وغيرهما
- الإعراض عن الصغائر وما شابه ذلك مما يدل على السمو والترفع

صيانة العقيدة
- التوحيد الخالص
- محاربة الكفر
- الجهاد
- نصرة المظلوم
- الجهر بالحق

الإيجابية
- حسن الخلق
- الوفاء بالوعد
- حسن الجوار
- التعاون والمبادرة للخير
- النصح
- الأمر بالمعروف
- النهي عن المنكر

تربية علاجية: هدفها هو:
(تقويم السلوك المعوج)

مكفرات الذنوب
- الوضوء
- الصلاة
- الصوم
- الزكاة
- الحج
- صلة الرحم

اقليات اسلامية



الصين تحتضن مئة مليون مسلم ومئة ألف مسجد

إعداد: طارق البكري

عريقة في حضارتها التي توغل بعيداً في أعماق التاريخ، كبيرة في مساحتها... مؤثرة في مقدراتها البشرية والمادية، إلى تنوع في الأعراق والمعتقدات وتباين في اللهجات والانتماءات.

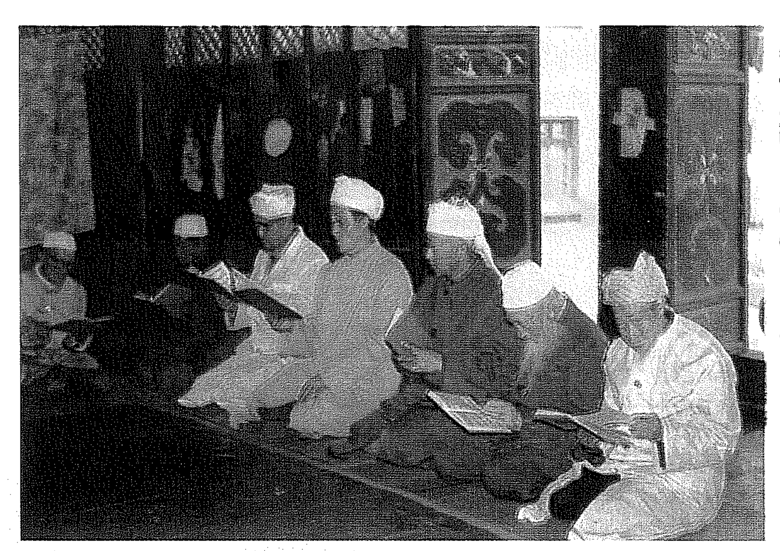
تلك هي الصين.. نذكرها، فيتبادر إلى الذهن تلقائياً الأثر الشهير «اطلبوا العلم ولو في الصين»، إذ إنها لم تكن ذلك المارد المجهول، بل عرفها العرب القدماء، من قبل أن يصدع محمد صلى الله عليه وسلم برسالة السماء، حاملاً راية الهدى والنور، ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى ضياء العلم والإيمان.

ومن المؤكد أن الإسلام بلغت نفحاته الصين في بواكير عهد الدولة الإسلامية، بيد أن المصادر لا تتفق على تأريخ محدد يوضح الطريق التي سلكها إلى تلك الديار.

المصادر الصينية ترجع الاتصال بين الصين والمسلمين إلى عهد أسرة تانج التي حكمت الصين بين عامي ٦١٨ ــ ٩٠٦م. وجاء ذكر المسلمين في هذه المصادر لأول مرة في مستهل القرن السابع الميلادي، إذ أشار المؤرخون الصينيون إلى ظهور دين جديد في بلاد العرب، وذكروا أنه يختلف عن البوذية، وأن معابده تخلو من التماثيل والصور، وأشاروا إلى أن جماعة من المسلمين قدموا إلى منطقة تسمى كانتون في مطلع حكم أسرة تانج.

وحصلوا من الأمبراطور على إذن بالبقاء، فبنوا بيوتاً جميلة تختلف عن البيوت الصينية في طرازها، وكانوا يختارون من بينهم رئيساً يطيعونه في أمورهم وشؤونهم.

وتقول المصادر إن الإسلام لم يصل إلى الصين عن طريق البعثات الدعوية أو الجهادية، لكنه وصل مع امتداد الحركة التجارية في عهد الامبراطور تاي تسونغ ثاني حاكم من أسرة تانج، ووفقاً للسجلات التاريخية لأسرة تانغ، فإن سنة ٦٥١، كان التاريخ الرسمي لدخول الإسلام إلى الصين، حيث تقول السجلات «إن مُلك العرب قد مر عليه ٣٤ سنة، وأنه قد تولى الملك الثالث عليهم» والمقصود الخليفة الراشدي الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه.



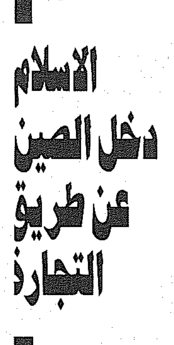
■ اطلبو العلم ولو في الصين عرفها العرب قبل الرسالة المحمدية ■

تجار البحر

وترجح بعض المصادر أن الإسلام دخل الصين بوساطة تجار البحر من المسلمين الذين نزلوا موانيها، وترجح أيضاً أن اتصالاً سياسياً قديماً عبر مسالك البر قد تم بين ابن «يزدجرد» آخر ملوك الساسانيين ويدعى فيروز، وامبرطور الصين، حيث طلب فيرز من الامبرطور معونة لاسترجاع ملكه من العرب والمسلمين، فاعتذر الامبرطور ببعد الشقة وذكر أن فتوح المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان في خلافة الوليد بن عبدالملك، (٨٦ ــ ٩٦هـ) ــ (٧٠٥ ـ ٧١٥ م) بلغت تخوم الصين بعد عبوره نهر جيحون وفتحه بخارى وسمرقند.

وذكر أن ملك الصين أرسل إلى المسلمين الهدايا عندما اقتربوا من بلاده، وطلب منهم وفداً يعرفه بهم. وبالرغم من عدم توغل الفتوحات الإسلامية في أرض الصين، إلا أن طريق القوافل بين غرب آسيا والصين كان له تأثير في انتشار الإسلام عن طريق التجار في غرب الصين إلى جانب مجاورة المسلمين في منطقة التركستان في وسط آسيا للحدود الغربية للصين.

ويعتبر العام ٧٥١م علامة مميزة للعصر الذي دخل فيه الإسلام إلى الصين بقوة، عقب معركة «تالاس» والتي واجهت فيها القوات الصينية ولأول مرة المجاهدين المسلمين، في قتال تغلب فيه المسلمون على الجيش الصيني البالغ عدده نحو مئة ألف مقاتل، مما مهد الطريق لتمكن الإسلام في آسيا الوسطى وانتشاره في تلك المنطقة من العالم.





غارات المغول

وتقر المصادر الصينية بوجود جماعات من المسلمين في عهد أسرة تانج، وغالبيتهم من التجار الذين حطوا رحالهم في الموانى، وكانت التجارة بين الشرق والغرب في أيدي المسلمين، حتى بداية القرن العاشر الهجري (نهاية القرن الخامس عشر الميلادي)، ودفعت غارات المغول على بلدان الخلافة الإسلامية خلال القرنين السادس والسابع (١٢ ـ ١٣م) إلى هجرة جماعات من المسلمين العرب والإيرانيين والأتراك، إلى الأراضي الصينية، فاستقروا ونشطوا في العمل واندمجوا مع أهلها، ووصل بعضهم إلى مناصب كبيرة، وخصوصاً في ظل حكم الامبراطور قبلاي خان، من الأسرة المغولية (١٢٦٠ ــ ١٢٩٤م)، وقد لاحظ وجودهم الرحالة ماركو بولو الذي عاش في الصين بين عامي ١٢٧٥ ـ ١٢٩٢م، وأورد بيانات عنهم، وعن العلاقة بين الصين والبلاد الإسلامية، كذلك فقد زار الرحالة ابن بطوطة «المتوفى في العام ٧٧٨هـ ـ ١٣٧٧م) عدة مواني على ساحل الصين في القرن الثامن الهجري وتحدث عن حسن استقبال المسلمين له، وذلك في كل مدينة زارها، وذكر أن في كل مدينة من المدن الصينية التي عرفها «مدينة ملحقة» أو حي مخصص للمسلمين لهم فيه مساجد.

وأوضح ابن بطوطة أنه كان للمسلمين مكانة عند الصينيين رغم أنهم كانوا يعدون جالية أجنبية قبل سقوط أسرة «يوان» المغولية، (١٢٦٠ ــ ١٣٦٨م)، ولكنهم أصبحوا في عصر أسرة «مينج» (١٣٦٨ ـ ١٦٤٣م)، أقرب إلى الصينيين، بعد أن توقفت تقريباً حركة توافد المسلمين إلى الصين، كما انقطعت صلات المسلمين في الصين بإخوانهم في العالم الاسلامي وتزايد اندماجهم مع سائر الصينيين، وتمثلوا عاداتهم وتقاليدهم،

سقر﴾ تغلي فيها هذه الرأس المدبرة المفكرة، التي قادت قومها إلى أسوأ مصير، في طول التاريخ وعرضه.. ﴿سأصليه سقر﴾ جزاء وفاقاً لما أجهد نفسه، ولما فكر.. وقدر.. ونظر.. وعبس وبسر.. ثم أدبر واستكبر.

يسدل الستار على هذا المشهد العجيب، وألسنة «سقر» تشتعل.. ﴿وما أدراك ما سقر﴾؟!! يجيب على هذا التساؤل مشهد آخر ينفرج عنه الستار، ولكن ليس هذا أوانه. وسوف تعالجه في مكان آخر إن شاء الله تعالى.

الجانب الحي

هذا هو الجانب الحي المشاهد في هذه الصورة فلننظر إليها الآن نظرة أعمق نتأمل خلالها الجامع، الذي يشد الإطار الخارجي إلى قلب الصورة، عن طريق استخدام لغة الظلال والألوان، وما بينها من تحاور وتجاذب.. نتعمق — أو قل نتسلل — عن طريق الكلمات إلى داخل نفوس القوم، لندرك ما تتمتع به الصورة من عظمة الفن وروعة الأداء.

الرجل ذو مكانة في قومه.. ووسط مال وأهل وعشيرة. يحيط به أبناؤه.. تجارته تروح وتغدو، مما يزيد في ثرائه ويكثر من أعوانه وأنصاره.. هذه العوامل حينما تجتمع في رجل في أي عصر وفي أي مجتمع.. لابد من أن يؤول أمره إلى أحد طريقين، إما طريق الشكر لله عى نعمته، والشكر طريق المزيد.. وإما طريق الجحود والنكران المصحوبين بالطمع، وهو لا يقابل إلا بـ «كلا» التي تقطع الأمل في المزيد لكنا نعرف من حقيقة هذا الرجل أنه هو صاحب الطريق الثاني. وذلك من مجموع خصاله الذميمة التي ساقتها سورة القلم(٣)، وهي سابقة في التنزيل على سورة المدثر.

أما من ناحية المجتمع، فهو لم تترسخ فيه ـ بعد ـ قيم الإسلام، فهو مجتمع تسوده قيم المادة الطائشة. هذه المادة التي نتصورها مع تتابع هذه المدود المتوالية: «وحيداً... ممدوداً... شهوداً... تمهيداً» وما توحيه من بسطة العيش ووفرة في الرزق. ثم تصور معي ما تضفيه كلمة «عنيدا» من خلال التمادي في العناد، وذلك من خلال صبغة «فعيل»، التي تدل على المبالغة، ثم من خلال الدال المفتوحة الممدودة أيضاً، فهو في عناد ممتد ودائم، ولذا كان جزاءً وفاقاً، وقصاصاً عادلاً، أن يمتد عذابه ويتصاعد.

هذا العذاب المتصاعد، الذي تلهث فيه أنفاسه ونكاد نسمعها عندما ننطق بعبارة «سأرهقه صعودا»، ففضلاً عن أن الإرهاق هو المشقة، وتحمل ما لا يطاق، من حيث عطاء المعنى المباشر، فإن تتابع الهمزة والراء والهاء والقاف، يحمل الصدر من المشقة والعناء ما تضيق به النفس، ويشعرها بحمل ثقيل يجثم فوقها، ويزداد الأمر مشقة إذا كان في تصاعد وتزايد(٤).

ولكن لِمَ كل هذا؟... وهنا يجيء الرد واضحاً جلياً مصوراً في دقة متناهية، سبب هذا العذاب المتصاعد إلى ما لا نهاية: إنه فكر .. وقدر.. ثم نظر .. ثم عبس وبسر.. ثم أدبر واستكبر.. بهذا الإيقاع البطيء، الذي يشي ببطء عملية التفكير ذاتها.

ربما «لم تكن المدة التي فكر فيها الوليد وقدر طويلة حتى يعبر عن فترة من فتراتها بثم التي تفيد البعد والتراخي، لكن القوم لما كانوا في شوق شديد إلى معرفة ما كان يقدره الوليد ويدبره من المكايد كانت المدة بالنسبة إليهم طويلة، فكان بين تفكيره وتقديره وبين نظره إلى وجوههم وبين عبوسه وبسوره وبين تصريحه بما صرح به أخيراً من القول الدال على إدباره واستكباره — فترات طويلة في نفوسهم بحيث يصح التعبير عنها بثم(٥).

الرجل في لحظة غرور بالنفس، وعندما رأى القوم في حالة إنصات تام، وشوق لما يقول، تفاعلت بداخله كل عوامل السيطرة والهيمنة، فما كان إلا أن يقطع برأيٍ لا قِبل لأحد بمناقشته تأكيداً للذات، وحرصاً على بقاء هذه المكانة، فكانت هذه العبارة ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر﴾ بأسلوب القصر الذي يحمل ظلال الكِبر والغرور، فكان كفاءة أن يلطم هذه اللطمة القوية ﴿سأصلية سقر﴾ وبنفس السرعة والإيقاع المتمثل في قصر العبارة، ووحدة القافية...

اتهم الوليد بأنه صبأ عندما اعترف بالقيمة العظيمة للقرآن.

لقد «كان من حق الوليد في هذا الموقف أن يكون ثابت القدم، جريء النفس، قوي الإرادة، مؤثراً للحق على الباطل، والثواب الباقي على العرض الزائل، فيعترف بلسانه بما اعترف به في وجدانه، ويشهد أن القرآن حق، ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم صدق»(٦) ولو فعل ذلك لكان أيمن طائر في قومه، وأفضل مستشار في أهله وعشيرته «لكنه غلب عليه الجحود والعناد، فأعلن كفره الصريح في ذلك النادي، وأشار إلى القوم أنه سيرى لهم بشأن محمد رأياً ينقذهم به من حيرتهم، ويهديهم إلى صالح أمرهم فاشرأبت إليه عند ذلك الأعناق، وسمرت في وجهه المحاليق والأحداق»(٧) حتى قال هذه العبارة، التي سيظل يسخر منه لها الزمان إلى أن تقوم الساعة. فكان مثله كما قال الشاعر:

فإنه قيل كم خمس وخمس لارتأى
ولظل ليلته يُعدّ ويحسب
خمس وخمس ستة أو سبعة
قولان قالهما الخليل وثعلب

الهوامش:

١ ـ حكاه ابن عباس. انظر تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن».
٢ ـ سيد قطب «في ظلال القرآن».
٣ ـ وذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم ..... سنسمه على الخرطوم﴾ وسنعرض لما فيها من صورة فنية في وقت لاحق إن شاء الله تعالى.
٤ ـ ولقد أحسن التعقيب على هذا المشهد، الشهيد سيد قطب حيث قال بعد قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعوداً﴾: «وهو تعبير مصور لحركة المشقة. فالتصعيد في الطريق هو أشق السير وأشده إرهاقاً. فإذا كان دفعاً من غير إرادة من المصعد كان أكثر مشقة وأعظم إرهاقاً. وهو في الوقت ذاته تعبير عن حقيقة. فالذي ينحرف عن طريق الإيمان السهل الميسر الودود، يندبّ في طريق وعر شاق مبتوت، ويقطع الحياة في قلق وشدة وكربة وضيق، كأنما يصعّد في السماء، أو يصعد في وعر صلد لا ريّ فيه ولا زاد، ولا راحة ولا أمل في نهاية الطريق».
٥ ـ عبدالقادر المغربي. تفسير جزء تبارك.
٦ ـ نفسه.
٧ ـ نفسه.

حدِّثينا... فقد طال السَّفر...

شعر

حدِّثي يا «أُمَّ هاني»(١)» حدثينا
حدِّثينا لا تَملي... حدثينا
وَاسْكبي في الروح لحناً ورنينا
وابْعثي في النفس شوقاً وحنينا
وانزعي وجداً.. صُراخاً وأنينا
فكفانا ما نُعاني.
قدْ كُفينا.
حدثي التاريخ عن طَيِّ السماء
وارْتقاء فَوق مَتْنٍ كالرُّخاء
وَدُنوٍّ
وَتدلٍّ
واعتلاء
وفُيوضِ النور من طيب الدعاء
وسلام بالتحياتِ رجاء
وارْتداد الطرْف..
شكراً وحياء
يا بُراقاً ومضه في الكوْن باقٍ
ومخلد
لستَ شهباً.. لاح حيناً وتَبدَّدْ
لستَ حلماً في دجى ليل المسهد
أو ضياء في سنا برق تردد
أو سراباً يخدع العين فيُجحد..
يا براقاً خطوه في الأفق لحظٌ
يتمرد
قد طويت البيد... والجوزا..
وفرْقد
وعلوت النجم طهراً..
هو يهوي
أنتَ تصعد.
فيك سر من إله قد تعالى وتمجَّد
صَهْوةٌ كالحضنِ رفقاً..
وحناناً..
واحتفاء بـ «محمد»
ليلة الإسراء.....
والمعراج....
والأقصى المعنَّى.
كم ذرفنا الدمع حرفاً ساخناً..
مبنى ومعنى.
كم وقفنا وقفة الذل ضياعاً..
وارتهنا.
«حائط المبكى» خداعٌ...ثم زورٌ...
ليس فينا.
حدِّثي يا «أم هاني» حدثينا
حدّثي بالحق عن ربٍّ قدير
حدثي بالصدق عن عدل خبير
عن جنان الخلدأو نار السعير
عن قطوف دانيات...
وأَريك وحرير
عن ظلال وحسان وسمير
وعيون جاريات وخرير
عن لهيب.. وجحيم.. وعذاب
عن صخور تتلظى كالعباب
عن دخان فاحم مثل الضباب
عن صُراخ وعويل..
واستباب
عن كَفور وظَلوم..
في تباب.

تاه فهْم الناس من قاصٍ ودان
خبطوا في اليمِّ...
في تيه المعاني
كذبوا جهلاً...
ولجُوا في الأماني
أنكروا الإسرا... ومعراج الرسول
ركبوا الرأس عناداً
والعقول.
كفروا بالله والله يقول:
سبحان من أسرى
فهل ثَمَّ عقول؟!!
وتحدوهُ فقالوا في ارتياب:
صف لنا القدس.. وعجِّل في
الجواب
صورة الأقصى تجلَّت كالكتاب
قد رآها من سرى فوق السحاب
ثم قالوا في عتوّ وغرور:
هل دليل شاهد غبَّ الحرور؟؟
قال: حشدٌ من جمال في عبور
أورقٌ كالأم في سرب الطيور
وسقيتُ الماء صفواً لا كدور
سمعوا الوصف فلجوا في العناد
واستحبوا الكفر عن آي الرشاد
ثم هاموا في بوادٍ ومهاد
خبط عشواء على ذرِّ رماد
زادها السعي ضلالاً...
وابتعاد.
حدِّثي يا «أم هاني» حدثينْ
عن شهيد في ربى القدس دفين
عن صلاح الدين والأقصى
العرين
عن جنود ملأوا البحر سفين
غرسوا الرايات بالحق المبين
فوق هام الشمس...
أو فوق الجبين
حدّثي يا «أمَّ هاني» حدثينا
حدثي التاريخ...
والدنيا...
وأرتال البشر
عن أزيز «الضفة» عن قذف
الحجر.
عن «قطاع» ثائر فيه العبر
عن غلام ورث المجد الأغر
حوَّل الحصباء ناراً وقدر
ليس يخشى مدفعاً فيه الخطر
فإباء النفس أسمى وأبر
ينشدُ الخلدَ شهيداً...
في ظلال ونهر
ونعيم.. ورحيق وزَهَر
طاب مثواهُ...
فقد طال السفر.

هوامش:

(١) أم هانىء: فاختة بنت أبي طالب - رضي الله عنها - راوية حديث الإسراء.

شعر: محمد علي قطب

اعلام

الإعلام الإسلامي في مواجهة الدعاية الثقافية الدولية

تعددت وتنوعت وسائل وأساليب الإعلام والاتصال بالجماهير في عالمنا المعاصر وأصبحنا نطالع كل يوم جديداً في عالم الإعلام، في عصر اتسم بتفجر المعلومات وأصبحت عملية دوران المعلومات تتم بشكل سريع يفوق كل وصف، مما دفع البعض في الستينات إلى وصف العالم ـ بالقرية الصغيرة ـ أو القرية الكونية، فيما وصفه بعض المهتمين في السبعينات ـ بالبناية الصغيرة ـ والتشبيهان يدلان دلالة قوية على سرعة انتقال الأخبار والأحداث إلى جانب مأثر أطراف القرية أو أركان البناية بما يقع فيهما من أحداث.

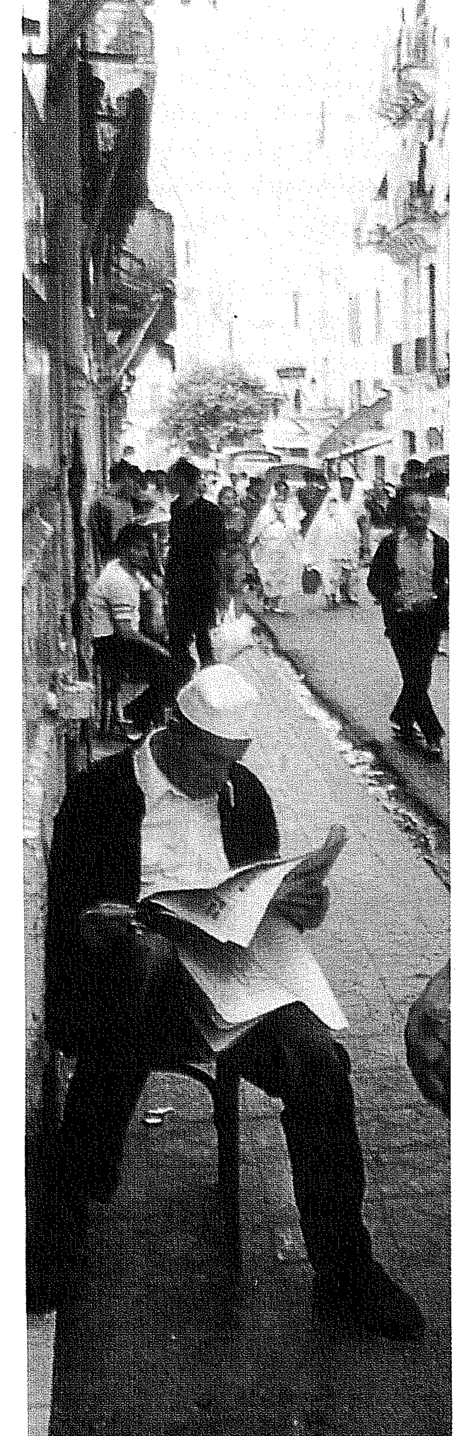
د. عماد الدين عثمان

ولما كان الإسلام ديناً عالمياً، ثابتاً في قوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص ـ ٨٧ ، وفصله رب العزة بقوله أيضاً (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) الفرقان/ ١ ، كما بينه الله تعالى بقوله (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف/ ١٥٨. وبما أن الإسلام يواجه في هذه الأيام العديد من التحديات الظاهرة والمستترة. لذا صار لزاماً علينا نحن المسلمين، أن تكون لنا أدواتنا وأجهزتنا ومؤسساتنا الإعلامية القادرة على الرد على الدعاوى والأباطيل التي يروج لها أعداء الإسلام، والتي يتفننون في تغليفها بشتى الطرق والوسائل التي تشجع على مطالعتها والتعرف عليها.

ومن هنا كان لابد من التعرف على بعض الخطط والأساليب التي يمكن أن تستخدمها الدعاية العدوة، وكيف يمكن للإعلام الإسلامي التصدي لها، حتى يظهر الحق ويزهق الباطل. وحتى لا يصبح العالم الإسلامي صدى لأفكار الغرب ومنتجاته الإعلامية، التي تمهد لتسويق أفكاره وأشيائه معاً، ويستمر الفقر الإعلامي، والفقر الفكري، إلى جانب مظاهر الفقر الأخرى.

لذا وجب على القائمين على أمر الإعلام في عالمنا الإسلامي، إدراك ضرورة الأبعاد المتعددة والخطيرة للعملية الإعلامية، التي تبدأ بالتسلل إلى داخل الأمة، فتخترقها، ثم تعمل على احتوائها، وبهذا تلقى القبض على عقلها، وعواطفها، واهتماماتها، فتعيد تشكيلها وفقاً للخطط المرسومة.. واخطر ما في الاختراق والتحكم الإعلامي على الاحتواء الإعلامي، توهم الأمة المخترقة أنها تملك إرادتها وتصنع رأيها، وتتخذ قرارها بنفسها، دون أن تشعر بأنها تدور في الفلك المرسوم لها، علماً بأنها

■ حتى لا يصبح العالم الاسلامي صدى لأفكار الغرب ومنتجاته الاعلامية ■



تحرك بأجهزة «الريموت» من بعيد.

وحسبنا أن نعلم أن الاستهلاك الإعلامي في العالم الإسلامي للمواد المصنعة في الخارج تزيد عن ٨٠٪ من المطروح يومياً، بينما لا يصل الإنتاج الإعلامي المحلي في أحسن الأحوال إلى ٢٠٪، ويأتي هذا في معظمه محاكاة لأفكار وإنتاج وإخراج الدول المتحكمة إعلامياً، وشأننا في ذلك هو شأن الإنسان الاستهلاكي لأشياء الحضارة العاجز عن إنتاجها، الذي سوف ينتهي شاء أم أبى إلى لون من ألوان الارتهان الإعلامي والثقافي والحضاري، وذلك لأن الإعلام لم يعد قاصراً على إيصال المعلومة فقط وإنما يساهم بتشكيل الإنسان وتحضيره لقبول المعلومة التي يريد، دون أن يدع له الفرصة لفحصها واختبارها، لقبولها أو ردها.

هذا من جانب ومن جانب آخر، فلا تخرج العملية الإعلامية في عمومها عن غيرها من عمليات التحكم المتعددة التي تمارس من عالم الأقوياء على عالم الضعفاء والمتخلفين للحيولة دون ردم فجوة التخلف، وإلغاء التبعية الفكرية، والإعلامية والثقافية، والسياسة والاقتصادية.(١)

فإذا كانت جهات الصراع بيننا وبين الاستعمار قديماً ميدانها الأرض، وإدراتها الغزو المسلح الذي زلزل جوانب العالم الإسلامي.. فإنها اليوم قد تغيرت إلى معركة فكر، وأصبح ميدانها هو عقول أبناء أمتنا ومشاعرهم، وأفكارهم، وأدواتها هي وسائل النشر بما فيها من صحافة وإذاعة وتلفاز.

لذلك فإن أساليبنا في مجاهدة هذا الغزو الثقافي يجب أن تعتمد على نفس السلاح الذي نُحارب فيه، ليحبط هدفهم في كل مداخله ومشاربه، فإن الفكرة لا تحارب إلا بالفكرة، ثم إن هذه الأساليب لابد لها من مجاهدين أكفاء يتصدون له في كل مظان نشاطه وتضليله، في المدرسة، في الجامعة، في المصنع والمعمل، في المقهى في النادي، وغير ذلك من مجالات العمل والنشاط.

وغني عن البيان أن عصرنا كثر زوره، وقل صدقه، ونشط أعداء الدعوة الإسلامية في حملة مسعورة ضد الإسلام ليشوهوا وجهه، ويطاردوا دعاته، ويهدفوا إلى استئصال جذوره. ومن ثم كان لزاماً على أجهزة الدعوة الإسلامية، أن تستيقظ سريعاً قبل أن يجرفها تيار الباطل. ورب كلمة صادقة مؤمنة عن طريق إعلام إسلامي راشد، كفيلة بفضح الكذب والبهتان، والإتيان على أساس قواعد الباطل فيدمغه، يقول سبحانه وتعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الأنبياء/ ١٨...(٢)

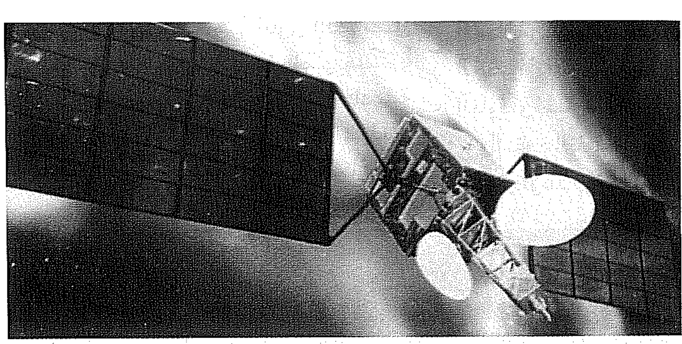
والرسائل الإعلامية الغربية التي تصل إلى العالم الإسلامي، مغلفة بالدعاية الدولية، التي تسعى جاهدة للتأثير علينا نحن العرب والمسلمين، بهدف نشر الأفكار أو المواقف، يتفنن مطلقوها من خلال وسائل إعلامهم الدولية التي تصل إلينا من مختلف الطرق المسموعة والمرئية والمقروءة، وغيرها - هدفها جذبنا إليها، في محاولة مستمرة لربطنا بمقدرات العالم الذي تنتمي إليه هذه الوسائل والمؤسسات الإعلامية والتي تعد ضمن مؤسسات السياسة الخارجية لدورها حيث تسعى الدول إلى تنفيذ جانب كبير من سياستها الخارجية بمساعدتها.

فإذا أمعنا النظر في الرسائل الاتصالية التي تصل إلينا، أدركنا جانباً دعائياً يمكن أن نطلق عليه - الدعاية الثقافية الدولية - حيث تلعب هذه الدعاية الثقافية الدولية جانباً مهماً في العمليات الاتصالية التي يقوم بها الإعلام الدولي - وتزداد فاعلية هذا الدور كلما ازدادت قوة الدولة، زاد دورها في النظام الدولي، ولذلك تركز على نشر ثقافتها في الخارج، حتى أن بعضهم وصف هذا النشاط بالاستعمار الثقافي.

ويدخل في إطار الدعاية الثقافية الدولية أيضاً، الفن، والتعليم، ووسائل الترفيه والرياضة وغيرها. الأمر الذي يؤثر على المجتمعات الأخرى، بالإضافة إلى دعوة عدد من الصفوة من الدول الأخرى لزيارة الدول التي تمارس الدعاية الثقافية وذلك، للتبادل في المجال الثقافي.

■ الدعاية الثقافية الدولية تلعب دوراهما في العمليات الاتصالية التي يقوم بها الاعلام الدولي ■

■ ٨٠٪ من المواد الاعلامية المطروحة يوميا مصنعة في الغرب ■



وتعد الدعاية الثقافية وسيلة من الوسائل البارزة التي تمارسها الدول الكبرى نظراً للأثر البعيد المدى للثقافة — حيث تنتشر المكاتب الثقافية في الخارج والمكتبات التي تقام في عدد من الدول الأجنبية بالإضافة إلى نشر النظم التعليمية ولغة الدولة التي تقوم بالدعاية الثقافية الدولية، وتقديم المنح الدراسية، واستيعاب طلاب الدول الأخرى في الجامعات والمؤسسات التعليمية، كما أن العديد من الوسائل الأخرى للدول المانحة تحمل جانباً ثقافياً هدفها الغزو الفكري والثقافي للدول الإسلامية.

ومن ثم ركز بعض المهتمين على مخاطر الدعاية الثقافية واعتبروها خطراً على الدول الصغرى، إلا أن هناك بعض التحفظات على هذا الرأي، فالتطور العالمي يقتضي التعامل الحر بين الثقافات المختلفة، ولكن هناك فرق بين التعامل الحر وبين الثقافات من جانب، وفرض ثقافة معينة على حساب تحطيم الثقافة الأصلية من جانب آخر، فإذا كنا نعترف بأهمية التفاعل الحر بين الثقافات، إلا أننا نرفض فرض ثقافة الدول الكبرى على الدول الصغرى بشكل يعني احتقار ثقافات الدول الصغرى.

وعلى أي حال فإن الدعاية الدولية في مجملها تستعمل خططاً عديدة وأساليب وتكنيكات متنوعة في سبيل الوصول إلى مستقبل رسالتها الإعلامية على مستوى العالم وبخاصة دول العالم الثالث التي تضم في جنباتها دول العالم العربي والإسلامي ومن هذه التكنيكات: جذب انتباه مستقبل الرسالة الإعلامية والمحافظة عليها وربطه بها - القابلية للتصديق والدوافع - والتورط من خلال الأفعال - التكرار - المبالغة -

الكذب ـ التلميح والغمز ـ عرض الرأي على أنه حقيقة ـ التشخيص ـ الاعتماد على المصادر الموثوقة ـ التجاهل المتعمد ـ الوضوح ـ الارتباط المزيف ـ استخدام العاطفة وغريزة القطيع.(٣)

وأمام التدفق الإعلامي الدولي الذي يصل إلى الشعوب المسلمة من كل اتجاه، وبمختلف الأساليب والوسائل، يحمل في طياته الدعاية الثقافية التي تهدف إلى جذب أبناء المسلمين وربطهم بالدول صاحبة الدعاية ـ كان لابد من وجود إعلام قوي يستطيع أن يواجه الإعلام القادم ـ كما يستطيع أن يفند الدعايات التي تصل إلينا أو التي تطلق عنا... حيث نعقد العديد من المؤتمرات، وتنطلق الكثير من صيحات التحذير مؤكدة على ضرورة وجود ـ إعلام إسلامي ـ قادر على الرد على الدعاوى والأباطيل التي يروجها البعض ضد الإسلام والمسلمين ـ كما أنه يستطيع أن يوضح الصورة السمحة والمشرقة للدين الإسلامي، والعالم الإسلامي على مستوى العالم... إذاً فما الإعلام الإسلامي الذي نريده؟ هل هوالقادر على تفنيد الدعايات الدولية ومنها الدعاية الثقافية الدولية؟

وفي هذا يرى الدكتور الأستاذ/ عبدالقادر طاش(٤): أن نظرات الناس تختلف حول ـ الإعلام الإسلامي ـ ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجريبية، فالنظرة الجغرافية يفهم الإعلام الإسلامي على اعتبار أنه إعلام صادر من دول العالم الإسلامي، أو من الجهات التي تنتسب إلى الإسلام. وتكاد هذه النظرة تكون النظرة السائدة في الدراسات الأجنبية عن الإعلام الإسلامي. ولذلك تصنف هذه الدراسات إعلام الدول التي تقع في إطار العالم الإسلامي ضمن الإعلام الإسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي، دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة.

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي تكاد تحصر الإعلام الإسلامي في إطار زمني ضيق



الدعاية الاعلامية الغربية تعمل على تحطيم الثقافة الاصلية للدول الاسلامية

فتوحي بأن الإعلام الإسلامي مفهوم تراثي، وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة، مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة أو الخلفاء الراشدين.

أما النظرة الواقعية التجريبية للإعلام الإسلامي، فتستند إلى صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب الإعلام الإسلامي المحدودة، ونفهم هذا الإعلام باعتباره إعلاماً دينياً متخصصاً، ولذلك يغلب على من ينحو هذا المنحى أن يفهم الإعلام الإسلامي في حدود الصفحات الدينية وركن الفتاوى، والخطب المنبرية، في الصحافة اليومية أو في حدود تلك الصحف والمجلات الإسلامية، أو في حدود البرامج والأحاديث الدينية في المذياع أو حدود البرامج والأفلام والمسلسلات الدينية التي يشاهدونها عبر شاشة التلفاز أو السينما.

ورغم أن هناك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للإعلام الإسلامي إلا أنها لا تعبر عن حقيقة الإعلام الإسلامي لشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الأصيل، وخصائصه النظرية والتطبيقية. إن المفهوم الحق للإعلام الإسلامي حسبما يرى الدكتور / طاش ـ هو المفهوم المنهجي الذي لا يجعل مقاييس إسلامية الإعلام مبنية على أساس الحدود الجغرافية والمكانية، أو الوصفية التاريخية المحدودة، أو الممارسة الواقعية الخاطئة للإعلام في الحياة، بل يبنى تلك المقاييس والمعايير على أساس المنطلقات الرئيسية والأطر الفكرية والاجتماعية والإنشائية المنبثقة من روح الإسلام وتصوراته الكلية وقيمه السامية، وعلى أساس الضوابط الشرعية التي ينبغي أن يسير الإعلام على هدى منها، ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة وممارساته الواقعية.

إن الإعلام الإسلامي ـ بهذا المفهوم المنهجي ـ روح تسري في النشاط الإعلامي كله، لصوغه وتحركه، وتوجهه، منذ أن يكون فكرة إلى أن تعدو عملاً منتجاً متكاملاً، مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً. وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجاً قويماً تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في الوسائل والقنوات كافة دون أن يحيد نشاط واحد منها عن الطريق، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى سواء في الوسيلة الواحدة أو الوسائل المتعددة... وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي حكماً موضوعياً تتحاكم إليه جميع هذه النشاطات الإعلامية، ثم لا يجد أي نشاط منها حرجاً في التسليم لحكمه والإذعان لتوجيهه.

فإذا ما وصلنا بإعلامنا في البلدان العربية والإسلامية إلى هذا المفهوم المنهجي، أصبحنا قادرين على تفنيد الدعايات التي يسعى الإعلام الغريب على مجتمعاتنا إلى ترويجها، علاوة على مقدرته على إنتاج رسائل إعلامية قادرة على التأثير في المستقبلين للرسالة الإعلامية من الجماهير غير الإسلامية بعد دراسة هذه الجماهير الدارسة الكافية. ■

الهوامش:

(١) عمر عيد حسونة، تقديم كتاب مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي كتاب الأمة، ع ٢٨، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩١.

(٢) د. جمعة الخولي، مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي.

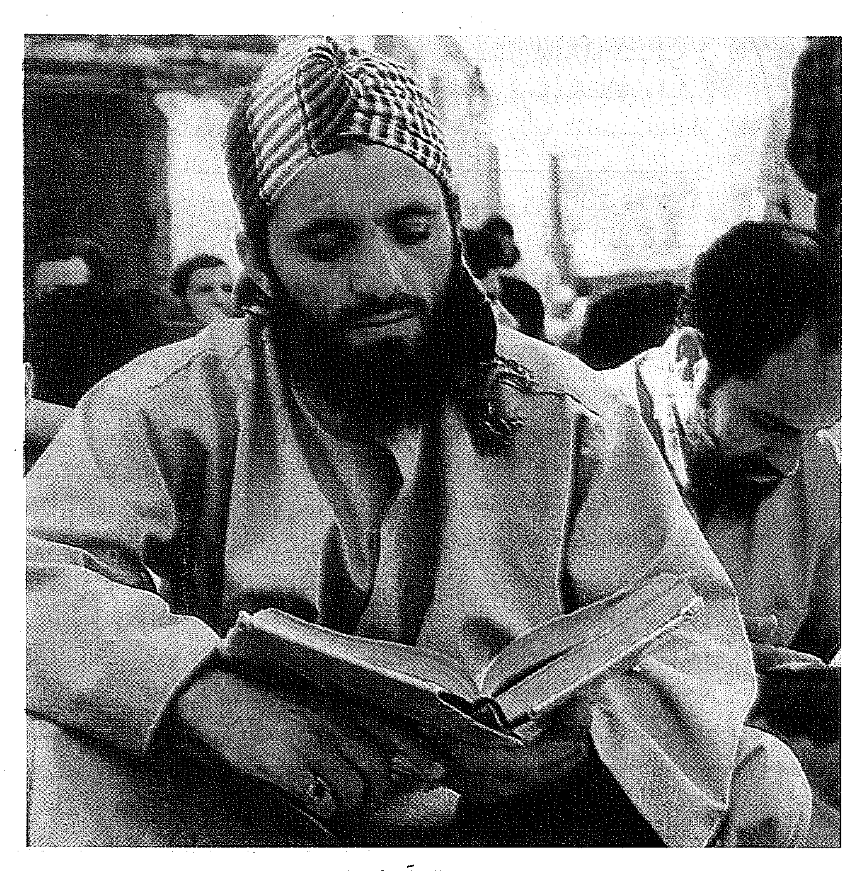
(٣) د. محمد علي العويني الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، الأنجلو المصرية، ١٩٨١.(٤) د. عبدالقادر طاش، إضاءات حول الإعلام الإسلامي.

ظاهرة تستحق الدراسة:
القرآن وشعوذة الدجالين الإعلامية

قضايا اجتماعية

كتب: حسين الديب

استشرت ظاهرة خطيرة داخل كياننا الاسلامي العربي تحت اسم «العلاج بالقرآن» من قبل الدجالين والمشعوذين مستخدمين القرآن وسيلة لهم للمنفعة والشهرة معرضين القرآن للنقد والتحليل اللاذع من قبل المستشرقين لهذا الكتاب المقدس الذي لايصدر منه الا الحق، مانحين الفرصة لاصحاب العقول الواهية للانجراف خلفهم. قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات /٦].



■ يستعين بالقرآن في تعاويذه

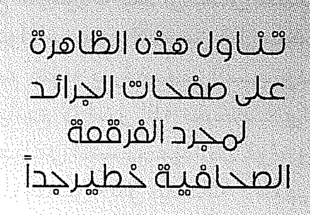
وبالنظر الى هذه القضية التي ذاع صيتها بفضل الصحافة التي اخذت على عاتقها هذه المهمة بهدف بيع اكبر قدر ممكن من النسخ دون النظر الى مايترتب على ذلك من عواقب اتضح مايلي:

التقدم والمدنية

انطلاقاً من مبدأ التقدم والمدنية ومراعاة السير معهما حتى لانتأخر عن الركب ونضحى بلادا ضعيفة تتحكم فينا الدول القوية وجرياً مع متطلبات العصر جارينا التقدم مع المجتمعات المتقدمة سعياً للحصول منها على التكنولوجيا وحفظاً لكياننا العربي وتراثنا الاصيل والتليد.

ان لكل شيء نقيضاً فاذا لم يحسب له حساب ويدرس الدراسة الجيدة والكافية فبقدر مانأخذ من التكنولوجيا بقدر ما نفقد من تراثنا، فمن ضمن هذا التقدم «الدور الاعلامي » الذي لو سلط الضوء على قضية من القضايا لنالت شرف الرفعة والاهتمام لدى البعض نظراً للتقدم الهائل في هذا الكيان العجيب.

ومن هذه القضايا التي نالت اهتمام الصحافة هذه الايام قضية التداوي بالقرآن «بالسحر إن صح التعبير»



تناول هذه الظاهرة على صفحات الجرائد لمجرد الفرقعة الصحافية خطيرجداً

ويتخذ القرآن ذريعة كما يدعي ويتستر تحت ستاره ويحاول ان يفلح فيما لم يفلح فيه الطب، هذه الظاهرة جعلت الناس يتساءلون عن هذه الحقيقة وهم في ريب من ذلك وانقسم المجتمع بين مؤيد للعلاج بمثل هذه الطريقة وبين معارض لها ويعتبرها ارهاصات سحرية لكسب المادة فقط ويرجع استناد المؤيدين لما يرونه في الصحافة من اهتمام وتصديق لكل مايقال واستند المعارضون بما جاء به الشرع عن السحر والسحرة وحقيقة السحر واتباعه.

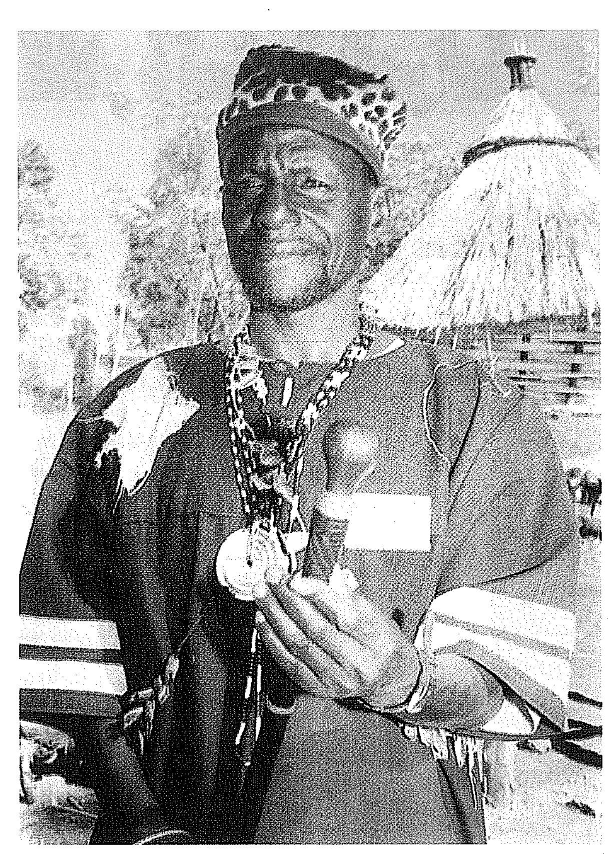
معالجة القرآن لهذه القضية

ولو نظرنا الى ماجاء به الشرع من الكتاب والسنة لوجدنا ان القرآن وضح القضية تمام الوضوح ووضع فيها رأيه بالنص ولا جدال فيما فيه نص فقد ذكر القرآن السحر في مواطن عدة منها قوله تعالى: ﴿فلناتينك بسحر مثله..﴾[طه/٥٨] وقوله تعالى: ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى﴾[طه/٦٦] وقوله: ﴿ انه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾[طه/٧١].

كما بين القرآن ان السحر شرك وخداع للنظر وليس له من الدين شيء وتوعد السحرة واتباعهم وماجاء في الصحافة من صدق السحرة في معالجة المرضى وتأكيدها بالصور والادلة والحضور لبعض حالات العلاج ماهو إلا هراء وافتراء وعبث وضعف ايمان وعقيدة بسبب مانحن فيه من عدم توعية وعدم اهتمام بالجانب الديني الذي يعالج مثل هذه القضايا.

والقارئ للقرآن يجد انه أفرد آية طويلة كاملة لقضية السحر والسحرة بداية من ملك سليمان ومانزل على الملكين هاروت وماروت وزيادة في التأكيد نتناول هذه الآية بالفحص والتمحيص لنؤكد ان القرآن بين ووضح هذه القضية تمام الوضوح وذكر ماجاء من السحر من عند الله ومالم يأت قال تعالى: ﴿واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ومانزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من احد الا بإذن الله ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون﴾[البقرة/١٠٢]

هذه الآية الطويلة وضحت عمل السحرة وماجاءوا به وافتروه على سليمان وكيف عالج الله هذه القضية بما ارسله على الملكين من طريقة علمية جمالية عقلانية انهت الخلاف والادعاءات من جانب الشياطين لسليمان وملكه باعتباره النبي المتخصص في شؤونهم والمتحكم فيهم بأمر ربه فكالوا العداء الصارم له ولمن تبعه فأكد الله دليله بما انزله على هذين الملكين (هاروت وماروت) ليبينا الحق ليتبع والباطل ليدمغ فهاروت وماروت مارسا السحر بأمر ربهما ليفرقا بينه وبين السحر الشيطاني وهذا هو العلاج الحكيم الذي يكون من جنس العمل فقد عالج الله السحر بالسحر فكان هاروت وماروت متفقين في عملهما مع الشياطين من حيث الشكل مختلفين من حيث المضمون فما نزل عليهما يخالف مااتبعه الشياطين، فدور



■ ساحر يعالج بالتعاويذ والاعشاب

الشياطين هو اغراء البشر سواء بالسحر ام بغيره بدليل قوله تعالى: ﴿ فبعزتك لأغوينهم اجمعين. الا عبادك منهم المخلصين﴾[ص٨٢و٨٣] معنى ذلك ان هناك تحدياً من جانب الشياطين لاغواء بني آدم بالطرق المشروعة وغير المشروعة التي توصلهم الي غرضهم في نشر غيهم وضلالهم اللهم إلا النذر اليسير منهم الخالص من عند الله فالشياطين هم أول من اتهموا سيدنا سليمان بانه كان يدس السحر تحت كرسيه ويستعمله مستغلين الوشاية ودس السحر له أو الاعتماد على استراق السمع كارهين له بعد ان تمكن منهم كما كرهوا السجود لآدم من قبل مفضلين انفسهم عليه برفضهم السجود له وعصيانهم لاوامر الله سبحانه وتعالى وقطعهم على انفسهم عهدا بالاغواء وشن حرب شعواء على ابنائه لاتنتهي إلا بنهايتهم او نهاية الدنيا فاعتمدوا سلاحهم المكر والدهاء والنفاق والتعامل بطرق ملتوية معلمين اتباعهم هذه

قضية الشعوذة بداعي العلاج بالقرآن تستحق وقفة جادة من قبل المسؤولين والمتخصصين

الطريقة التي يستعملونها في مجتمعنا هذه الايام واكثرهم ذميون واهل كتاب اي انهم من الضالين والمغضوب عليهم وان كانوا هذه الايام لايستحقون ان يطلق عليهم لفظ اهل كتاب.

والشياطين كما اتهموا سليمان في بداية الامر باستعمال السحر للتحكم في الريح والطير والجن ناسين امر الله الموكل اليه فقد اتهموا موسى من قبل وكذلك اتهموا سيدنا محمد في بداية دعوته ورسالته مستغلين اصحاب القلوب الضعيفة لتصديق كلامهم ويزيد ذلك في الزمن الذي يقل فيه المؤمنون الفاهمون لدين الله وتعاليمه.

حقيقة الملكين

اما عن حقيقة هاروت وماروت فقد وضّحت الآية عملهما والحقيقة من تعليمهما السحر للناس فهما علما الناس السحر للتصدي لسحر الشياطين والوقوف ضدهم حتى لاتستفحل هذه الظاهرة آمنين مكرهم وبعد ان يعلماه للناس يبينان لهم الفتنة من استعمال السحر الاستعمال الخاطيء ولايخرج استخدام السحر عن معرفة مكر الشياطين والحذر منهم ومن سحرهم مع الاحتراس وعدم التصديق فيما يقولونه.

لذلك اتهمت الشياطين الملكين هاروت وماروت ايضاً بأنهما ساحران والحقيقة انهما ملكان نزلا بمدينة في سواد العراق تعرف باسمها الحالي «بابل» نسبة الى البابليين الذين كانوا يقطنونها في ذلك الوقت واكد ذلك القرآن بذكره لهما بالملكين في قوله ومانزل على الملكين وان مايفعلانه من السحر تكليف من الله سبحانه وتعالى لما اشتهر به هذان الملكان من السحر آنذاك كما ان هذا يدل دلالة واضحة ايضا على بلاغة وفصاحة القرآن الكريم واعجازه وصدقه للبشر عندما ذكرهما بانهما ملكان فإن لم يكونا في شخصهما ففي عملهما الذي يشبه عمل الملائكة.

هذا هو عمل ودور الشياطين واعوانهم الذين لايألون جهداً للمساعدة في انحراف الناس عن الطريق القويم ومما ساعد في ذلك ومهد لهم الطريق وتطابق عملهم مع بعضهم بعضاً خدمة لمصالحهم الواحدة ،اغواء الناس ومحاولتهم تشكيكهم في دينهم وموقف اهل الكتاب من القرآن واصحابه ومن الدين وأتباعه فقد تحالفوا مع اسيادهم الشياطين وتعاونوا للنيل من هذا الدين الذي بين زيف دينهم وتحريفهم فيه وفي كتابهم هذا بالاغواء وذاك بالنكران فيأتي مثلهم كمثل الشيطان قال تعالى:﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾[الجمعة/٥] فقد اخذوا على عاتقهم التصدي لهذا الدين بكل ما أوتوا من قوة دون الرجوع الى اياته والتفكر او التدبر فيها فالقرآن لم يشكك في دينهم الحقيقي ولا في انجيلهم وتوراتهم الاصلية بل الشك كان في توراتهم المحرفة وانجيلهم المزيف اللذين زيفا فيهما حسب رغباتهم فكانت اليهود تحذف بعض المزامير وتبدلها وكذلك النصارى فهل يخرج من هؤلاء من يخدم الاسلام واتباعه بعد ان فضح زيفهم وضلالهم فلابد ان يتحالفوا مع الشياطين حتى يصلوا الى مبتغاهم والنيل من هذا الدين ومحاولة ثني اتباعه عنه وتشكيكهم فيما فيه من آيات أتت لتوضح مايريدون ويدبرون لدرجة ان هناك مستشرقين تخصصوا في هذه الامور ومحاولة دراسة بعض آيات القرآن للحصول على مايشوه صورة الاسلام والقرآن ومانحن ببعيدين عن ذلك فقد تكالبت علينا الامم لمحاولة اجهاد الاسلام والمسلمين قال صلى الله عليه وسلم:« تتداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة على قصعتها قالوا أومن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال بلى ولكنكم غثاء كغثاء السيل» رواه احمد.

فمن هنا كانت المحاولات المتعددة والمتكررة ومن آخر هذه المحاولات العلاج بالقرآن فراحوا يوهمون الناس بالعلاج وانتشر وذاع صيتهم تحت هذا الاسم وهم في الحقيقة اتباع للشياطين يستخدمون السحر وبعض الناس عن قلة ايمان صدقوهم فيما يقولون وراحوا يعالجون انفسهم او يوهمون انفسهم بأنهم عولجوا ونجح التداوي بهذا النوع من العلاج وكل ذلك يعود الى افساح الصحافة المجال لهؤلاء لنشر زيفهم وضلالهم باسم الدين والعلاج بالقرآن.

الإجراءات الواجب اتخاذها

هذه الظاهرة بحق ظاهرة تستحق الدراسة والتحليل للتصدي لهذه الافعال التي تساعد على انحراف الناس عن دينهم وتصديق مايقولون والحديث الشريف يقول :«من أتى عرافاً او كاهناً فصدقه فقد كفر بما انزل على محمد» رواه احمد اذن فلابد من وقفة جادة من قبل المسؤولين والمتخصصين في هذا المجال للحد من انتشار هذه الظاهرة اعلامياً ومحاولة معالجتها دينياً لوقف نزيف وتساقط بعض شبابنا وشيابنا ممن اجهدهم المرض أو عجزوا عن الوصول الى علاج ناجع لهم حتى لاتستفحل هذه الظاهرة بين المجتمع المسلم وحينها يكون من الصعب معالجتها ومحاولة اعادة الموهومين الى دينهم مرة اخرى وقفل الباب امام المنحرفين المزيفين لهذه الاعمال تحت ستار الدين والقرآن واعطاء فرصة لاعداء الاسلام اجمع للتحدث عن القرآن بصورة لاتليق وكرامته الالهية.

فيا حبذا لو وضعت لهذه الظاهرة الدراسة الجيدة قبل فوات الآوان.

اللهم إنا لانسألك رد القضاء بل نسألك اللطف فيه ■

إذا كانت للتقدم والمدنية فوائد كثيرة فمضارها أكثر أيضاً

دور المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر

اسرة

أشرف العالم على القرن الحادي والعشرين، وانطلقت المرأة في ميدان الحياة تشارك الرجل حقله، ومصنعه، ومعمله جنبا إلى جنب، حتى انها قد تتفوق عليه احيانا لتصبح العلاقة بينهما شبه ندية او ان صح القول ندية مطلقة تتناطح بها رؤوس النساء بالرجال، فتختل الموازين ،وتتلاشى الحدود بين الباطل والحق، وبين ماهو كائن وماينبغي ان يكون لتصبح فوضى الادوار ومايتبعها من تضارب الآراء سمة المجتمعات بما فيها المجتمع الاسلامي.

بقلم: نزهة طلعت

المرأة في ظل الإسلام:

اتحدت الجاهليات القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم فظلمت المرأة واهدرت اسمى حقوقها في الحياة وهي انسانيتها بل سلبتها الحياة نفسها، حتى جاء الاسلام ليكون لها منقذا، وناصرا، وحاميا، فرفع من شأنها، وحث على العناية بها واكرامها وحسن تربيتها واعتبرها ضيفة للرجل وشريكة له في حياته، وهي منه وهو منها، بل نظر إليها نظرة خاصة بحكم أنها تمثل نقطة الثقل في تكوين الاسرة وبالتالي تمثل نواة المجتمع البشري. فالرجل والمرأة في ميزان الاسلام هما قوام الحياة الانسانية التي لاترقى إلا في ظل تكاملهما معا، والإسلام في نظرته الى الانسان فيما له من حقوق، وفيما عليه من واجبات هي نظرة واحدة الى كل من الرجال والنساء ولاتفاضل بينهما الا في التقوى والعمل الصالح ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾[سورة آل عمران/١٩٥]. وعلو منزلة المرأة في الإسلام تؤكد سموه، وحيوية شريعته وصلاحيتها لكل زمان ومكان، فلقد كرم إنسانيتها ومنحها حقوقا مساوية لحقوق الرجل، منها: حق التعليم والثقافة، وحق العمل الى جانب الحقوق المدنية وشؤون المسؤولية والجزاء.

واقع المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر

يقع المجتمع الإسلامي اليوم أسير أزمات البحث عن اسلوب حياة مناسب يساير ظروف العصر وذلك في مناخ، غير صحي ووفق معايير غير صحيحة، ويبدو حائراً بين فرض قيمه والأطر العلمية والعملية الخاصة به ، فمزج إقتبسه من الحضارة الغربية بما حافظ عليه من الحضارة الشرقية بارتجال زاد من تخبط قيمه واسلوب حياته، وانعكس هذا بدوره على المرأة المسلمة، فأصبحت هي الأخرى أسيرة لهذا التمزق الذي فرض على مجتمعها،وفرضه هو بالتالي عليها، فوقفت مبلبلة الفكر، زائغة البصر والبصيرة بين تيارين يتجاذبانها، ويزعم انصار كل منهما ان هدفه هو الحفاظ على كرامة المرأة والزود عن حقوقها بما يحفظ كيانها الإنساني ويجعلها عضوا نافعا في المجتمع.

فيدعو التيار الاول المرأة إلى وجوب العودة إلى البيت حيث مكانها الطبيعي الذي خلقت لتمارس أدوارها فيه كافة، ومن خلاله فقط يتحقق وجودها الإنساني، ويدلل أنصار هذا التيار على صحة دعواه بمختلف البراهين المدعمة بالدين تارة، او بالاعتبارات الخلقية والخلقية تارة أخرى، أو مكتفيا بالإشارة إلى الواقع الملموس، وماتعانيه النساء العاملات من تعاسة وشقاء. وأما التيار الآخر فيحفز المرأة على منافسة الرجل ومزاحمته في اعماله ومهامه، وشغل ادواره كافة لتكون له ندا، والا ستفقد عنصرا من عناصر شخصيتها، وبالتالي ينحسر وجودها الإنساني ويؤكد أنصار هذا التيار صحة رؤيته بالإشارة الى تقدم المجتمع الغربي الذي يجب ان تتخذه المجتمعات الإسلامية نبراساً تسير على هداه حتى تسمو إلى درجته من التطور والرقي وبهذا التجاذب والصراع ابتعد كل منهما عن حد الحق القائم على الوسطية، فخلود الإسلام مستمد من قدرته على البقاء ومسايرة العصر بما فيه من متغيرات فيخرج قيم الدين بمواصفات الدنيا لمواجهة تحديات هذه المرحلة ويعود بالانسانية إلى حيث أراد لها الله أن تكون أمة وسطاً.. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾[سورة البقرة/١٤٣].

> تحفيز المرأة على منافسة الرجل ومزاحمته في أعماله ومهامه وشغل ادواره كافة لتكون نداً والا ستفقد عنصرا من عناصر شخصيته

حقيقة الدور الإنساني في الإسلام

لقد بدأت مسؤولية الإنسان سواء أكان رجلاً أم أمـراة على الارض منذ ارتضـائه بحمل الامـانة التي عـرضها الله عليه في ان يكـون خليفته فيهـا، حيث يقول تعالى:﴿إنا عـرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنهـا وأشفقن منهـا، وحملهـا الإنسـان﴾[سوة الاحـزاب/٧٢] ومن هـذه المسؤولية تحدد دور الإنسان تحديدا اليها بـالغـايـة من خلقـه وهي عبـادتـه سبحـانـه﴿ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[سورة الذاريات/٥٦].

وهذا التحديد الإلهي ماهو إلا إطار تتحدد من خلاله الأدوار الإنسانية كافة الأخرى الكفيلة باستمرار الحياة وتوازنها وإقامة مجتمع رباني المظهر والجوهر.

مسؤولية المرأة في المنظور الإسلامي

إن المرأة في الإسـلام ذات مسؤوليـة خاصـة وعامـة، فهي مسؤولة عن نفسهـا وعبادتها، وبيتها من نـاحية، وعن مجتمعها من نـاحية أخـرى، وهي لاتقل في مطلق المسـؤوليـة عن الرجل، ومنزلتها في المثوبـة والعقوبة عند الله بما يكون منها من طاعة أو معصية، فقد روى عن ابن عمر رضـى اللـه عنهما ان رسول الله صلى الله عليـه وسلـم قـال:« ألا فكلكم راع وكلكم مسـؤول عن رعيته»، فالإمـام الاعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والـرجل راع في اهل بيتـه وهـو مسـؤول عن رعيتـه، والمرأة راعيـة في أهل بيت زوجهـا وولده، وهي مسؤولـة عنهم، وعبد الرجل راع في مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته(١).

دور المرأة في المجتمع من المنظور الإسلامي:

يختلف دور المرأة في الحيـاة من مجتمع الى آخر سلبا وايجابا تبعا لطبيعة التدريبات التي تتلقاهـا من ناحية، وتبعـا لاستعداد المجتمع لتقبل أي أنشطة تسهم بها من نـاحية أخرى، ولقد سـوى الإسلام بين المرأة والـرجل فيما توجب فطرتها التسوية فيه، فسوى بينهما في العبادة يقول الله تعالى:﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمـن فلنحيينه حياة طيبة ولنجـزينهم أجـرهـم بأحسن مـا كـانـوا يعملون﴾[النحل/٩٧] ويقول تعالى:﴿وقل أعلمـوا فسيرى اللـه عملكم ورسـولـه والمؤمنون﴾[التوبة/١٠٥]. وفي كلتا الآيتين نلمس ان المرأة في الاسلام مثل الـرجل، لابد في الاصل من ان تكـون عـاملـة كـالـرجل العامل، وان كـانت طبيعة العمل قـد تختلف باختلاف مكـان وظروف كل منهما وتبعا لما قرره الإسـلام للمرأة بأنها ذات مسـؤولية، فيمكن تحديد أدوارهـا في المجتمع الاسلامي في أدوار خـاصـة تجاه بيتها، وأدوار عـامـة تتصل بمجتمعها.

أولاً: الأدوار الخاصة

١-المنزل

إن للمرأة في الإسلام دوراً اسـاسيا وطبيعيا وهـو المنـزل، فهـي كفتـاة يجب ان تهيأ لمستقبلها كزوجة وأم، وهي كزوجة يجب ان تعني بزوجها وتخلص له، وهي كأم يجب ان تكون كل اهتمامـاتها ورعايتهـا لهذا الزوج وهؤلاء الابنـاء وهذا مـايتطلب منهـا التفرغ للبيت الـذي من خـلالـه تنشـئ الاجيـال، وتبني الكيـانـات الإنسـانيـة التي تقع على عاتقهـا بناء الامـة، ويتوقف عليهـا فيما بعد مصير الشعب فـالأم هـي المدرسـة الأولى للطفل، وهي بعـد ذلك المؤثر الأول في حيـاة الشباب والرجال على السـواء، ومهمتها هذه تعدل في ثـوابها وأجرها ماللـرجل في شهوده للجنائز والجهاد، وهذا مابينه الرسول صلى الله عليـه وسلم لاسماء بنت يزيـد حين أتته تسأل عن أجـر النسـاء، حيث أجابها قـائلا «إنصرفي يـا أسماء وأعلمي مـن ورائك من النسـاء ان حسن تبعل إحـداكن لـزوجهـا وطلبها لمرضـاته واتباعها لموافقتـه يعدل كل ماذكرت للرجال».

الصراع بين التيارين
والغربي والاسلامي
على تحديد ماهية
المرأة ابعدها
عن حد الحق القائم
على الوسطية

ثانيا:الأدوار العامة:

ظلت المرأة لفترة طـويلـة بعيـدة عن مجال العمل الخارجي والإنتاج قانعة بالإشراف على مجتمعها الصغير، ولكن مالبث هذا الوضع ان تغير واستطاعت ان تندمج في المجتمع الاكبر، وتتصل بـه مبـاشرة لتسـاهم مع الـرجل في تنميته وتقدمه في مجالات عدة وهي:

١-المرأة في مجال العلم والثقافة الدينية:

إن تحميل الإسـلام المسؤولية للمـرأة يجعل لها الحق في ان تتعلم كل مـايـؤهلهـا للقيـام بتبعات هذه المسؤوليـة على الوجه الأكمل من تحر للخير، والبعـد عن الفسـاد، ومن هنـا أوجب عليهـا الإسـلام كما أوجب على الـرجل معرفة كل مايتصل بأحكام العبادات والعقائد والمعاملات، ومعرفة مـاأحل الله وماحرم من المآكل والمشرب وان كانت درجة هـذا الوجوب تتفـاوت من الـوجـوب العيني الى الـوجـوب الكفائي تبعا لأهمية العلم، وحاجات المجتمع. أما في مجال الثقـافة الـدينية فـإن المرأة فيها دورهم، ولقد لقيت الصحـابيات في الإسـلام من الرسول صلى اللـه عليه وسلم من التأييد والتشجيع ممـا دفع ببعضهن الى الاهتمام بالدراسات الدينيـة وبخاصة رواية الحديث، وكانت في مقدمتهن السيـدة عائشة رضي الله عنها التي كانت مرجعا يعتد به في هذا المجال، ولم يعق المرأة عن طلب العلم كـونها زوجة أو أما فكانت تتلقاه في المسـاجد، والزوايا، ودور الكتب والمدارس وغيرهـا من الأمـاكن المعـدة لتربية الولـد وتعليمه. وإن كان الباحثـون قد اختلفوا في تحديـد طبيعة منهاج تـربية المرأة وتعليمها، ونـوع الثقافـة التي يريـد المجتمع للفتاة أن تتلقـاها لتصبح بها عضوا نـافعا في بناء كيان المجتمع الإنسـاني، فإن هذه ليست بالقضية، لان العلوم بأنـواعها المختلفة سواء مـايتعلق منهـا بمصلحـة الفـرد أو المجتمع، سواء الدينيـة منها أو الدنيويـة فإنها مباحة للمـرأة إباحتهـا للرجل، مـادامت تقنن داخل الإطـار الإسلامي، وتلقن في جـوه، وعلى ذلك فهو للمـرأة حق وفريضـة يقول رسـول الله صلى الله عليه وسلم«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمـة» وان يظهر فضل العلماء على سائر النـاس فإن للتفقه في الـدين فضل على سائر العلـوم، فلقد روي عن معاويـة انه

كان يقول خطيبا: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» (٢)

٢- المرأة في مجال العمل:

إن حق المرأة في العمل جلي، فلقد شغلت المرأة المسلمة بالتدريس، وتتلمذ عليها أعظم الرجال وافاضلهم واجازت لهم ويروى ان الخطيب البغدادي قرأ على كريم بنت أحمد المرزوي صحيح البخاري، كما عملت المرأة في التطبيب والتمريض، فكانت فيه رائدة مثل «رفيدة الانصارية».

جـ- المرأة والعمل السياسي:

أ- المشاركة الحربية

لقد منح الإسلام حق الجهاد للمرأة والرجل معاً بإذن زوجها إن قضت الضرورة وحمى الوطيس فلها ان تخرج من دون إذنه وكان من الصحابيات من ضربن بالسيف، وركبن الخيل، ولاهمية الدور الذي قامت به المرأة المسلمة في ميادين القتال من تمريض للجرحى، ودفن للقتلى، وتموين للجيش بالطعام وإمداده بالسلاح، والمشاركة في المشورة والإعداد النفسي والمعنوي، أفرد لها البخاري بابا في كتابه أسماه« باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال» وإن كان العلماء قد اختلفوا فيما هدف إليه البخاري في تسمية كتابه حيث رأى إبن المنير أنه قد يريد ان إعانتهن للغزاة غزو أو انهن ماثبتن لسقي الجرحى إلا وهن بصدد ان يدافعن عن أنفسهن، اما مسلم فقد ذهب إلى إن النساء إذا خرجن مع الرجال لايقاتلن بل يقتصر دورهن على مداواة الجرحى(٣) ومهما كان الأمر فإن حق القتال الفعلي للمرأة مباح كما هو للرجل، فإذا أرادت المرأة في عصرنا الحديث المشاركة في هذا الدور الإيجابي، فعلى المجتمع أن يتخذ لها الوضع الذي يصونها ويحفظ عليها كرامتها، حتى تقوم بدورها العام في جو آمن بعيد عن عبدة الأهواء وان كان الهدف تعلمها كيف تدافع عن نفسها.

ب- إبداء الرأي بالتأييد أو المعارضة:

ينظر الإسلام إلى المرأة نظرته الى الرجل فمن حقها ان تبدي رأيها في أي مسألة أو أمر معين لها وتدافع عنه بما تملك من حجج وبراهين، وعلى ولاة الأمر الإصغاء إليها وإزالة مايكون قد نزل بها من ضرر.. ويكفي أن سورة المجادلة التي نزلت في حادثة «خولة بنت ثعلبة» هي أثر من آثار الفكر النسائي، وإنعكاس لاحترام الإسلام لإنسانية المرأة وتقديره لرأيها فلقد «اصابت إمرأة واخطاء عمر» وهذا مايؤكد حرية المرأة وحقها في إبداء الرأي تأييد أو معارضته ويعد حق تصويتها في الانتخابات- حاليا- أبسط دور لها في المشاركة السياسية.

جـ- المبايعة:

إن من الأدوار العامة التي يحق للمرأة ممارستها. المبايعة على الالتزام بمبادىء معينة وعدم انتهاكها- كالقسم على الالتزام بمبادىء مهنة معينة كما يحدث في العصر الحديث، وليس ثمة تفرقة بين الرجال والنساء في القيام بهذا الواجب.(٤)

د- التبرع:

يحق للمرأة المسملة أن تتبرع مادياً أو عينيا لإغاثة المجتمعات الإسلامية وما اكثرها- والمساهمة في رفع البلاء عنها فلقد كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يتبرعن بحليهن وذهبهن ليجهزن الجيوش ويقمن به صرح الإسلام وفي مقدمتهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن القدوة الحسنة.

٣- المرأة في مجال الخدمة الاجتماعية

امتازت المرأة في القديم والحديث بأعمال البر والإحسان بما فطرن عليه من رقة طبع وحنان وتدين. ولقد قدمت أعمالا خيرية جليلة خفضت عن البشر عناء الفقر والجوع والحرمان والمرض، وساهمت كثيرا في بناء المستشفيات والملاجىء ودور الحضانة والمدارس على اختلاف انواعها(٥) والتناصر في المجتمع الاسلامي والقيام بالأعباء الاجتماعية يشمل الرجال والنساء﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[سورة التوبة؟٧١] ومجالات الخدمة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإسلامي حاليا كثيرة ومتنوعة. ومن شأن تعاونها في هذا المجال ان يسد ثغرة كبيرة في مجال البرو الإحسان والتربية. والتطبيب والمواساة، وهذا فضلا عن القيام بأمور المرأة التي هي بحاجة إلى جهد زائد من بني جنسها حفاظا عليها وعلى إسلامها.(٦)

> مسئولية المرأة مزدوجة فهي مسؤولة عن نفسها وعبادتها وبيتها من ناحية وعن مجتمعها من ناحية أخرى

٤- المرأة في المجال الديني والدعوة:

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أكبر مسؤولية في نظر الإسلام يتساوى فيها المرأة والرجل، وليس للمرأة ان تلقي حظها من هذه المسؤولية على الرجل وحده بحجة انه اقدر منها على القيام بهذا الدور، او ان طبيعة خلقتها لاتسمح لها بذلك، ولكل من الرجل والمرأة دائرته وميدانه الذي يمارس فيه الدعوة وهذا الدور ثابت للجميع لايقتصر على جنس أو جماعة معينة، وميدانه الذي يمارس فيه الدعوة ثابت للجميع، ولقد تطورت وسائل الدعوة في العصر الحديث تبعا للثورة التكنولوجية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة فكانت وسائل الاعلام المقروءة، والمسموعة والمرئية إلى جانب المؤسسات الدينية الأخرى انجح الوسائل لنشر الدعوة الاسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان استخدمت بشكل صحيح- وللنساء مجالهن فيها كما للرجال.

الرؤية الإسلامية لدور المرأة في المجتمع:

شاركت المرأة في الحياة الاسلامية، واخذت مكانها، وأدت دورها في المجتمع الاسلامي

فبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وخاضت المعارك ضمن الحدود التي شرعها الإسلام، وهاجرت مع من هاجر من الصحابة، وشاركت في الدعوة الى الله عز وجل ومن هنا كانت شمولية الاسلام للحياة تنعكس على رؤيته الشمولية للمرأة، من حيث كونها إنسانا لها من الحقوق وعليها من الواجبات ماللرجل وماعليه، وتتحمل من المسؤوليات العامة والخاصة مايجعلها بين حدّي الجزاء فإما الثواب وأما عقاب. والإسلام دين الفطرة وعليها خلق الانسان ومن ثم فإن في تبديلها خروج عن الطبيعة والفطرة كما يقول محمد المدني «قد أكسبت كلا من الجنسين اوضاعا خاصة ويسرت لكل منهما سبيله حسب المقصود منه»(٧) فالمساواة في الأدوار بين الرجل والمرأة لاتقتضي انكار الطبيعة ونسيان الفوارق الخلقية ومايتبعها من الاختصاص في الأدوار، فلكل منهما أدواته وإمكاناته التي لاتقوم الحياة إلا بهما معا باعتبارهما جناحي الإنسانية وإنكسار احدهما يعني التوقف والهبوط يقول الله تعالى:﴿ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مماكتسبن﴾[النساء/٣٢].فاذا كان المجتمع الاسلامي المعاصر يأخذ بأدوات التقدم ليستعين بشطره الإنساني الآخر وهو النساء وكانت منهن من ينادين إنقيادا للمرأة الغربية- بالمساواة التامة في شغل أدوار الرجل، فإن طلب هذه الندية المطلقة من شأنها ان تحط من وضع المرأة، وتتنزل بها عن الطبيعة الإنسانية التي ارادها الله سبحانه لها﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾[البقرة/٢٢٨] واذا كان الاسلام قد منحها حق المساواة مع الرجل فإن لهذه المساواة حدوداً وكما يرى «عباس العقاد» فإن العدل الذي فرضته الفلسفة القرآنية للمرأة، هو وضع المرأة في موضعها الصحيح من الطبيعة، ومن المجتمع ومن الحياة الفردية.. لان الطبيعة لاتنشىء جنسين مختلفين، لتكون لهما صفات الجنس الواحد ومؤهلاته وأعماله وغايات حياته(٨) ومع الشدة التي نلاحظها في رؤية العقاد لدور المرأة من خلال الحقوق الممنوحة لها نجد الإمام حسن البنا مع إتفاقه من حيث المبدأ مع العقاد يشير بسماحة الى رفق الاسلام بالمرأة في عدم تسويتها تسوية كاملة بالرجل فيقول:«الاسلام إن انتقص من حق المرأة شيئا من ناحية فإنه قد عوضها خيرا من ناحية اخرى او يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل ان يكون لشيء آخر»(٩) وان كان العقاد في جانب آخر يرى أن المجتمع الإنساني لن ينجو من مشكلاته المعقدة في سياسة الأمة، وسياسة البيت وسياسة الحياة الفردية حتى يثوب الى هذا التقسيم الطبيعي في الادوار وتقام دولة المرأة في البيت، ودولة الرجل في معترك الحياة فإننا نرى انه ماعلى هذا قام الاسلام، وليس للعقاد او غيره ممن يرون ان المرأة لاتخرج في الدنيا إلا مرتين، إلى بيت زوجها مرة ثم إلى قبرها- أن يمنح أو يحرم حقا منحه الله وأباحه للمرأة. والاسلام قد استوعب ملكات المرأة ومنحها مايمنعها رجاله اليوم، فلها حق الذهاب الى المسجد وتلقي العلم والمشاركة في المجتمع. وممارسة ادوارها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ايضا بما تتخذه من وسائل وأشكال معاصرة مثلها مثل الرجل ولكن في إطار الآداب الإسلامية العامة وحين تفرض الضرورة ذلك ومادامت هذه الادوار لاتتعارض مع طبيعة المرأة الانثوية وطالما تطلب منها المجتمع ذلك وكان هذا لايتعارض مع دورها الرئيسي في الحياة وهو زوجها وأبناؤها عامة فإن هناك علاقة تأثيرية متبادلة بين دور المرأة الخاص وأدوارها العامة، فالمجتمع ماهو إلا اسر صغيرة فاذا قامت المرأة بدورها العام تجاه مجتمعها الذي يصبح بمقتضى المسؤولية دورا خاصا لأنها بقيامها بحق أسرتها تساهم في إعداد لبنة من لبنات المجتمع ودعامة من دعائمه.(١٠)

يبيح الاسلام العمل للمرأة بالتطبيب والتمريض كما كانت رفيدة الانصارية

وأخيرا نشير إلى ان الاصل في المشاركة النسائية- في المجتمع- الإباحة القائمة على الأولويات ويأتي دورها المنزلي في مقدمه هذه الأولويات وهو الدور الطبيعي لها. والإسلام دين وسط قام على التوازن بين الروح والمادة والنفس والجسد، وبين الدنيا والآخرة.. فلا تضييق ولاتفريط ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾[القصص/٧٧] إننا بحاجة إلى رؤية موضوعية ترتكز على الشمولية والواقعية الإسلامية المعاصرة فيما يتعلق بقضايا المرأة وأدوارها في المجتمع الإسلامي. ■

الهوامش

١- انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، المجلد ١٣ كتاب الاحكام ص ١١١.

٢- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن جحر المجلد الاول كتاب العلم ص١٦٤.

٣-انظر الى المرجع السابق، المجلد السادس كتاب الجهاد،ص٧٨

٤-د. كمال جودة ابو المعاطي وظيفة المرأة في نظر الإسلام «القاهرة:دار الهدى للطباعة ١٩٨٠مص٧٤ بتصرف.

٥- عمر رضا كحالة المرأة في القديم والحديث، ط٣«بيروت: مؤسسة الرسالة١٩٧٥م ص١١.

٦-د. توفيق الواعي النساء الداعيات ط١ الكويت :معهد الدراسات الاسلامية ١٩٨٩مص١٦٦.

٧- أنظر محمد محمد المدني: المجتمع الاسلامي كماتنظمه سورة النساء القاهرة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية.د. ت ص ٣٥.

٨-انظر عباس العقاد الفلسفة القرآنية ع٢٢٩٤ القاهرة دار الهلال ١٩٧٠ ص ٥١,٥٠.

٩ -حسن البنا المرأة المسلمة،ط١ القاهرةك دار الكتب الفلسفية ١٩٨٣ ص ١٠,٩.

١٠- عباس العقاد، مرجع سابق، ص ٥٤.

٩- د. كمال جودة ابو المعاطي وظيفة المرأة في نظر الإسلام مرجع سابق ص ٦٤ بتصرف .

المذهب المالكي المدرسة المدنية ٤-٥

فقه

المركز الأول لانطلاق المذهب هو المدينة المنورة، وقد واصل أداء دوره في تعليم الفقه المالكي بعد الإمام، حيث قام التلاميذ المدنيون بتبليغ الأمانة وممن أخذ عنهم من المدنيين أبو الحسن علي بن عبدالله بن المدني المحدث شيخ الإمام البخاري، توفي سنة ٢٣٤هـ، وأبو عبدالله محمد بن يزيد المدني روى عنه البخاري وجماعة من أهل العلم.
ولم تلبث المدرسة المالكية المدنية أن ضعف شأنها، فلم يتخرج منها الكثير من الأعلام، إذ كانت المدينة عبر تاريخها تأوي رجال مختلف المذاهب، ويجاور بها علماء من مختلف البلدان، وممن نزل بها من المالكية آل ابن فرحون الذين نزح جدهم من تونس، وهي أسرة عربية يعمرية أنجبت كثيراً من الفقهاء والقضاة الذين دعموا المذهب في المدينة المنورة.

بقلم:ا.د محمد ابو الاجفان

أبو الحسن بن علي بن فرحون (٧٤٦).
وأخوه أبو محمد عبدالله (٧٦٩) والقاضي برهان الدين إبراهيم بن أبي الحسن بن فرحون (٧٩٩) مؤلف «تبصرة الحكام في أصول الأقضية»(٥٤)، و «درة الغواص في محاضرة الخواص»(٥٥) «وإرشاد السالك إلى أفعال المناسك»(٥٦) وشارح مختصر ابن الحاجب الفرعي بكتابه الموسوم بـ «تسهيل المهمات في شرح جامع الأمات»(٥٧).

المدرسة العراقية:

الامتداد الشرقي للمذهب كان من أثره ظهور المدرسة المالكية العراقية التي نشأت على أيدي تلاميذ مالك ودعمها بعدهم أصحابه الآخذون عن مالكية المدينة ومالكية بلدهم العراق ومن أشهر أعلام هذه الطبقة أبو الفضل أحمد بن المعذل(٥٨).
وفي القرن الثالث لمع نجم أسرة عراقية أنجبت الكثير من الفقهاء، وهي التي تحدث عنها المؤرخ البرهان بن فرحون قائلاً: (من أجلّ بيوت العلم بالعراق وأرفع مراتب السؤدد في الدين والدنيا، وهم نشروا المذهب هناك، وعنهم اقتبس، فمنهم من أئمة الفقه ومشيخة الحديث عدة كلهم جلّة ورجال سند، روي عنهم في أقطار الأرض وانتشر ذكرهم ما بين المشرق والمغرب، وتردد العلم في طبقاتهم وبينهم نحو ثلاثمائة عام، منذ زمن جدهم الإمام حماد بن زيد وأخيه سعيد ومولدهما في نحو المئة إلى وفاة آخر من وصف منهم بعلم، وهو المعروف بأبي يعلي، ووفاته قرب أربعمئة)(٥٩).
ومن مشاهير هذه الأسرة الذين علت

والامتداد الغربي للمذهب المالكي كان في مصر والقيروان وفاس والأندلس

نجومهم في سماء المدرسة المالكية العراقية:
أبو يوسف يعقوب بن إسماعيل بن حماد (٢٤٦)(٦٠).
أبو إسماعيل حماد بن إسحاق البغدادي الذي ألف كثيراً من الكتب منها المهادنة والرد على الشافعي.(٦١)
القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق (حوالي ٢٨٤) أخو أبي إسماعيل حماد سالف الذكر. تفقه به أهل العراق من المالكية، يذكر أبو الوليد الباجي (أنه لم يبلغ درجة الاجتهاد بعد مالك إلا القاضي إسماعيل)(٦٢). وقد اشتهر بالرد على المخالفين من الشافعية والحنفية.(٦٣).
أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حماد ابن عم القاضي إسماعيل(٦٤) (٢٩٧).
أبناؤه أبو العباس أحمد (٣٠١) وأبو يعلي الحسن (٣٠٦) وأبو عمر محمد القاضي.(٦٥)
أبو إسحاق إبراهيم بن حماد (٣٢٣)(٦٦).
وقد عرف القرن الرابع مزيداً من انتشار المذاهب في العراق وظهر فيه كثير من فقهاء المالكية الذين كان لهم أثر في تدوين مسائل المذهب وشرح بعض أماته من الكتب مثل مختصر ابن عبدالحكم المصري ومدونة سحنون القيرواني.
ومن أبرز (أعلام المالكية) في هذا القرن في المدرسة العراقية:
محمد بن عبدالله الأبهري(٦٧) (٣٧٥) كان إمام المالكية في وقته، وهو فقيه محدث قيم برأي مالك حريص على نشر مذهبه والاحتجاج له والرد على من خالفه، شرح مختصري ابن عبدالحكم، وألف في الأحول، ورد على المزني، ولم ينجب أحد بالعراق من الأصحاب بعد إسماعيل القاضي ما أنجب هو، كما توافد الآخذون عنه من الخراسانيين والمصريين والإفريقيين والأندلسيين.
واشتهر بعده في العراق القاضي أبو محمد عبدالوهاب بن علي بن نصر(٦٨) البغدادي (٤٢٢) أحد أئمة المذهب، له تآليف في مسائل الرسالة الفقهية لابن أبي زيد والممهد في شرح مختصر ابن أبي زيد وشرح المدونة والمعوّنة في مذهب عالم المدينة، والفروق الفقهية. والنصرة لمذهب إمام دار الهجرة، والإشراف

على نكت مسائل الخلاف(٦٩).

المدرسة المصرية:

والامتداد الغربي للمذهب المالكي كان في مصر والقيروان وفاس والأندلس ففي مصر عرفت المدرسة المالكية ازدهاراً في فترات مختلفة، وتقتصر على ذكر مشاهير رجالها الذين كان لهم أثر بمدونات فقهية انتشرت في الأقطار وأسهمت في تركيز المذهب بها، وأول هؤلاء عبدالرحمن بن القاسم العتقي سالف الذكر لدوره المهم في تأليف المدونة الكبرى، التي سيأتي الكلام عنها عند الحديث عن المدرسة القيروانية، وبعده نجد أبا عبدالله محمد بن إبراهيم الإسكندري المعروف بابن المواز (٢٦٩) الآخذ عن تلاميذ مالك، ألف الموازية وهي من أمات المذهب وأصحها رجحها القابسي على سائر أمات الكتب.(٧٠)

ثم نجد أبا إسحاق حمد بن القاسم بن شعبان رئيس المالكية في زمانه بمصر، ألف كتاب الزاهي في الفقه ويعرف بالشعباني، وألف أحكام القرآن ومختصر ما ليس فيه المختصر، والأشراط، والمناسك، والسنن، وغيرها.(٧١)

ثم نجد أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي الإسكندري (٥٢٥) وهو من عطاء الأندلس لمصر، ألف في مسائل الخلاف وشرح الرسائل القيروانية ومن كتبه سراج الملوك والحوادث والبدع.(٧٢)

واشتهر من تلامذته المصريين أبو علي سند بن عنان الأسدي مؤلف كتاب الطراز في شرح المدونة، وله تأليف في الجدل وغيره (٥٤١)(٧٣). ثم نجد نجم الدين الجلال عبدالله بن محمد بن شاس الجذامي (٧٤) (٦١٠) مؤلف عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة(٧٥)، وقد رتب فيه مسائل المذهب أحسن ترتيب وتعرض فيه لآراء أصحاب مالك الفقهية وحرره من الارتباط بالمدونة وعليه اعتمد أبو عمرو جمال الدين عثمان بن الحاجب المصري (٦٤٦) في كتابه الذائع (المختصر الفرعي) وهو الذي اعتنى المالكية بشرحه ـ وانتشر في سائر مدارسها، ويقال: (إنه ضمنه ستاً وستين ألف مسألة اختصرها من ستين ديواناً مالكياً).(٧٦)

ثم جاء بعده فقيه مصري آخر أوغل في الاختصار أكثر منه وهو ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق الجنيدي(٧٧) (٧٦٧) ومختصره لقي أوسع الرواج وأقبل كثير من المالكية على شرحه والتعقيب عليه وكان مرجعاً دراسياً وحفظ مسائل المذهب.

ولخليل هذا شرح مهم على مختصر ابن الحاجب موسوم بالتوضيح مدعم بالدليل والتوجيه وتوسع بما يشفي غليل الباحث. ولكنه مازال مخطوطاً يحتاج إلى عناية المحققين.

ولم تكن ظاهرة الاختصار هي السائدة في المدرسة المصرية بل نهج بعض فقهائها منهج التوسع والبسط مثل الإمام أبو العباس شهاب الدين القرافي (٦٨٤) الذي ألف موسوعة الذخيرة محاولاً فيها ربط الفروع بقواعدها مائلاً إلى الاستدلال للفقه المالكي، ويجري الآن طبعها في دار الغرب الإسلامي.

ومنهم من نوع تآليفه الفقهية فأطنب في بعضها واختصر في الآخر كما سلف عند خليل. وكما فعل تلميذه أبو البقاء التاج بهرام الدميري (٨٠٥) الذي ألف الشامل وشرح مختصر شيخه بثلاثة شروح: كبير ووسيط وصغير، وهذا الأخير كان طرراً علق بها على بعض المسائل،(٧٨) وكما فعل النور أبو الحسن علي الشاذلي المتوفى (٩٣٩) بوضعه ستة شروح على الرسالة القيروانية متفاوتة الطول والبسط.(٧٨)

ومن أقطاب هذه المدرسة الشمس محمد التتائي (٩٤٢) الفقيه الفرضي له شرحان على المختصر الخليلي كما شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب والرسالة القيروانية وإرشاد ابن عسكر وتفريع ابن الجلاب ومقدمات ابن رشد ونظم القرطبية وشامل بهرام كما ألّف في الفرائض.(٨٠)

من الفقهاء المتأخرين لهذه المدرسة نشير إلى النور على الأجهوري(٨١) (١٠٦٦) من مؤلفاته ثلاثة شروح على مختصر خليل، كبيرها في اثني عشر جزءاً وحاشية على شرح التتائي على الرسلة.

ونشير إلى أبي محمد عبدالباقي الزرقاني (١٠٩٩) شارح المختصر والغرية وغيرهما(٨٣) (١١٨٩) صاحب المؤلفات الكثيرة في الفقه المالكي، وإلى أبي البركات أحمد الدردير(٨٤) (١٢٠١) له عدة مؤلفات مهمة منها شرحه للمختصر الخليلي «الكبير» وأقرب المسالك لمذهب مالك وشرحه «الصغير» وقد حشى على شرحه الأول تلميذه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠) وعلى الثاني أبو العباس أحمد الصاوي (١٢٤١).

كما نشير إلى أبي عبدالله محمد الأمير (١٢٣٣) الذي حشى على عدة كتب منها شرح الزرقاني على خليل، وألف المجموع شرحه وحاشيته، كما حشى على المجموع تلميذه الشيخ حجازي العدوي الأزهري(٨٥).

المدرسة القيروانية:

أُسست المدرسة القيروانية المالكية على أيدي تلاميذ مالك الذين رحلوا إليه من القيروان، وقد ألمحنا إلى ثلة منهم، ثم نمت وازدهرت ازدهاراً واضحاً خلال القرون الهجرية: الثالث والرابع والخامس، وكان من أبرز أعلامها في النصف الأول من القرن الثالث الإمام عبدالسلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون (٢٤٠) قاضي القيروان ومفتيها، رحل إلى مصر للأخذ عن أشهر تلاميذ مالك، عبدالرحمن بن القاسم، بعد أن وصله كتاب الأسدية لأسد بن الفرات الذي جمع فيه ما أخذه في رحلته المشرقية من الفقه المالكي والفقه الحنفي، وعرض سحنوني على ابن القاسم الأسدية وسمعها منه وأسقط منها أستاذه ما كان يشك فيه من قول مالك وعوضه بإجابته فيه على رأيه(٨٦)، وسأل سحنون أستاذه عن أقوال مالك في العديد من المسائل ثم دونها كما دون ما أفاده به هذا الأستاذ من آراء علماء المدينة، ورتب سحنون هذه المسائل ودعم بعضها بالاحتجاج لها بالأحاديث والآثار وضمنها كثيراً من خلاف كبار أصحاب مالك. وكان قد سمع من ابن وهب وأشهب وابن عبدالحكم وغيرهم.

وسرعان ما انتشرت هذه المدونة الكبرى التي تسمى أيضاً بالمختلطة وبالأم وبالكتاب، ونالت مكانة سامية بين أمات المذهب المالكي وقدمها كثير من علماء هذا المذهب على غيرها

أُسست المدرسة القيروانية المالكية على أيدي تلاميذ مالك الذين رحلوا إليه من القيروان،

من المدونات، ذلك لتضمنها أقوال إمام المذهب المأخوذة عن تلميذه الفقيه الفَقهْ الذي لازمه عشرين عاماً ابن القاسم العتقي، ولاشتهار آخذها عنه سحنون بالورع والتغلب في الدين والدقة في الفهم، وقد كان يعرف الناس بأهميتها فيقول: (عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح وروايته... إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن في القرآن تجزيء من الصلاة عن غيرها ولا يجزيء غيرها عنها)(٨٧).

ولقد عرف المالكية قيمتها وبوءوها مكانتها اللائقة، قال عنها ابن رشد الجد (٥٢٠): «حصلت أصل علم المالكيين، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك رحمه الله، ويروي أنه ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك رحمه الله وما بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة»(٨٨)

وقد انصب اهتمام كثير من علماء المالكية على دراستها ووضع المؤلفات في تهذيبها واختصارها وشرحها، وبعضهم كان يحفظها حفظاً(٨٥). وما زالت المرجع في الفتوى والتدريس والبحث.

وعلى سبيل الذكر نورد بعض أسماء علماء أفريقيين الذين كان لهم عناية خاصة بها بوضع تآليف عليها: منهم أبوسعيد البراذعي القيرواني نزيل صقلية، وتهذيبه للمدونة مشتهر، وكان عليه المعول، كما أفاد ابن خلدون في مقدمته(٩٠) أبو محمد عبدالله بن زيد القيرواني (٣٨٦) صاحب مختصر المدونة.(٩١)

أبو إسحاق إبراهيم بن حسين التونسي(٩٢) (٤٤٣).

أبو الفضل قاسم ابن ناجي القيرواني (٨٣٨) له شرحان على المدونة كبير وصغير.(٩٣)

وقد كانت طريقة المدرسة القيروانية في شرح المدونة تعتمد الضبط والتصحيح وتحليل المسائل والمباحث واختلاف التخاريج والمحامل، بينما كانت طريقة العراقيين تعتمد القياس والتأصيل وتحقيق المسائل وتقرير الدلائل.

والجامع للطريقتين هو القاضي عياض السبتي (٥٤٤) في كتابه الموسوم بـ «التنبيهات».(٩٤)

ومن أعلام المدرسة المالكية القيروانية بعد إمامها سحنون نقتصر على ذكر ابنه محمد (٢٥٥) ومحمد بن عبدوس (٢٦٠) وكتابه المجموعة معدود في أمات كتب المذهب، وله شرح المدونة والتفاسير في أبواب الفقه، ويحيى بن عمر الكناني القرطبي الأصل نزيل القيروان ثم سوسة (٢٨٩) وأبو بكر محمد بن اللباد القيرواني(٣٣٣) وأبو العباس عبدالله الإبياني (٣٥٢) وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦) المعروف بمالك الصغير، اشتهر بالذب عن المذهب وبالعلم والورع وألف مؤلفات كثيرة منها النوادر والزيادات والرسالة القيروانية الذائعة، وأبو عمران موسى بن عيسى الفاسي (٤٣٠) وأبو القاسم بن محرز القيرواني صاحب التعليق على المدونة الموسوم بالتبصرة نحو (٤٥٠) وأبو القاسم عبدالخالق السيوري حوالي (٤٦٠) كان يحفظ المدونة وله تعليق حسن عليها. وأبو الحسن علي الربعي المعروف باللخمي والقيرواني نزيل صفاقس، وتعليقه على المدونة موسوم بالتبصرة أيضاً ضمنه اختياراته وترجيحاته (٤٧٨) وأبو محمد عبدالحميد الصائغ القيرواني نزيل سوسة (٤٨٦).

وفي المهدية اشتهر أبو الطاهر إبراهيم بن عبدالصمد بن بشير التنوخي، ومن تآليفه التحرير وكتاب التنبيه على مبادىء التوجيه(٥) (كان حياً ٥٢٦) وكان يستنبط الفروع من قواعدها الفقهية. وأبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المعروف بالإمام المازوي (٥٣٦) له تعليق على المدونة وشرح على تلقين القاضي عبدالوهاب وغير ذلك. بلغ درجة الاجتهاد ولم يرض أن يخرج عن الافتاء بغير مشهور المذهب المالكي (٩٦) ومن أكابر تلاميذه المهدي بن القاضي الفقيه أبو يحيى زكريا بن الحداد صاحب الفتاوى المحررة.(٩٧)

وفي العهد الحفصي احتضنت قاعدة الملك تونس المدرسة المالكية وواصلت رفع لواء المذهب آخذة المشعل عن مركزي القيروان والمهدية، وربطت صلتها بالمدرسة المالكية في المشرق بوساطة أبنائها الراحلين للأخذ عن أعلامه مثل أبي القاسم بن زيتون (٦٩١) الذي قام برحلتين عاد منهما بعلم غزير وكتب فقهية وأصولية، ومثل أبي يحيى بن جماعة الهواري (٧١٢) الآخذ بالمشرق عن ابن دقيق العبد، وقد ألف كتباً فقهية (٩٨) ومثل أبي عبدالله محمد بن راشد القفصي الفقيه الأصولي المحقق (٧٣٦) الآخذ عن القرافي والناصر الأبياري والشمس الأصفهاني في رحلته المشرقية.(٩٩)

كما استقبلت تونس أعلام الفقه المالكي من المغرب والأندلس مثل أبي عبدالله محمد المقري التلمساني (٧٥٩) الذي قال: «ما لقيت في تونس غير واحد من العلماء والصلحاء»(١٠٠) مثل أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (٨٩١).

ومن أبرز أعلام المدرسة المالكية في تونس في هذا العهد أبو عبدالله محمد بن عبدالنور (كان حياً سنة ٧٢٦) له الحاوي في الفتاوي واختصار تفسير الفخر الرازي وتقييد على كتاب الحاصل (١٠١).

وأبو إسحاق إبراهيم بن عبدالرفيع الربعي قاضي الجماعة (١٠٢) (٧٣٣) له عدة مؤلفات فقهية منها «معين الحكام» (١٠٣).

وأبو علي عمر بن قداح القاضي المفتي (١٠٤) (٧٣٤).

وابن راشد القفصي سالف الذكر، من مؤلفاته المهمة موسوعة «الفائق في الأحكام والوثائق»(١٠٥).

وأبو عبدالله محمد بن عبدالسلام الهواري قاضي الجماعة (١٠٦) وشارح مختصر ابن الحاجب الفرعي، بشرح يعده ابن فرحون أحسن شروحه (١٠٧).

وأبو عبدالله محمد بن هارون الكناني القاضي (٧٥٠) شارح مختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي. وقد بلغ رتبة الاجتهاد المذهبي بشهادة تلميذه الإمام ابن عرفة(١٠٨).

وهذا الإمام أبو عبدالله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (١٠٩) (٨٠٣) هو فخر المدرسة المالكية في إفريقية فهو حافظ مجتهد ألّف في عدة فنون وله أقوال في المذهب وترجيحات كان طلبة الفقه المالكي يشدون الرحلة إليه، وكتابه المختصر الفقهي» (١١٠) يشهد برتبته الفقهية السامية.

طريقة المدرسة القيروانية في شرح المدونة تعتمد الضبط والتصحيح وتحليل المسائل

وقد تخرجت على يديه طبقة مهمة من الفقهاء (١١١) خاض بعضهم ضرباً من الاجتهاد بإحياء أقوال مهجورة في المذهب لمناسبتها لأحوال المجتمعات المتطورة وللأحداث المستجدة، ومن ألمع أعلام هذه الطبقة:

أبو مهدي عيسى الغبريني (٨١٣) وهو ممن يظن به حفظ المذهب (١١٢).

أبو عبدالله محمد الوانوغي، نزيل الحرمين (١١٣).

أبو عبدالله محمد الأبي (٨٢٨) شارح صحيح مسلم (١١٤).

أبو عبدالله محمد القلشاني (٨٣٦) قاضي الأنكحة (١١٥).

أبو الفضل قاسم بن ناجي القيرواني (٨٣٨) شارح الرسالة الفقهية (١١٦) والمدونة (١١٧) وابن الحلاب.

أبو القاسم البرزلي البلوي القيرواني (١١٨) (٨٤١) لازم ابن عرفة نحواً من أربعين عاماً. له ديوان كبير في الفتاوى (١١٩).

أبو حفص عمر القلشاني (٨٤٧) شارح مختصر ابن الحاجب الفرعي والطوالع، وله فتاوى نقل عنها من بعده(١٢٠).

أبو عبدالله بن عقاب التونسي (٨٥١) له أجوبة فقهية (١٢١). ■

الهوامش

(٥٤) بحث «المذهب المالكي بين المذاهب الفقهية»: ص ١١ - ١٢ - مرقون أعده الدكتور خليفة بابكر الحسن برسم، المؤتمر الرابع للفقه المالكي في «أبو ظبي ١٩٨٦».

٥٥ - اشتركت مع الدكتور عثمان بطيخ في تحقيقه ونشرته في طبعة أولى المكتبة العتيقة في تونس ودار التراث في مصر، وفي طبعة ثانية مؤسسة الرسالة في بيروت.

٥٦ - كان تحقيقه ودراسته موضوع رسالتي لنيل الدكتوراة في الفقه المقارن من المعهد العالي للقضاء في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض ثم نشرته مؤسسة بيت الحكمة في تونس في جزأين.

٥٧ - ما زال مخطوطاً يحتفظ المتحف البريطاني في لندن بنسخة منه.

٥٨ - المدارك: ٤/ ٥ - طبقات الفقهاء للشيرازي ١٦٤.

٥٩ - الديباج: ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣ ط دار التراث مصر.

٦٠ - شجرة النور: ٦٥.

٦١ - الديباج: ١/ ٣٤١.

٦٢ - الديباج: ١/ ٢٨٢ - ٢٩٠ العبر للذهبي: ٢/ ٦٧.

٦٣ - طبقات الشيرازي: ١٦٥.

٦٤ - الديباج: ٢/ ٣٧٣

٦٥ - شجرة النور: ٧٨.

٦٦ - الديباج: ١/ ٢٦١.

٦٧ - ترجم له الشيرازي في طبقاته: ١٦٧ والخطيب في تاريخه ٥/ ١٦، وابن العماد في شذراته: ٣/ ٨٥ وابن النديم في فهرسته: ١/ ٢٩٧. وعياض في مداركه.

٦٨ - ترجم له الشيرازي في طبقاته ١٦٨ - والخطيب في تاريخه: ١١/ ٣١ - واليافعي في مرآته ٣/ ٤١ - والنباهي في مرقبته: ٤٠ - ٤٢ والسيوطي في حسن المحاضرة ١/ ٣١٤.

٦٩ - مطبوع بتونس في جزأين.

٧٠ - شجرة النور: ٦٨.

٧١ - المصدر: ٨٠.

٧٢ - الفكر السامي للحجوي: ٤/ ٥٤ - ٥٥.

٧٣ - شجرة النور: ١٢٥.

٧٤ - شذرات الذهب: ٥/ ٦٩.

٧٥ - حققت هذا الكتاب مع الأستاذ عبدالحفيظ منصور وسيصدر عن مجمع الفقه في جدة وهو ثلاثة أجزاء.

٧٦ - وفيات الأعيان: ١/ ٣٩٥ - شجرة النور ١٦٧.

٧٧ - شجرة النور: ٢٢٣.

٧٨ - المصدر: ٢٣٩.

٧٩ - المصدر: ٢٧٢.

٨٠ - المصدر: ٢٧٢.

٨١ - ٣٠٣ - ٣٠٤.

٨٢ - المصدر ٣٠٤ - ٣٠٥.

٨٣ - المصدر ٣٤١ - ٣٤٢.

٨٤ - المصدر ٣٥٩.

٨٥ - المصدر ٣٦٢ - ٣٦٣.

٨٦ - ترتيب المدارك: ٣/ ٢٩٩.

٨٧ - المصدر: ٣/ ٣٠٠.

٨٨ - المقدمات: ١/ ٤٤.

٨٩ - من هؤلاء عبدالله التادلي الفاسي الذي أملاها من حفظه بعد أن أحرقها الموحدون (نيل الابتهاج: ٢١٤) ومنهم محمد بن سيمون الأنصاري الطليطلي، كتب المدونة في اللوح فحفظها كما يحفظ القرآن ولم يخلط بها غيرها (ترتيب المدارك: ٦/ ١٧٧). ومنهم أبو القاسم السيوري القيرواني «شجرة النور (١١٦)

٩٠ و ٩١ - المقدمة: ٤٥٠ط دار الفكر.

٩٢ - شجرة النور: ١٠٨.

٩٣ - المصدر: ٢٤٤.

٩٤ - أعلام الفكر للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: ٦١.

٩٥ - كتاب العمر لحسن حسني عبدالوهاب ٦٩٣ وما بعدها رقم ١٩٢.

٩٦ - شجرة النور: ١٢٧.

٩٧ - المصدر: ١٤٤.

٩٨ - تاريخ الدولتين للزركشي: ٦٣، ٧٦، تراجم المؤلفين التونسيين لمحفوظ ٣/ ٤٨.

٩٩ - درة الحجال، لابن القاضي ٢/ ١١٢، تراجم المؤلفين التونسيين لمحفوظ ٢/ ٣٢٩.

١٠٠ - نفح الطيب للمقري: ٥/ ٢٥٢ وانظر عن المقري الجد كتابنا الإمام المقري التلمساني ط الدار العربية للكتاب، تونس.

١٠١ - شجرة النور ٢٠٦.

١٠٢ - الديباج: ٢/ ٨٢ - معجم المؤلفين لكحالة: ١/ ٢٠.

١٠٣ - نشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت بتحقيق الزميل محمد بن عياد سنة ١٩٨٩.

١٠٤ - ترجمنا لابن قداح ترجمة ضافية في مقدمتنا لتحقيق كتابه «المسائل الفقهية» نشر مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ١٩٩٢.

١٠٥ - تتوافر منه عدة نسخ مخطوطة في دار الكتب الوطنية في تونس.

وانظر بحثنا عن هذا المخطوط في العدد الثامن من مجلة آفاق الثقافة والتراث الصادرة عن مركز جمعة الماجد، دبي في مارس ١٩٩٥.

١٠٦ - برنامج المجاري: ١٤٢ نشر دار الغرب الإسلامي، في بيروت بتحقيقنا.

١٠٧ - الديباج: ٢/ ٣٣٠.

١٠٨ - نيل الابتهاج: ٢٤٢.

١٠٩ - ترجمته في برنامج المجاري تلميذه: ١٣٨ رقم ٢٢ - البستان لابن مريم ١٨٠ - الحلل السندسية للسراج: ١/ ٣/ ٥٨٨ - شرح حدود ابن عرفة للرصاع: ١/ ٦١ - دار الغرب الإسلامي، بيروت، بتحقيق أبي الأجفان والمعموري.

١١٠ - تتوافر منه نسخ مخطوطة في دار الكتب الوطنية تونس.

١١١ - من الآخذين عن تلاميذ ابن عرفة، أبو عبدالله الرصاع، انظر عنه مقدمة تحقيقنا لشرح حدود ابن عرفة سالف الذكر.

وأبو الحسن القلصادي الذي تحدث عنهم في رحلته: ١١٥ وما بعده نشر الشركة التونسية للتوزيع في تونس ط٢ سنة ١٩٨٥ بتحقيقنا.

١١٢ - شجرة النور: ٢٤٣.

١١٣ - المصدر: ٢٤٣.

١١٤ - هذا الشرح موسوم بإكمال إكمال المعلم، مطبوع.

١١٥ - شجرة النور: ٣٤٤.

١١٦ - هذا الشرح مطبوع مع شرح رزوق على الرسالة.

١١٧ - لابن ناجي شرحان على المدونة تتوفر من كل منهما نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس.

١١٨ - شجرة النور: ٢٤٥.

١١٩ - منه نسخ مخطوطة كل نسخة في أكثر من مجلد، في دار الكتب الوطنية في تونس.

١٢٠ - شجرة النور ٢٤٥ - ٢٤٦.

١٢١ - انظر رحلة القلصادي: ١١٨ وما بعدها.

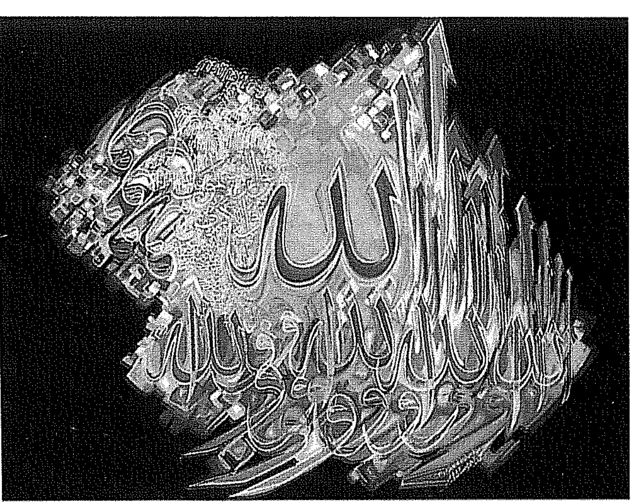
ظاهرة الاختصار ليست هي السائدة في المدرسة المصرية

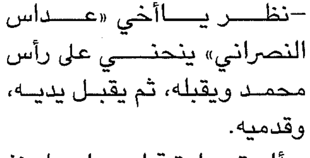
قصة العدد

رحلة في طريق النور

بقلم: د.أحمد محمد ابراهيم

– من هذا الـذي يحتمي في حائط كـرمنا؟ انظـر ياعتبـه إلى النور الذي يشع حوله.. بل من فوقه ومن تحته ومن أمامه، ومن خلفه.
–انه محمد ياشيبة، فليس في مكة كلها رجل يشع النور من وجهه سوى محمد بن عبد الله.
–ومن هؤلاء الذين يرمونه بالحجارة، حتى لجأ إلى حائط كرمنا؟
– لعلهم جماعة من سفهـاء ثقيف، جاءوا خلفـه لدى عـودته من زيارتهم ليعرض عليهم دينه.
– أنظـر اليه.. أنـه يرفع يـديه إلى السماء، ويتمتم بكلمات.. هيـا نقترب منه لنستمع مايقول.
–«اللهم اليك أشكـو ضعف قـوتي، وقلـة حيلتي، وهـواني على الناس يأرحم الراحمين، انت رب المستضعفين وأنت ربي. الى من تكلني الى بعيد يتجهمنـي او إلى عدو ملّكته أمـري، ان لم يكن بك عليّ غضب فـلا أبـالي ولكن عافيتك اوسع لي، اعـوذ بنـور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمـر الدنيا والآخرة. من ان تنـزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك لك العتبـى حتى تـرضى، ولاحول ولاقوة إلا بك»
–اسمعت؟ انه يـدعو ربه، ويشكو إليـه مالاقى من بني ثقيف في الطائف.
–وكذلك من اضطهاد قريش له.
– ماأعظم صبر هـذا الرجل وجلده.. لقد حلت عليـه مصائب عدة في زمن وجيز. دون ان تفل من عزيمته او تفت من قوته.
–نعم..نعم.. فقد تعرض هو واتباعـه من المسلمين لمقاطعة قريش لهم وحصارهـم في شعب الجبل بظهر مكـة، وان كانت المقـاطعة مقصودة في بني هاشم قوم محمد.
ماأقسى هذه الأيام التي تعرض محمد فيها للمقاطعة، هو وقومه، واتباعه.
–نعم..نعم.. كـانـوا معـرضين لسنوات عدة لايتصلون بالناس إلا في الاشهر الحرم. حتى نقض زهير الصحيفـة التي كـانت معلقة في الكعبـة التي تنص على المقاطعة.
– وبعـد أشهـر مـن نقض صحيفة المقاطعة يموت عمه أبو طـالب، الـذي كـان يحميـه ويسانده..
–انني اذكر ياأخي عتبة انه بعد موت أبي طالب جاء رجل ورمى على محمـد التراب وهـو يصلي.. وقـد سمع بعضهم ان محمـدا حينما دخل بيته جعلت ابنته فاطمة تغسل عنه التراب وهي تبكي فقال لها:
«لاتبك يابنية فإن الله مانع أباك».. ثم أخذ يردد:
«والله مانالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب».
–حقا.. وبعد أشهر أخرى مـاتت زوجه خديجة بنت خويلد، التي كانت تسانده ايضا وتغدق عليه الحب والاخلاص.
– وهاهو الآن بعد ان زادت قريش في إيذائه والاساءة اليه يلجأ الى الطائف ويعرض نفسه على ثقيف، فتخذله.
–بل وتسلط عليه سفهـاءها يسبونـه ويرمونه بـالحجارة، حتى أدمى جسده، فاحتمى في حائط كرمنا.
–لقد بلغ منه الجهد. لنرسل له الخادم يقطف من عنب الكرم.
–نعم..ناد على عداس.
– عداس ايها النصراني.
–لبيك سيدي.
–أذهب بقطاف من عنب الى هذا الرجل الذي بجوار الحائط
–سمعا وطاعة مولاي
–لنقترب اكثر ياأخي من محمـد حتى نسمع مايدور بين نصراني ونبي مزعوم للإسلام.. أنصت انصت يـاأخي الى مايقوله عداس النصراني لمحمد:
–سيـدي. انك تقـول بسم اللـه، حينما بـدأت تأكل، وهـذه لغـة لايعرفها أهل هذه البلاد.. انني لست من هذه البلاد.. انا نصراني من «نينوى».
–من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟
–سيدي.. ومايدريك من يونس بن متى؟
–ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي
– الله. الله. الله..؟؟





–نظـر يـاأخي «عـداس النصراني» ينحنـي على رأس محمـد ويقبله، ثم يقبـل يديـه، وقدميه.
– ألم تريـاعتبة ان عداسـا منذ التقى بمحمد، تغير في كل شيء؟
–نعم.. نعـم.فلنسألـه.. عن سبب تغييره.. عداس..
–لبيك سيدي.
–مـاذا دهاك يـاعداس؟.. اننـا نـراك قـد تغيرت في سلـوكك معنـا.. فتحدثنـا بأدب جم ،لم نلحظـه فيك مـن قبل، ثـم تنصرف عنا سـاهما. ذلك مـذ

التقيت بمحمد بن عبد الله. بجوار حائط الكرم؟ أي منذ شهر تقريبا، أتراه سحرك أنت ايضا؟

-لا.. والله. ولكنني منذ عرفته وأنا أرى كل يوم منه عجبا، واسمع منه قرآنا عجبا.. سيدي عتبه وشيبة ابنا ربيعة.. هل سمعتما بما حدث لمحمد الليلة الماضية؟

-لا..لا.

-لقد أسري به الليلة الماضية من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ،ثم عُرج به الى السماوات العلا في نفس الليلة.

-عداس.. هل..؟ هل جننت؟أقطع محمد كل هذه المسافة في ليلة واحدة؟

-إن المسافة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى تقطع على ظهر الإبل في مسيرة شهر كامل !!

- ولعل قومه كذبوه؟؟

-نعم ياسيدي.. لقد كذّبه قومه. ولكن صدّقه أبو بكر بن أبي قحافة ومنذ ذاك سماه محمد أبا بكر الصديق.

-أذهب أيها النصراني، فأني لا أراك إلا أنك قد صبأت واتبعت محمدا.

-دعه ياعتبه يكمل لنا هذه القصة.. فقد اصبحت في شوق لسماعها.

-أسمعه أنت أما أنا فلا اطيق سماع تلك الخرافات.. هيا ياعداس أسمع سيدك شيبة ماسمعته من محمد عن الأسراء به من المسجد الحرام.. ها.. الى المسجد الأقصى في ليلة واحدة. هيا ..هيا.. أما أنا فسوف اترككما.. عمت صباحا ياشيبة.. عمت صباحا ياأخي.. هيا قل ياعداس.

-لقد قالت هند بنت أبي طالب.. أم هانىء ابنه عم محمد: ان رسول الله نام عندي تلك الليلة.. في بيتي، فصلى العشاء الآخرة ثم نام، ونمنا، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال:

-ياأم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت الغداة معكم كما ترين.

فقالت له: يانبي الله لاتحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك قال:

- «لأحد ثنموه»

-عجبا؟

-لقد نزل عليه قرآن في ذلك ياسيدي.. أتحب سماعه؟

-قل.

-﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

-أراك قد حفظت قرآن محمد.. ولكن قل.. ثم ماذا؟

-كانت رحلة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلة في



طريق النور.. فقد انعم الله على نبيه محمدا نعماً كثيرة. حيث فرض عليه وعلى امته الصلاة وهي خمسة فروض، في اليوم. ثم ان محمدا قد شاهد في السموات السبع اشياء كثيرة انه شاهد في كل سماء نبياً، كما شاهد الجنة والنار، واشياء أخرى.. لايدركها البصر، ولا يحتويها عقل الانسان حيث ان الله خصه بها وحده. كما انه عليه الصلاة والسلام صلى إماما في جميع الأنبياء الذين بعثوا قبله في المسجد الأقصى.. ولقد رأى سدرة المنتهى ياسيدي التي تنتهي اليها ارزاق الناس واعمارهم.. فقد سطر على اوراقها الرزق والعمر لكل ابناء البشرية. ولقد رأى جبريل عند هذه السدرة للمرة الثانية. وهذه السدرة عندها جنة المأوى.

-وماشكل جبرائيل هذا ياعداس؟ هل أخبركم محمدعن شكله؟

-نعم.. لقد أخبر انه بصورته الحقيقية له سبعون ألف وجه وستمائه جناح ولكن.. عداس ان كانت هذه الرحلة حدثت حقا، فهل محمد رأى مارأى بجسده أم بروحه فقط؟

- اقول لك ياسيدي.. مااختلفت فيه الناس فبعضهم يقول: ان محمدا رأى بروحه فقط.. حيث تحول جسده إلى نور.. والبعض الآخر يقول: إن محمداً رأى مارأى في رحلته بروحه وجسده. مستندين بذلك الى قول محمد انه رأى في طريق عودته بعيراً ضل عن قافلة آتيه إلى مكة فدلهم عليه، وقال لهم: انه في الشعب. ثم قال خبراً آخر وهو انه في طريق عودته شرب من إناء قافلة كانت في طريقها إلى مكة.. ثم غطى الإناء.

-ومتى تصل هاتان القافلتان ياعداس إلى مكة؟

-يقول محمد :إنهما سوف تأتيان بعد يومين

-اذن دعنا الأن من رحلة محمد صلى الله عليه وسلم فلننتظر حتى يمر اليومان وتأتي القافلتان.

-عداس ..هاقد مر يومان على رحلة محمد.. أقصد الإسراء الذي ادعاه محمد فهل أتت القافلتان؟

-نعم. ياسيدي، واجزمتا بصدق محمد ، فالقافلة الأولى. أجزم شيخها بأن البعير ضل منهم فعلا. . وانه سمع صوتاً دون ان يرى صاحبه يدلهم عليه.. وأخبرهم انه في الشعب.. والقافلة الثانية اقسم اشياخها بأنهم وجدوا إناء الماء ناقصا ومغطى.. كما قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-عداس.. هل جننت؟ اتقول: محمد رسول الله»؟

- والله ياسيدي انه لرسول الله حقا.. وان رحلة الأسراء هذه جعلها الله له ترفيها، وتسلية له ليدخل السرور على قلبه بعد ان احزنه مالاقاه من أذى قريش ومن أذى سفهاء «ثقيف».

-لقد فتنت بمحمد ياعداس ومأراك الا انك قد صبأت.

-بل اسلمت لله رب العالمين واشهد الا إله إلا الله وان محمدا رسول الله. ■

حديقة



الوعي

إعـــداد / احمد عبدالجبار

إنَّ من الشعر لحكمة

وإذا مضى للمـــرء أعـــوامـــه
خمسون وهو إلى النهى لم يجنح
ركدت عليـه المخزيـات وقلن: قد
ســاعـــدتنـا فأقم كـذا، لا تبرح
وإذا رأى الشيطـان غـرة وجهـه
حيـا وقـال: فـديت من لم يفلح

احذر شياطين الإنس

حـذار حـذار مـن شيطـان إنس
بــــه لعب الهوى مـع شر رهط
يـــريك تملقـــاً من غير إصـــلاح
ويبـــدي للخـــداع لســان بسط
رويـــدك لا تغـر بـــه وحـــاذر
وقـوعك في فضيض هـوان سخط
فـــلا تصحب ســـوى خلّ تحلّى
بإيمان قـــــويـم ليس يخطـي
تنل عـــــزاً ومجداً واعتبـــــاراً
وربك خير فضـل منـــــه يعطي

حقود

عـديـمُ النفْعِ في الـدنيـا حَقـودُ
وتحتَ الأرضِ يَأْنـفُ منـــهُ دُودُ
فـــلا أَبْقـــاهُ في الأولى معـــافى
ولا ضَمَّتْـهُ في الأخْـرى لُـوحـودُ
حَصـادُ لسانِـــه الموبـوءِ بَحْـرٌ
علَى أمْـــواهِـــهِ جُثَثٌ تَسُـــودُ
عُبَيْـــدَ اللـــهِ إنَّ النـــارَ حَقٌّ
ستصـــلاهـــا وأنتَ لها وقُـــودُ

عمر الراكشي

يا ابن آدم.... كن لله محباً

في حديث قدسي يقول الله تعالى:
يا ابن آدم لا تخف من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً... وسلطاني لا ينفد أبداً.
يـا ابن آدم لا تخشى مـن ضيق الـرزق وخزائني ملآنة... وخزائني لا تنفد أبداً.
يا ابن آدم لا تطلب غيري وأنـا لك... فإن طلبتني وجدتني... وإن فتني فتك وفاتك الخير كله.
يـــا ابن آدم خلقت الأشيـــاء من أجلك... وخلقتك من أجلي... لا تشتغـل بما هـــو لك... عمن أنت له.
يـــا ابن آدم إن رضيـت بما قسمتـــه لك أرحت قلبـك وبـدنـك.. وكنت عنـــدي محموداً... وإن لم تـرض بما قسمته لك فـوعزتي وجـلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الـوحوش في البرية.. ثم لا يكون لك منهـا إلا ما قسمته لك... وكنت عندي مذموماً.
يا ابن آدم خلقت السموات والأرض ولم أعـي بخلقهـن.. أيعييني رغيـف عيـش أسوقه إليك.
يا ابـن آدم... لم أطالبك بعمل غـد... فلا تسألن عن رزق غـد... فأنـا لم أنس من عصاني.. فكيف بمن أطاعني..
يـا ابن آدم أنـا لك محب... فبحقي عليك كن لي محباً.

أدعية

كان آخر دعاء أبي بكـر الصديق رضي الله عنه: «اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك».
وكان آخر دعاء عمر بن الخطـاب رضي الله عنه: «اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني في غرة، ولا تجعلني مع الغافلين».
ومن دعاء عبـدالله بن مسعود رضي اللـه عنه: «اللهم وسع عليّ في الدنيا، وزهدني فيها، ولا تزوها عني، وترغبني فيها».

الصراط المستقيم

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ضرب الله مثلاً صراطـاً مستقيماً، وعن جنبتي الصراط سـوران فيهما أبواب مفتحـة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا وفوق ذلك داع يـدعو كلما هم عبـد أن يفتح شيئـاً من تلك الأبـواب، قال: ويحك لا تفتحـه فإنك إن تفتحه تلجه. ثم فسره فأخبر: أن الصراط: هو الإسـلام وأن الأبواب المفتحة: محارم الله، وأن الستور المرخـاة، حدود الله والداعي على الصراط هـو القرآن وأن الداعي فوقـه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن.

أقيموا الحق ولو ساعة

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:
«أما بعد فإن القوة في العمل ألا تـؤخر عمل اليوم إلى الغد فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلم تـدروا بأيها تأخذون وإن الأعمال مـؤداه إلى الأمير مـا أدى الأمير إلى اللـــه، فإن رتع الأمير رتعـوا وإن للناس نفـرة من سلطـانهم فأعـوذ باللـه أن تـدركني فإنها ضغائن محمـولة ودنيـا مؤثـرة وأهواء متبعـة فأقيموا الحق ولو ساعة من نهار».

وصية

روى المسعودي في «مروج الذهب» قال: لما أفضي الأمر إلى عبدالملك بن مروان، تاقت نفسه إلى محادثة الرجال والأشراف في أخبار الناس، فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبي. فلما حمل إليه ونادمه، قال له:

«يا شعبي، لا تساعدني على ما قبح، ولا ترد عليّ الخطأ في مجلسي، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية ودع عن: «كيف أصبح الأمير، وكيف أمسى» وكلمني بقدر ما استطعمك، واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني. واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول. وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنك منه شيء، وأرني فهمك من طرفك وسمعك. ولا تجهد نفسك في نظر صوابي. ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسوأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل، وإن أسوأ الناس حالاً منهم من استخف بحقهم. واعلم يا شعبي إن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويسقط حق الحرمة، فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من النطق في غير موضعه».

في الشورى

قال عبدالملك بن مروان: لأن أخطىء وقد استشرت، أحب إليّ من أصيب وقد استبددت.

الجليس الصالح

الجليس والصديق دائماً يكون الإنسان الوفي، فإن كل جليس خير ومروءة وأدب وخلق حسن كان المجالس له ممن يتصفون بهذه الصفات الطيبة والخلق الكريم، وإن كان جليس سوء وحماقة كان للجالس نصيب مما عليه جليسه

السلطان حق

قال عمير بن سعيد: الإسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الإسلام العدل وبابه الحق فإذا نقض الحائط وحطم الباب استفتح الإسلام فلا يزال منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط.. ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل.

خير الخدم

قال بهاء الدين العاملي: خير الخدم من كان كاتم السر، عادم الشر، قليل المؤونة، كثير المعونة، صموت اللسان، شكور الإحسان، حلو العبارة، دراك الإشارة، عفيف الأطراف، عديم الأتراف.

موعظة

قال الإمام مجاهد رحمه الله: يؤتى بثلاثة نفر يوم القيامة بالغني وبالمريض وبالعبد، فيقول الله للغني: ما منعك من عبادتي؟ فيقول أكثرت لي من المال فطغيت. فيؤتى بسليمان بن داود عليه السلام في ملكه فيقال للغني: كنت أنت أشد شغلاً أم هذا؟ فيقول بل هذا. فيقول له الله عز وجل إن هذا لم يمنعه شغله عن عبادتي. ثم يؤتى بالمريض فيقول الله له: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول أشغلت عليّ جسدي. فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضره فيقول الله له: أنت كنت أشد ضراً أم هذا؟ فيقول: لا بل هذا، فيقول الله له: فإن هذا لم يمنعه ضره عن عبادتي. ثم يؤتي بالعبد فيقول الله له: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: جعلت عليّ أرباباً يملكونني. فيؤتي بيوسف عليه السلام في عبوديته فيقول الله له :أكنت أشد عبودية من هذا؟ فيقول لا يا رب. فيقول الله عز وجل: فإن هذا لم يمنعه شيء عن عبادتي

حكم

عن بعض الحكماء أنه قال: من لم يخش الله لم ينج من زلة اللسان، ومن لم يخش قدومه على الله لم ينج قلبه من الحرام والشبهة، ومن لم يكن آيساً عن الخلق لم ينج من الطمع، ومن لم يكن حافظاً على عمله لم ينج من الرياء، ومن لم يستعن بالله على احتراس قلبه لم ينج من الحسد ومن لم ينظر إلى من هو أفضل منه علما وعملاً لم ينج من العجب.

إياك والكبر

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه: يا بني، إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت، والرحم الذي منه قذفت، والغذاء الذي به غذيت؟

البغي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب هو أجدر أنْ يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم».

وخرج الإمام علي (كرم الله وجهه)، بالناس للاستسقاء، فقال: إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر.

لا مناص من وقفة!!

أهم منطلق الله تعالى لحياة عباده وهو ليس ببسبسة ولا فرقعة سبحة ولا التواء على الأرض، وإنما أن يظل القلب يسبح في طائف من مراقبة الله تعالى، وتصور أنه عز وجل يطلعُ على كل غيب مجهول، وضائع مستور، وأنه لا مناص من وقفة حساب بين يدي هذا الإله العظيم على كل جناية وعصيان.

علي أحمد باكثير الأديب المسلم
نافذة على كتاباته التاريخية

آدب

التاريخ .... صفحات الأمم الناصعة المتألقة التي تحكي قصص الأيام وأحداث السنين. وتسجل المواقع والبطولات. وتحفظ السير وتحفر في أعماق الوجدان أصالة الانتماء للدين والوطن. وللأصالة والتراث. ولهذا فالتاريخ عند كل أمة جزء لا يتجزأ من كيانها وأهم دعائم وجودها. وأجلى مظاهر خصوصيتها وتفردها.

والأديب الألمعي يُبحر في أعين الشوق لقصص الأحرار. فيحولها لأعمال أدبية رائعة. قطعة جمالية فيها جمال الكلمات وفصاحتها. وتتحول الكلمات قبساً من واقع تاريخ المسلمين. ينقل رؤيتنا للكون والحياة والإنسان.(١).

أعمال تاريخية فيها كل معاني الصدق حيث تمتزج حرارة المادة التاريخية بالجمالية التي تؤصل لحقيقة موجودة وثابتة.

إنها الأعمال التي يدرك نبضاتها القارىء الجاد، ويصغي إلى همساتها الرهيفة وأحاسيس العبارات ونسماتها الناعمة. في قدرة التعبير على خلق حالة من التواصل بين الكلم والعقل والقلب.

بقلم: زكرياء بو غدارة

والقرآن الكريم حدثنا عن قصص الأقوام الغابرة. لهذا يجد قارىء القرآن نفسه دوماً أمام كتاب لا تنقضي عجائبه. وسرعان ما يتبين له أن القرآن الكريم - وحده - يستقل بظاهرة الجمال وفخامة المبنى وروعة المعنى.(٢)

وينساب الأديب بكلماته الجمالية الأخاذة بزخرف فيها كنزه التاريخي. وبالتالي يكون الانسياب المعرفي والعرفاني. ويغوص الأديب النبيه في أعماق التاريخ ليخرج درره وكنوزه وعجائبه وغرائبه. ومنسياته ومخلفاته. ثم يعرضها في قالب روائي. أو مسرحي أو أوبريت شعري تنطق بالمشاعر الجياشة التي لها صلة بهذا التاريخ.

ويقف باكثير «رحمه الله» في هرمية اللائحة التي تؤرخ لعظماء الأدباء الذين جعلوا التاريخ قبلتهم ومبعث أدبهم وانتاجهم.

لذا كانت مسرحياته ورواياته «مستمدة معظم مادتها من التاريخ العربي والثقافة الإسلامية وواقع الأمة الحضاري والتراث الإنساني الواسع».

من الغريب أننا في زمن أغفلنا تاريخنا.. بينما كان غيرنا منكباً عليه حتى أن كثيراً من أمات الكتب في التاريخ حققها وحفظها لنا المستشرقون ككتاب الكامل لابن الأثير، والطبقات الكبرى لابن سعد وغيرهما كثير.

إن أمة بلا تاريخ... جسد بلا روح. إنسان بلا عقل. أمة بلا وجدان. فؤاد بلا كيان.

ومن جميل عناية القدماء بالتاريخ أنهم كانوا يختارون ما يرونه مما يكون موافقاً للمعقول. فقد كان المؤرخ ينقل النقولات ويعالجها برؤية نقدية لتحصيح الدواخل والزيادات والإقحامات. وهذا ما كان يفعله ابن الأثير. أما ابن خلدون فقد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات.(٣)

وقد كان باكثير فيما قام به من عمل شاق ينطلق من رغبة حقيقية في تحدي أولئك الذين تنكروا لتاريخ الأمة الإسلامية والذين راقت لهم فكرة الالتحاق بالحضارة الغربية والكتابة على نسق أدبائهم. والنسج على منوالهم. وقد قام باكثير في بواكير هذا القرن بكتابة السيرة الإسلامية ليحفظ للأدب مكانته وللتاريخ مقامه. فكتب مسرحية «الشيماء» فيما يمكن أن نسميه أدب السيرة الإسلامي. وهي مسرحية تحكي سيرة أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع، فنجد ذكر خبر استرضاع حليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

ذلك اليتيم يا أمه
لا ترفضيه
طفل وسيم يا أمه
الخير فيه
خذيه يا أمه
طلقاً محياه

ويقف باكثير «رحمه الله» في هرمية اللائحة التي تؤرخ لعظماء الأدباء

أن ترحمي يتمه
يرحمك مولاه(٥)

كما تحدث عن كل الأحداث التي وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم في ضيافة حليمة السعدية رضي الله عنها:
في مشهد من عودة حليمة برسول الله يقول باكثير في أوبريت الشيماء الشيماء «تغني»:

عودوا بمال عودوا بعسجد
فحسبنا حسبنا بمحمد
المال من عندكم سينفد
وسوف يبقى لنا محمد
نحن مواليك يا محمد
بالروح نفديك يا محمد

وهكذا يمضي باكثير في هاته المسرحية الرائعة إلى أن يختمها مسكاً بإسلام هوازن وانتصار الإسلام. وانقياد العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم. ثم يمضي باكثير في كتابة روائعه وفق نواميس الكون وخصائص الإنسان المسلم ومنهج السماء بالمنهج المتفرد... وواقع الأرض. وهكذا تكون مسرحيات باكثير مستقرة في شعور الإنسان المسلم بخصائصها المتفردة وعلاقتها بالإسلام. حتى أن بعض كتاباته تشكل ظاهرة تنبئية لما قد يحدث من خلال مفتاح التاريخ وقد تنبأ باكثير بسقوط المعسكر الشرقي الملحد وهو في عز أوجه وطغيانه وعنفوانه ثم فعل نفس الشيء مع المعسكر الغربي الرأسمالي وتنبأ بسقوطه. كما راهن على انتصار الإسلام باعتباره الحل الأمثل لكل قضايا الكون والحياة والإنسان، كل هذا صاغه في روايته الرائعة «الثائر الأحمر» من خلال المشروع القرمطي.(٦)

يكتب باكثير عن عهد الصحابة .. لينقل صوراً عن هذا الزمان الجميل. بجماله الذي لا ينفد. ينقل صورة الإنسان المسلم الذي يرتقي في إدراك جمال الحق وروعة الانتماء للمبادىء والقيم. ليكون بأخلاقياته نمطاً متفرداً من البشر.

مسرحياته القصيرة في هذا النوع من السيرة تكشف النقاب عن عمق تأثر باكثير



بالبيئة الإسلامية. بالتصور الإسلامي وخصائصه، وبالمنهج الإلهي في تزكية الأنفس. وإليكم أنموذجاً من مسرحيته القصيرة «من فوق سبع سموات» تلك المسرحية الأخلاقية الإسلامية التي تعتبر مدرسة في منهج القيم حيث عالج بتصور إسلامي منطق الطمع والجشع من شخصية «ثعلبة» الذي كان كثير السؤال والإلحاح وانتهى به المطاف إلى جشع أفضى به لمنع الزكاة.

تروي كتب السيرة قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري. الذي نزلت في حقه آية الوعيد (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) التوبة ـ ٧٥، ٧٦ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه».

وحوّر باكثير تغلب هوى المال على ثعلبه حتى توارى عن العيون وانقطع عن الصلاة وراء الرسول صلى الله عليه وسلم.

إنها صورة زاهية لعصر النبوة بما فيه من خير وشر حيث تنتصر الفضيلة على الدوام.

وننظر لحسن اختيار باكثير للمواضيع من خلال مسرحية «هلك المتنطعون» والتي خلاصتها ما أورده صاحب صفة الصفوة

> كان باكثير فيما قام به من عمل شاق ينطلق من رغبة حقيقية في تحدي أولئك الذين تنكروا لتاريخ الأمة الإسلامية

في كتـابه حيث يقـول: «عن أبي جحيفـة قـال: آخى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بين سلمان وأبي الـدرداء. فـزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال لها: ما شأنكم؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست لـه حاجـة في الدنيـا. قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب طعاماً.

فقال: كل فإني صـائم. قال سلمان: «ما أنـا بآكل حتى تـأكل. قال: فأكـل. فلما كان الليل ذهب أبـو الدرداء ليقوم الليل. قال له سلمان: نم. فنـام. ثم ذهب ليقوم «مرة أخرى» فقال سلمان: نم. فنام. فلما كان آخـر الليل قال لـه سلمان: قم الآن. فقـامـا فصليا. فــقال «سلـمان: إن لنفسك عليك حقــاً. فــاعط كل ذي حق حقه».

فأتيا النبي صلى اللـه عليه وسلم فـذكرا ذلك لـه. فقـــال: صـدق سلمان «انفـرد بإخراجه البخاري».

إن أول ما يعني المهنـدس مكان الأساس ومخطط البناء. ومن هـذا الحديث أخرج لنا بـاكثير مسرحية رائعـة عالجت هـذه القضيـة العظيمـة «التطـرف في الـدين» وهجران الأهل بدعـوى التعبد والتنسك. فكانت مسرحيـة عالج فيها بالتقـدير ما قيـد هذا الـرجل .. حيث أراد بـاكثير من خلالها أن يرينا كيف نؤدي واجباتنا أمام الله والعباد. إنما قضية الحياة والإنسان شيئان مترابطان. وقد شمر باكثير رحمه الله عن ساعـد الجد وخاض غمار تجربة صعبـة نـذر لها نفسه. فكـانت روائعـه عظيمة.

فلنلق نظرة على مسرحـة «الأسير الكريم خبيب بن عـدي» تـأليف بـاكثير أولاً ثم نـرجع للنص في السيرة وسير الـرجـال، يرويـه ابن الجوزي رحمه اللـه في صفة الصفوة.(٩)

روى البخاري من حديث أبي هريرة قال: بعث رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلم عاصم بن ثابت. حتى إذا كانوابالهدة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يُقال لهم بنو لحيـان فنفروا إليهـم بما يقارب من مئة رجـل رام فاقتصوا آثـارهم حتى وجـدوا مأكلهم التمـر في منزل نـزلـوه. فقالوا: انزلوا فاعطوا بأيديكم ولكن العهد والميثـاق. أن لا نقتل منكم أحــداً. فقـال عاصـم: أما أنـا فلا أنـزل في ذمة كـافر. اللهم أخبر عنـا نبيك. فرمـوهـم بـالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الـدثنـة ورجل آخـر. فلما استمكنـوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر فوالله لا أصحبكم إن لي في هـؤلاء أسـوة يريـد القتلى فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه. وانطلقوا بخبيب وزيـد بن الدثنة حتى بـاعـوهما في مكة بع دوقعـة بـدر. فـابتاع بنـو الحارث بن عـامر بن نـوفل خبيباً. وكان خبيب هـو قاتل الحارث بن عامر يوم بدر. فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعـوا على قتلـه. فـاستعـار من بعض بنـات الحارث موسـاً يستحد بها. فأعـارتـه فخرج بني للماء وهي غـافلـة حتى أتـاه فوجـدتـه مجلسه على فخـذه والموس بيده. قالت: ففزعت فـزعة عرفها خبيب. فقـال: أتخشين أن أقتله. مـا كنت لأفعل ذلك. قال: واللـه ما رأيت أسيراً قط خير من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده وأنـه لموثق بالحديد وما في مكـة من ثمره. وكانت تقـول «إنه لرزق رزقه الله خبيباً فلما خرجوا به من الحرم. ليقتلوه في الحل. قـال لهم خبيب: دعـوني أصلي ركعتين. فـركع ركعتين. وقـال: والله لـولا أن تحسبوا أن مـا بي جذعاً لزدت. اللهم احصهم عدداً واقتلهم بيداً ولا تبق منهم أحداً. وقال:

ولست أبـــالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإلــــه وإن يشـأ
يبـارك على أوصـال شلـو ممـزع

كل تلك الــوقـائع تطـرق لها بـاكثير في مسرحيته وريقـات تعكس النـور وحلاوة الشهـادة بإسلام مـن أسروه للانتقـام.. لكن عدالـة الإسلام تنتصر. وتنتصر رغبة الفـداء عنــد خبيب بحفظ الآخـــرين باستشهاده رحمه الله. أولئك القوم كانوا يمشون في الأرض مرضياً عنهم... رحمهم الله.

فما أحـوجنـا لكتـابـات تحرك فينـا تلك العلاقة الرائعة بين سير الصحابة المجمدة في بطون الكتب. ومـا أحوجنـا لأن نحرك واقع أدبنـا الإسلامـي ومسرحنا الملتـزم المتزن.

ما أحوجنا لأن نحرك أقـوالنا وتحليلاتنا ودراساتنا.

ليبقى التاريخ المحبر نافذة لنا على التاريخ الذي نصنعه نحن بالتـزامنا بما كان عليه القوم رضي الله عنهم. ■

بعض كتاباته تشكل ظاهرة تنبئية لما قد يحدث من خلال مفتاح التاريخ

الهوامش

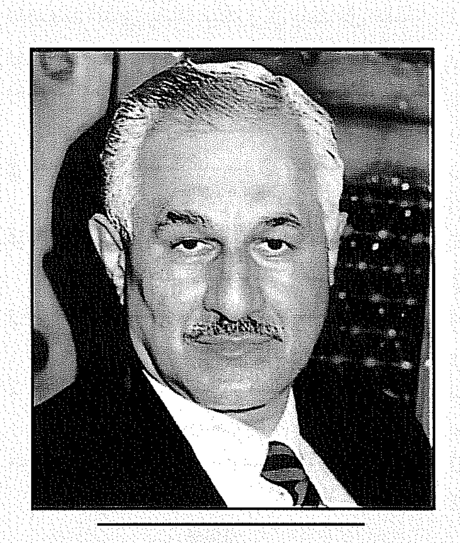
١ ـ الظاهرة الجماليـة في الإسلام الطبعة الأولى، دمشق. صالح أحمد الشامي.
٢ ـ المصدر السابق.
ومقال الأستاذ محمد حسين بريغش حول الكتاب مجلة البيان اللندنية عدد ٧٢.
٣ ــ الكامل لابـن الأثير. دار الفكر ــ دار حادر المقدمة.
٤ ـ مسرحيـة الشيماء شاديـة الإسلام ـ علي أحمد باكثير الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٥ ـ مقال محمد حلمي قاعود حول رواية الثـائر الأحمر. مجلــة جـامعــة الإمـام سعود... ١٩٩١.
٦ ـ (آيـة وقصة) قصة ثعلبـة عباس علي الموسوي. دار المحجة ـ بيروت ـ لبنان.
٧ ــ صفـة الصفـوة الجزء الأول المجلـد الأول لابن الجوزي ص ٢٣٣ (مـؤسسـة الكتب العلمية).
(باب ذكر غزارة علم سلمان الفارسي).
٨ ــ صفـة الصفـوة لابن الجوزي الجزء الأول المجلد الأول ص ١٧٣ ــ مؤسسـة الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
٩ ـ المصدر السابق.

(٢-٢)

الغربة في شعر عمر بهاء الدين الأميري

تحدث الدكتور جابر قميحة في بحثه عن «الغربة في شعر عمر بهاء الدين الاميري» في القسم الاول من هذه الدراسة الذي تم عرضه في العدد السابق (٣٧٠) تحدث كيف ان شعر الاغتراب لونا واضح القسمات في ادبنا العربي الحديث مثل شعر الغزل وشعر المديح وشعر الفخر، بل لعله يتميز بملامح قلما اكتملت في لون من الالوان لاخرى - موضحا - مفهوم الغربة الروحية التي يستشعرها الانسان حتى وهو في وطنه وبين اهله، وغالبا نجد هذا الشعور عند اصحاب المبادىء والمثاليات الذين ما يرفضون كثيرا الاوضاع الاجتماعية والسياسية في اوطانهم.

وقد قدمت الدراسة في قسمها الاول خطوطا عن حياة الشاعر، ومفهوم وتطور القصيدة «الغربة عند الاميري» وقد خلص الشاعر الباحث الى توتر مع القصيدة الغربة عند الامير على ثلاث مراحل زمنية متتابعة، كان لها في كل مرحلة شخصيتها الفنية المتميزة.. وملامحها وابعادها الفارقة، مع الاعتراف طبعا بنقاط التلاقي - ففي المرحلة الاولى قصيدة الغربة الحنين، وفي المرحلة الثانية كانت قصيدة الغربة المزيج، وفي المرحلة الثالثة كانت قيدة الغربة الروحية، وفي القسم الثاني من الدراسة وقف الدكتور جابر قميحة وقفة نقدية للملامح الفكرية والفنية للقصيدة في شعر الاميري ثم قدم جديد الاميري في شعر الغربة..



بقلم الدكتور : جابر قميحة

الملامح الفكرية والفنية
(وقفة نقدية)

والقصيدة في شعر الأميري مضمار متكامل متلاحم العناصر والأجزاء، تترابط فيه الأفكار والصور لتدخل جزئيات منصهرة متناسقة.. في اللوحة الأم: القصيدة.

> الأميري ظل حريصا على أن يصدر أغلب قصائده بمقدمات تشرح الظروف التي نظمت فيها

وفي إيجاز شديد سنحاول أن نستخلص الأبعاد الفكرية والملامح الفنية لقصائد الغربة عند الأميري:

وقصيدة الغربة في صورتها النموذجية عند الأميري تبرز المضامين أو الحالات الآتية:

١- حالة الأهل وشدة اشتياقه إليهم - والأهل عنده - على سبيل الحصر - يشملون: الأم والأب والأبناء وخصوصا «البراء» والبينات وخصوصا «غراء» والأحفاد والحفيدات.

٣- حالة الأمة الإسلامية في حاضرها المتفتت المزق الأليم، وحالة الضعف التي أصابت المسلمين بسبب تفريطهم في دينهم.

٣- استدعاء الصور المجيدة الزاهية للعرب والمسلمين الأوائل لتكون حافزا للنهوض والتقدم.

٤- ختام القصيدة - غالبا - بالنزوع إلى الله، وإظهار الثقة به، والأمل في نصره.

***

فعاطفة الشاعر - في قصيدة الغربة تبدأ المسار وتواصله ملتاعة تعبر عن وجدان معذب، وقلب ينزف ألما، وأوجاعا، ولكنه لا ينتهي محطما مستسلما، بل تخف حدة الألم رويدا رويدا، لينتهي هذا التمزق النفسي إلى أمل مشرق، وتطلع إلى مستقبل مضيء.

***

وتلتحم أفكار الشاعر بعاطفته فلا تساق جافة مجددة، بل ترد مصبوغة بانفعالاته الصادقة بلا إسراف أو شطط. وذلك نابع

من واقعية حقيقية في معايشة الشاعر لتجربته، فهو «لا يرتدي مسوح الرهبان ليقف واعظا ومرشدا بأسلوب الأمر والنهي الجاف، بل إنه في شعره يبدو إنسانا ككل الناس له غرائزه وميوله، وفيه نقاط الضعف المركبة في كل نفس بشرية»(٣١).

وهذا الحكم يصدق أيضا على خيال الشاعر، فهو «خيال وسطي» ان صح هذا التعبير: فلا هو بالخيال الشارد المشتط، المغرق في المبالغة، ولا هو بالخيال الدارج المقصوص الجناحين... بل هو خيال محلّق حقا، ولكنه لا يغرب بعيدا عن أرض الناس **إلى متاهات الفضاء البعيد.**

وإني والسبعون تلوي أعنتي
أعيش كينبوع حبيس بلا مجرى
بمنعزل هدر المحيط يلفه
شواطئه صخر. وقد أشبه الصخرا(٣٢)

وكثيرا مايستخدم الشاعر ظاهرة التجسيم التشخيصي — على عادة الشعراء الرومانسيين. كهذه الصورة الجديدة المبتكرة:

وحيدا مع الذكرى أكابد غربتي
وتنثرني نثرا وأنظمها شعرا(٣٣)

ومما يساعد على قوة تأثير الصورة السابقة: ما فيها من مقابلة بين «النثر» و«النظم» وهما «عمليتان متقابلتان تعتمدان على المفارقة الفادحة بين عمل ينم على الظلم والجحود، وعمل يدل على الوفاء وقدره التحمل، وشتان من ينتثر ويحطم ويفتت، ومن ينظم ويجبر ويجمع.

والأمثلة — في قصائد الغربة — على المفارقة أكثر من أن تحصى، نكتفي منها بهاتين الصورتين المتقابلتين المتتابعتين، من قصيدة (عزيز في الأغلال) التي نظمها الشاعر في صنعاء سنة ١٤٠٨هـ.

ويلي أنا ابن الأكرمين وكم وعى ورعى زمانه
المؤمن الشهم الأبي الضيم من حطم القيود
ويلي أأخنع في صفاد الذل أحيا في مهانه
وينال، بل يغتال عزة أمتي بغي اليهود(٣٤)

وقد يقترب الشاعر في خياله — إلى أبعد حد — من الواقع، حتى يعتقد المرء أنه لا خيال. ومع ذلك تكون الصورة آسرة آخاذة. ومن منا يستطيع أن يملك نفسه من الإعجاب أمام هذه «اللوحة المتحركة» التي جمعت في براعة تشبه — الإعجاز — بين الحركة الحسية والحركة النفسية للأطفال الإخوة الذين يتشاجرون في غيبة أبيهم، فإذا ما ظهر أمامهم فجأة، تحولوا في هدوئهم ومسالمتهم إلى ملائكة طيبين خوف عقاب الأب، حتى إذا اكتشف الحقيقة، وعاقب أحدهم تدخل «أولاد الحلال» لاستعادة عطف الأب ورضاه، وغالبا ما يكون الوسيط هو الأم بقلبها الرؤوم الكبير. إنه المشهد الذي يكاد يتكرر في بيت كل منا يوميا. يقول الشاعر.(٣٥)

يتخاصمون على التوافه لا زجر يردهم ولا كلل
في غيبتي يتشاكسون.. وقد يتشاجرون، وربما اقتتلوا
فإذا ظهرت أمام أعينهم عادوا ملائكة، وماملهوا
وعلى ثيابهم دلائل.. ما فتكوا، وما هتكوا، وما فعلوا
لا يخلجون لزلة عظمت فإذا نظرت إليهم خجلوا
حتى إذا عاقبت جائرهم تأتي وتذهب بيننا الرسل

***

أحب أن أنوه هنا أن الأميري ظل حريصا على أن يصدر أغلب قصائده بمقدمات تشرح الظروف التي نظمت فيها، والملابسات التي أحاطت بها. ويطول نفسه في بعض هذه المقدمات، وتتوهج عاطفته، فإذا بها قصيدة أخرى لا ينقصها إلا الوزن والقافية، بل إنها لا تعدم القافية أحيانا، كما تقترب من الوزن الشعري إلى حد بعيد، حتى أنها تصلح — بشيء من التعديل البسيط — أن تصبح قصيدة من «قصائد التفعيلة».

وإذا كان دعاة مايسمى «بقصيدة النثر» يصرون على دعواهم، فإني — مجاورة لهم — أحيلهم إلى هذا (النثر الشعري)، فهو أقرب إلى الشعر — بروحه ولفظه وخياله — مما يدعون.

ولننظر إلى هذ الانموذج «النثري الشعري» الحي الذي اقتطفناه من أربعين صفحة صدر بها الأميري ديوانه (ألوان طيف):

مضت شهور أربعون
تداولتني أكف الزمان
بين الآلام وآمال..
وحل.. وترحال..
بلاد متباعدة في أرجاء الأرض..
رحلات.. ومؤتمرات في الشرق والغرب.
أدور.. في سجن الحياة الكبير..
ثم أعود.. إلى سجني الصغير..
في «حلب»!!!
أحوال... أهوال... انقلابات..
وحدة... وانفصال...
نصر من الله وفتح مبين.. في «الجزائر»
حرب، في «اليمن» ضروس..
أحباب وليدة.. ومبادىء جديدة
قلق.. بين الشعارات وفحواها.
وفي شكل الحقيقة.. ومحتواها!!
وفي المهب..
شاعر حر.. أبي..
في قلبه مصائب أمته
في روحه أمانة إنسانيته
في جسمه نزعات ترابيته..
في رأسه.. طموح ومجد..
في عينيه جمال وهوى..
وفي شعره نار.. ونور
قبسة من هنا...
وشعاع من هناك..
كيان.. يتفاعل مع الأكوان
في شغب.. ولغب!!(٣٦)

***

تصدير القصيدة الشعرية بمقدمة أو «نثيرة» شاعرية يعتبر لازمة أسلوبية ومنحا فنيا عند الأميري لا يكاد يتخلف أبدا، وهي تعيش نفس الجو الذي تسبح فيه القصيدة. ولا شك أن هذه «النثيرة» تهيىء النفس والفكر لولوج عالم القصيدة، ولكن يمكن أن يعاب هذا المنحى. وخصوصا إذا

تصدير القصيدة الشعرية بمقدمة أو «نثيرة» شاعرية يعتبر لازمة أسلوبية ومنحا فنيا عند الأميري

كانت النثيرة طويلة مفصلة ـ أنها تحد من النشاط الفكري والنفسي للقارىء وتوفر عليه طاقة كان يجب أن يوظفها في التعامل مع القصيدة ذاتها لأنها تمنحه كثيرا من أسرارها مقدما، وتلقى ضوءا مكثفا على مناطق «التعبير الغامض» منها قبل أن يخطو خطوته الأولى إلى عالمها.

***

أما الشكل أو القالب الشعري فيتراوح بين القصيدة الخليلية ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة، والقصيدة المتعددة المقطوعات، وهي غالبا تلتزم الوزن الواحد في كل المقطوعات مع اختلاف المقطوعات في قافيتها من مقطوعة إلى أخرى.

ولم يستخدم الأميري شعر التفعيلة، وإن رتب قصائده على طريقة السطر الشعري شأنه الشعر الحر، أو شعر التفعيلة، كما نرى في أغلب قصائد ديوانه «حجارة من سجيل».(٣٧)

ويميل الأميري إلى استخدام بحور معينة تكثر في شعره مثل: المتقارب والخفيف ومجزوء الكامل ومجزوء الرمل. وقل أن يستخدم بحرين في قصيدة واحدة، كما نرى في قصيدته (رحى)(٣٨). فالقصيدة كلها من المتقارب، ماعدا الأزمة كررت في تضاعيف القصيدة أربع مرات. وهي من مجزوء الرمل. ونصها:

ما الذي أصنع يا ربى
فقد حار... اختياري
أنا في هم اصطفاء
الدرب ليلي... ونهاري

***

ونرى كثيرا من النقاد يخلعون على كل بحر أبعادا معنوية ونفسية وإيحائية يختص بها دون البحور الأخرى، فالكامل مثلا في نظرهم له نغمة خطابية وحلاوة إنشاد، والرمل له رقة وعذوبة ونغم خفيف مطاوع يحلو لك ترديده والترنم به خصوصا إذ كان الشعر في الصبابة والوجد والحرقة، والمتقارب له طاقته الإيحائية القادرة على ثقل المشاعر والانفعالات بحيث يسهل عليك غناؤه، والبسيط فيه شيء من الإنكسار، وهدوء النفس ولا سيما إذا كان الموضوع عن الحزن والتحسر والفراق...الخ.(٣٩)

ومثل هذه الأحكام ـ في نظرنا ـ تنطوي على مبالغة وتهويل يسقطها من الناحية العملية للأسباب الآتية:

١ـ أن الخلوص إليها جاء من النظر إلى بعض القصائد، فهي ملامح مستخلصة من القصيدة لا البحر، لأن البحر لذاته لا يمكن أن يعكس هذه الصفات.

٢ـ وحتى على الاعتبار السابق يقوم الحكم على استقراء ناقص: فغرض شعري كالحماسة مثلا ـ وهو غرض يعتمد في شكله على القوة والجزالة ـ استغرق على مدار التاريخ العربي أغلب بحور الشعر. فجاء عند المتنبي على الطويل في ميميته المشهورة التي يقول فيها:

أتـوك يجرون الحديـد كأنهم
سرو بجياد مـالهن قـوائم

وجاءت حماسية عمرو بن كلثوم على البحر الوافي والتي يقول فيها:

ألا لايجهلن أحـد علينـا
فنجهل فـوق جهل الجاهلينـا

وجاءت حماسية عنترة على الكامل، وفيها يقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى
وبيض الهنـد تقطـر مـن دمي

وجاءت بائية أبى تمام المشهورة على البسيط....الخ

٣ـ والشاعر المطبوع لا يضع البحر نصب عينيه لينسج عليه قصيدته، إنما تتم عملية الابداع الفني في غيبة البحر الذي يمكن أن «توزن» به القصيدة بعد تمام عملية «الميلاد الفني للقصيدة»، فالمطبوع من الشعراء ـ كما يقول ابن رشيق. مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها.. والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك يعينه على مايحاوله من هذا الشأن.(٤٠)

> الشاعر المطبوع لا يضع البحر نصب عينيه لينسج عليه قصيدته

وماقلناه عن البحور نقوله كذلك عن القافية، فليس هناك حرف من حروف الروى له «خصوصية ذاتية مطلقة»! كالقول مثلا بأن حروفا كالميم والراء والسين هي أنسب الحروف رويا للغزل وصف الطبيعة، وحروفها كالقاف والصاد والضاد هي الأنسب للحسانة والهجاء.

وواقع الشعر العربي ـ كذلك ـ ينقض هذا الادعاء، فالميم مثلا كانت قافية أرق قصيدة للبحتري في وصف الربيع وهي التي مطلعها:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كـاد أن يتكلما

وكانت احرف الروي في القصيدة من أقوى قصائد المتنبى في الحماسة والتي مطلعها:

على قدر أهل العـزم تأتي العزائم
وتأتي على قـدر الكـرام المكارم

***

ونخلص من هذا الاستطراد إلى أن الشاعر ـ أي شاعر لا يعيبه ألا ينظم في كل البحور أو أغلبها، وأن تتردد في شعره حروف روى معينة أكثر من غيرها. فالعبرة بالمعاجة الفنية وصدق الانفعال وجمالية الأداء.

ولكن الجدير بالتقدير حقا ـ وهو من جديد العصر الحديث «قصيدة الغربة الحوارية» في شعر الأميري. وهي تختلف عن قصائده التصويرية في أنها تعتمد على الحوار من أولها إلى أخرها، وحظها الأساسي من الحركة النفسية يربطها بخيط درامي يتصاعد من البسيط إلى التعقيد أو التأزيم الفني وصولا إلى لحظة التنوير التي تتمثل في استعادة الثقة بالله والتسليم له في ظل من السلام والطمأنينة والانتصار على نوازع الدنيا.

ونجد أصلا باكرا لهذا اللون الدرامي في قصيدة (مع روح أمي)(٤١) التي نظمها الشاعر سنة١٣٨٢هـ، بعد موت أمه التي كان يحبها حبا ملك عليه كل حياته ومشاعره، وفيها يجرى حوارا بينه وبين طيف أمه الذي هبط إليه مع لمعان البرق، ويكشف لها الشاعر عن أحزانه العميقة لفراقها. ولكنها بحديثها الذي يتدفق إيمانا تعيد إليه الطمأنينة والسلام بصفة موقتة لأن السعادة الأبدية لا تكون إلا في الدار

الباقية.

وإذا كان الحوار في هذه القصيدة لا يتعدى مضامين الموروث الغديني ثم تنتقل إلى قصيدة (رحى)(٤٢) التي نظمها في جدة في المحرم من سنة ١٣٨٥هـ فنراها أكثر نضجا ودرامية، وهي تمثل صراعا نفسيا مستقرا يتمثل بين نازع يدفعه إلى الإقدام، ونازع يشده إلى الإحجام، ولكل نازع أدلته وحيثياته التي تتمثل في حوار داخلي حي متتابع: فنازع الإحجام يذكره بأهله وأبنائه الذي يحتاجون إليه، ويرون أن حياتهم في سلامته، ويحاول هذا النازع أن يقنعه بعبثية الجهاد ضد طغاة أقوياء

. في شعوب فرطت في أمرها عن رضاها:

حذار.. ولا تدع العاذلين

يقولون.. حر تخطى نهاه

تلبث فأمرك أمر خطير

وداء بلادك يعيى الأساه

ويحاول هذا الصوت أن يقنعه في النهاية بأن «العبادة» تجزئه عن أعباء الجهاد. ولكن «صوت الإقدام» يصيح في أعماقه بأن العبادة لا قيمة لها عند صاحب دنيا تناسى جهادة:

وماذا حياة امرىء خانع

يروح ويغدو يجود زاده

هو الحب في القلب. والخير للناس

والسعى لله سر السعادة

ومع أن السياق يوحي بأن الشاعر يستجيب أكثر للصوت الثاني، فإننا نراه ينهى هذه الدرامية، والستار مفتوح، بلا قرار حاسم فيكرر لازمة القصيدة للمرة الرابعة والأخيرة.

ما الذي أصنع ياربى

فقد حار.. اختياري؟

أنا في هم.. اصطفاء

الدرب.. ليلى ونهاري

ولاشك أن إنهاء القصيدة بهذه الصورة يعد نقطة ضعف فيها، وخصوصا أن «صوت الإقدام» كان أعلى نبرة وأقوى حجة. فكيف لم يقتنع به الشاعر؟ وفي القصيدة - بهذه النهاية - خروج على الصيرورة المطردة لقصيدة الغربة، فهي تنتهي إلى الانتصار على النوازع الدنيا والشعور العميق أن حياة الشاعر كانت تطبيقا عمليا للمنهج الجهادي الذي لا يتوقف.. ولا يلين.

ولكن حوارية (غريب)(٤٣). كان حظ العقل فيها أقوى من حظ العاطفة، وفيها يبدو الأميري «محاميا» مدافعا عن نفسه ما يلصقه به أعداؤه.. أو بتعبير أدق - أعداء القيم التي يؤمن بها - من تهم ونقائص. والحوار هنا يمضي سريعا متدافعا.. متناسبا مع طبيعة الموقف.

- قالوا نفته الأرض مذ

عشق السما، والذنب ذنبه

لا الشرق - منبته - له

شرق، وليس الغرب غربه

لا يستجيب له.. انتماء

كونه.. قد ضاق.. رحبه

- قصرت مداركهم. وراء

الأرض يربض ثم شهبه

يرقى المعارج من.. ذراه

يسير والأفلاك.. ركبه

- قالوا: غريب...

- بورك...

الغرباء، للغرباء.. حبه

هي غربة الأحرار.. في

ملكوتها.. يرتاح قلبه

***

قالوا... وقيل.. ولا يني

يسعى، وعند الله غيبه

فالله أعلم ما.. يخبىء

في غد.. للعبد.. ربه

***

أما أطرف قصائده الحوارية وأمتعها - على الإطلاق فهي قصيدة (بين القلب والعقل)(٤٤): فقلبه يدعوه إلى أن ينظم قصائده في الهواء، فإن الإنسان لا قيمة له دون حب، ولكن عقله يطالبه أن يبقى على شعر الجهاد «فإنه الشعر الجدير الهادف».

***

ويتخيل الشاعر «جنانه» مخلوقا ثالثا هو مزيج من القلب والعقل ينهى الخصام بالحكم.. أو بالتوجيه الآتي:

زد في نجاوى الحب ماشئت وصغ

كل الذي جيّشت به العواطف

واشد الجهاد الحق.. خلد مجده

وثر على الظلم، وما.. يقارف

وارم العدا بحمم.. مرددا

قصائداً.. كأنها القذائف

فأنت إنسان بقلب.. وحجا

وأنت - مذ كنت - التليد الطارف

حسبك أن تبقى على عزم التقى

تحفك الآلاء.. واللطائف

تراقب الله - وإن أذنبت - لا

تجحد حق الله أو تجانف

تسأله غفرانه عن لمم..

يأتيك، أو تأتيه، أو تصادف

وفي النهاية نسجل للشاعر وضوح لغته وبعده عن الإغراب - إلا ما ندر. كما نسجل له كثرة دوران الكلمات والتراكيب القرآنية وبخاصة في قصائد الوجد والعشق النبوي في «نجاوى محمدية» وفي قصائد الغربة الروحية، وهذا طبعي بالنسبة لشاعر تربى في بيت دين وعلم، ورصد نفسه للجهاد ضاربا في فجاج الأرض وعلى كاهله وفي قلبه هموم المسلمين وآلامهم.

وكلمات الأميري - زيادة على أدائها وظيفتها الوضعية تحمل من الإيحاء الكثير والكثير وتختلف رقة وصفاء وقوة وجزالة باختلاف المعنى الذي يعالجه، ويؤدي جرس الكلمات مهمة رئيسية في هذا الإيحاء.(٤٦) وإن كنت آخذاً على أسلوبه النزول أحيانا إلى مستوى الأداء الدارج. كما أن المعجم اللفظي للشاعر كان في حاجة إلى رحابة وسعة.(٤٧)

جديد الأميري في شعر الغربة

وبعد هذه المسيرة التي طالت إلى حد ما.. من حقنا ومن حق المتلقين أن يسألوا: وما الجديد في كل أولئك؟ وما الإضافات التي قدمها عمر الأميري لشعر الغربة؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال أجد لزاما عليَّ أن أقرر أن «الجديد» — وبخاصة في مجال العلوم الإنسانية ومنها الأدب لا يعني إنشاء من العدم، أو البدء في فراغ. ومن ثم

كان الأميري التجسيد الحي للقيم التي طرحها وتبناها في شعره

يدخل في الجديد أي إضافة تمثل خدمة أو إنماء حقيقيا للفكر والثقافة والأدب..
فـمن الجديد مثـلا أن يهتدي المفكر إلى موجـود تائه ويلقى الضوء على غـائم خفى، ويزيل الغبـار عن غـائب دفين.
ومن الجديد جمع أشتات متناثرة وأوصال متفرقة في بناء عضوى متكامل متلاحم.
ومن الجديد رد شبهات كان لها رسوخ، وتثبيت حق عاش مجهولا منكورا من أهله وغير أهله.
ومن الجديد تأصيل ما اعتقد — عن غير حق ـ أنه طارىء عارض غريب قلما يلتفت إليه أحد.
ومن الجديد: معارضة المتشابهات أو المتباينات بعضها على بعضها الآخر على سبيل الموازنة الجادة خلوصا إلى الحقيقة العلمية بلا زيف أو هوى أو افتعال.

وفي ضوء هذا المفهوم الحق للجديد نستطيع أن نقول إن الأميري قدم — في مجال شعر الغربة الكثير والكثير ومن ذلك:
١- انه قدم للعربية ـ ربما لأول مرة ـ ديوانا خاصا للأطفال كله في شعر الغربة وهو ديوان «رياحين الجنة».
٢- ان قصيدة الغربة عنده ـ كما فصلنا ـ كانت واسعة الأرجاء.. تدب على رقعة رحيبة.. وتحلق في آفاق متعددة فلم تتوقف عند الحنين.. وإن كان الحنين لونا من ألوانها.
٣- أنه استطاع بشاعرية ناضجة ـ وخصوصا في قصائد الغربة الروحية أن يخلق توازنا دقيقا بارعا بين الطوابع والاتجاهات والقيم الصوفية وبين الواقع المعيشي فقدم ما يمكن أن نسميه المثالية الفنية الواقعية.
٤- أنه نجح في توظيف الحركة النفسية وأعطاها خطها الأوفى في قصيدة الغربة الروحية، ومنحها أبعادا جديدة ارتكازا على منطق عقلي سديد ومنطق وجداني إيماني جليل.
٥- أنه استطاع أن يوفق بين منطق الصدق الفني ومنطق الصدق الخلقي: فهو لم يغرب، ولم يسرف في خياله ولم يزف مشاعره، فقد كان صادقا مع نفسه وغيره وربه في سلوكه وجهاده وهذا هو الصدق الخلقي، فلم يقع انفصام عنده بين (الصدقين)، بل تلاحما وتمازجا، وكأنهما لون واحد يمكن تسميته بالصدق الفني الخلقي حيث امتزج فيه صوت الفن بصوت الفطرة الربانية الإيمانية.
٦- أنه برع في توظيف الحوار في قصيدة الغربة الروحية بصفة خاصة، فنظم مطولات كاملة تعتمد كل منها اعتمادا كليا على الحوار.
ولو أنه استرسل في هذا الاتجاه لاستطاع أن يقدم أعمالا تمثيلية درامية تفتقر إليها المكتبة العربية.
٧- وأخيرا إنه هو في نفسه كان التجسيد الحي للقيم التي طرحها وتبناها في شعره فعاش يؤدي رسالته الإيمانية مجاهداً بجهده وشعره في فجاج الأرض.. إلى أن لقى ربه.. على فراشه. ■

نظم الاميري مطولات كاملة تعتمد كل منها اعتمادا كليا على الحوار

الهوامش

٣١- عبدالرحمن الإرياني: من دراسة له ملحقة في ديوان (مع الله) للأميري.
٣٢- الأميري: نجاوي محمدية٢٩١ (من قصيدة: مع الذكرى: «آهات وإهابا» وقد نظمها الشاعر في هرهورة بالمغرب١٤٠٤).
٣٣- السابق ٢٩٠.
٣٤- الأميري: ديوان: حجارة من سجيل ٩٤.
٣٥- ديوان: أب: ٨٤.
٣٦- ألوان طيف ٣٣-٣٥
٣٧- يلاحظ أن الأميري — رحمه الله ـ كان يحرص حرصا شديدا على أن يكتب قصائده بخطة الجميل، لا بحروف الطابعة، وذلك حرصا منه على تفادي أخطاء الطابعة أو جامعة الحروف الآلية. كما نلاحظ أنه يرتب شعره في أغلب دواوينه على أساس الشطور المتتابعة في عمود واحد يتوسط الصفحة (فالبيت الواحد يكتب على سطرين).
ولعل ذلك كان يسهل له اكتشاف الخطأ فيعالجه، كما أنه أقرب إلى جماليات الفن التشكيلي التي حرص الشاعر عليها فكان يزين صفحاته برسومات من عمله، وعلى إخراج دواوينه إخراجا جماليا رائعا، خصوصا ديوانيه: مع الله، وألوان طيف، اللذين لم يفقهما في جمال الإخراج وروعته إلا ديوانه الضخم «نجاوي محمدية».
٣٩- انظر في ذلك: د.ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر ص١٤ ومابعدها.
٤٠- العمدة ١/ ١٣٤.
٤١- ديوان أمى ١٨٤.
٤٢- ديوان الزحف المقدس٦٩.
٤٣- ديوان: قلب ورب١٢١ (وقد نظمها الشاعر في شاطىء الهرهورة في المغرب في ٢٢من ربيع الثاني١٤٠٧: ٢٥ من نوفمبر١٩٨٦).
٤٤- قلب ورب ١٦٥ (وقد نظمها في مكة المكرمة سنة١٤٠٨).
٤٥- الجنان (بفتح الجيم): لغة هو القلب، وهو من كل شيء جوفه (مختار الصحاح والمصباح المنير. (مادة: جنن).
٤٦- يقول ابن الأثير في المثل السائر «اعلم أن الألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص من ذوي دماثة ولين أخلاق، ولطافة مزاج، ولهذا ترى ألفاظ إلى تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم.
واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مسبغات، وقد تحلين بأصناف الحلى.
٤٧- أرجأنا التفصيل في هذا الجانب إلى الفصل الشامل في الكتاب الذي نعده عن الشاعر.

ثمرات الأفكار

إعداد محمد هاني

القرارات الدولية عن فلسطين

أصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية الجزء الثالث من سلسلة مجلدات عن القرارات الدولية الخاصة بقضية فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي.

المجلد الجديد الذي جاء في ٥٥٧ صفحة من القطع الكبير حمل عنواناً هو «قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي... المجلد الثالث ١٩٨٢/١٩٨٦».

وصدر المجلدان الأول والثاني في نيسان «إبريل» ١٩٩٣م وكانون الثاني «يناير» ١٩٩٤م.

أوردت مؤسسة الدراسات الفلسطينية بعض الملاحظات تحت عنوان «تمهيد» وجاء فيه أن المؤسسة اعتمدت النصوص العربية الرسمية للقرارات بحسب ما وردت في وثائق الأمم المتحدة باستثناء العناوين فقد وضعتها المؤسسة. أما القرارات التي لم تصدر أصلاً بالعربية وهي قليلة جداً فقد ترجمها عن الإنجليزية خالد عايد.

وقسمت المواد المتعلقة بالقرارات إلى ستةأقسام:

أولها قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة وبلغت مئة قرار.

القسم الثاني خصص لقرارات مجلس الأمن الدولي وفيه أربعون قراراً.

القسم الثالث اشتمل على قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي والهيئات المتصلة به وفيه ٤٣ قراراً توزعت على المجلس الاقتصادي والاجتماعي ولجنة حقوق الإنسان واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ومجلس إدارة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

القسم الرابع خصص لقرارات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو» وفيه ٢٣ قراراً.

القسم الخامس خصص لقرارات منظمة الصحة العالمية وفيه خمسة قرارات.

القسم السادس وفيه ثلاثة قرارات للوكالة الدولية للطاقة الذرية. وفي نهاية المواد توزعت ٨٦ صفحة بين ما ثبت بمصادر نصوص القرارات ومصادر معلومات التصويت «مرشد القرارات بحسب موضوعاتها» وملاحق عن إعلان جنيف في شأن الفلسطينيين وبرنامج العمل الخاص بأعمال الحقوق الفلسطينية.

ندوات مستقبلية الحضارة الإسلامية في غربي أفريقيا

يعد مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استانبول لإقامة ندوة دولية حول «الحضارة الإسلامية في غربي أفريقيا» بالتعاون مع المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء «إيفان» وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس خلال الفترة من ٢٥ ـــ ٢٩ ديسمبر القادم ١٩٩٦م.

الثروة المعلوماتية في عصر المعلومات

صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتاب خاص عن الثروة المعلوماتية في عصر المعلومات من تأليف «بيل غيتس» وذلك ضمن سلسلة عالم المعرفة الثقافية الشهرية.

ويعد غيتس وهو رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لشركة «ميكروسوفت» كبرى شركات برامج الكمبيوتر في العالم الآن والشركة العملاقة في مجال الأقراص المدمجة «سي. دي. روم» والموسوعات المتعددة الوسائط والدوائر أحد رواد الطريق السريع للمعلومات الذي أحدث ثورة هائلة في تقنيات عصر المعلومات والثروة المعلوماتية.

ويجيب غيتس في كتابه عن السؤال المطروح عالمياً وهو أين يقف عالم الكمبيوتر الآن ويقدم برنامجه للمستقبل شارحاً بالتفصيل كيف ستتغير التكنولوجيات الناشئة للعصر الرقمي فنحن كما يقول على أعتاب ثورة جديدة ستغير إلى الأبد الطريقة التي نشتري بها ونعمل ونتعلم ويتصل بعضنا ببعض.

ويعود المؤلف في سياق دراسته إلى الفترة التي قدر فيها أن يترك جامعة «هارفرد» ليبدأ في تأسيس شركته الخاصة لبرامج الكمبيوتر بهدف المساهمة في صعود الكمبيوتر الشخصي الذي تنبأ به وتماماً مثلما غيرت ثورة الكمبيوتر الشخصي الطريقة التي نعمل بها وأدوات ووسائل عصر المعلومات والتي أصبحت منذ الآن واقعاً يومياً معاشاً فسوف يغير أيضاً في المستقبل القريب الطريقة التي نصنع بها خياراتنا فيما يتعلق بكل تفاصيل حياتنا.

المؤتمر العالمي العشرون لتاريخ العلوم

تم الاتفاق على إقامة المؤتمر العالمي العشرين لتاريخ العلوم في مدينة «ليج» ببلجيكا، وذلك في شهر يوليو من العام المقبل (١٩٩٧م) ويهدف المؤتمر إلى استعراض الأبحاث الجارية في القرن الحالي بشكل نقدي، وفتح آفاق جديدة للبحث المستقبلي، وسيكون هذا المؤتمر آخر مؤتمرات هذا القرن، وسيتضمن المؤتمر الموضوعات التالية: التقارير الراهنة حول أبحاث التكنولوجيا والعلوم الأساسية الإسلامية، العلوم الإسلامية بعد الحقبة الكلاسيكية وتطورها في إيران، وتركيا والهند والشرق الأقصى، آفاق واتجاهات جديدة للبحث في العلوم والتكنولوجيا الإسلامية خلال القرن الحادي والعشرين، مساهمات أصيلة «يمكن أن تكون تقارير قصيرة» في العلوم الأساسية الإسلامية، الجغرافية وعلم تطوير الآلات وصنعها، ونقل العلوم الإسلامية إلى إيران والهند، وآسيا الوسطى، وأسبانيا الإسلامية والمغرب.

المسألة القومية في وعي الإسلام السياسي

كتاب جديد يقع في حوالي ١٦٠ صفحة من تأليف الباحث التونسي توفيق المديني يطرح المؤلف من خلاله مجموعة من التصورات عن العلاقة بين العروبة والإسلام وما نتج عنهما لاحقاً من قوى وتيارات حاولت ولا تزال صياغة المشروع العربي النهضوي. ورغم أن الانهيار والفشل هما القاسم المشترك لما آلت إليه تجربة كل تيار، فإن حجم التناقضات والقطيعة بين هذه التيارات كاف لحصد انهيارات جديدة ومنع تشكل وعي معرفي يدفع بالواقع العربي وقواه إلى تلمس عوامل النهوض.

وعليه، طالب الكاتب القوى والتيارات العربية الإسلامية، القومية، الماركسية، التي رفعت الشعارات الكبرى، وكذلك التيار الإسلامي، إلى الحوار الحر المفتوح المتعدد، كأولى خطوات المراجعة في المشروع النهضوي. فادعاء كل تيار امتلاك الحقيقة المطلقة أمر لن يؤدي سوى إلى القطيعة والخصام وكي يكون الحوار فكرياً معرفياً، لابد من تحديد المرجعية بتحديد العلاقة بين القومية العربية والإسلام.

مفهوم التعايش في الإسلام

صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» كتاب جديد حول «مفهوم التعايش في الإسلام» للدكتور عباس الجراري ـ عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس المجلس العلمي في الرباط الكتاب صدر مترجماً إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية في طبعة واحدة.

يؤكد المؤلف في كتابه على أن السلم في مفهوم الإسلام لا يعني الاستسلام أو التنازل أو الضعف ـ ولكن يعني أخذ الحق وتبادل العلاقات والمصالح على أساس عهود ومواثيق تكون ملزمة لجميع الأطراف ويبرز المؤلف أيضاً أن التعايش ينبغي أن يقوم على الحوار الذي هو في الإسلام حوار معرفي يهدف إلى تبادل التعارف ووجهات النظر لحل المشكلات.

علم الاجتماع حاضره ومستقبله

تنظم لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة المصري في الأسبوع الأول من ديسمبر المقبل مؤتمراً دولياً حول «علم الاجتماع.. حاضره ومستقبله» تشارك فيه كوكبة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا «علم الإنسان» في مصر والعالم العربي.

أخبار ثقافية

● تم انتخاب الدكتور صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة الثقافية الإسلامية بجنيف وهي مؤسسة تهدف إلى إقامة الشعائر الدينية الإسلامية وتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم وأحكامه ونشر الوعي الديني في أوساط الجالية الإسلامية.

● قرر منح جائزة السلطان حسن البلقيه العالمية لعام ١٩٩٦م في موضوع القرآن وعلومه مناصفة بين الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور والأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط وتهدف هذه الجائزة إلى التشجيع والاعتراف بالتقدم العلمي الأكاديمي في أي فرع من فروع الفنون والعلوم الإنسانية والاجتماعية مما له علاقة بالإسلام والعالم الإسلامي.

● في بادرة لم يسبق لها مثيل من قبل طرحت الهيئة المصرية للكتاب خلال شهر أغسطس الماضي ربع مليون نسخة من كتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل الذي صدر في نهاية الثلاثينيات من هذا القرن فنفدت كلها من الأسواق خلال أيام معدودة.

● أعلن في الرباط عن اسمي الفائزتين بجائزة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة للإبداع الأدبي النسوي «الايسيسكو» لعام ١٩٩٦م وقد قررت لجنة التحكيم منح جائزة القصة القصيرة للطالبة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء «خديجة يكن» عن قصتها «عندما تنساب كارمينا بورانا» وجائزة الشعر للشاعرة المصرية «علية الجعار» عن قصيدتها «إسلام وأمومة».

● صدر في الرياض أخيراً دليل الكتاب والكاتبات في المملكة العربية السعودية وذلك عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ويضم معلومات عن ٤٣٦ كاتباً وكاتبة من المعاصرين في المملكة ويقع الدليل في ٣٧٥ صفحة من القطع الكبير.

خواطر متأمل في سورة «العصر»
للمغفور له عبد العزيز علي عبد الوهاب المطوع

قراءة في كتاب

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

فقدت الكويت منذ اشهر قلائل أحد رجالاتها الأبرار الذين ساهموا في بناء نهضتها الحديثة، والفقيد من مواليد الكويت العام ١٩٠٩م أسس جمعية الارشاد الاسلامية التي تم افتتاحها في عهد الأمير الراحل المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح وقد عرف بأياديه البيضاء في اعمال الخير والبر الكثيرة داخل الكويت وخارجها.

وإذا كان من كلمة في هذه المناسبة فإنني أود أن أذكر من يريد معرفة المزيد من مناقب الفقيد وآثاره بانه كان معنياً بتفسير القرآن الكريم، منذ اكثر من خمسة عشر عاماً- كما حدثني بذلك أحد معارفه- ولا ادري اذا كان هذا التفسير قد انجز شيء منه أم لا؟!

والذي بين يدي كتيب ألّفه المغفور له منذ اكثر من ثلاثة واربعين عاما وهو في مجمله دعوة الى التأمل في ملكوت السموات والارض والتفكير في هذا الكون العجيب لاستجلاء مواقع العبر فيهما والحكمة في نسقهما العجيب.. الى ان يقول اجلت الفكر في نواحي هذا التسخير وانواع المسخرات واستغرقت في هذا التفكير في شبه غيبوبة، ولاحت لي وجوه من الفهم بعضها مستبشر وبعضها عابس.

وينتهي من رحلته في التأمل في الكون ومافيه بصفة عامة وفي سورة «العصر» بصفة خاصة الى جملة حقائق أبرزها:

«أننا نجحف بحق ألفاظ القرآن حين نحملها على أدنى معانيها وعلى الطرف الاخير من دلالتها.. فنحن لانفهم من التسخير إلا أدنى معانيه».

وكأنني بالمؤلف يريد أن يدعو إلى التعمق في دلالة الألفاظ القرآنية، فلا يكتفي بالتوقف عند ظاهر اللفظ بما يمس قضايانا الآنية أو الوقتية العاجلة فقط، بل يريد ان نتعمق في مفردات القرآن وفي دلالاتها إلى ان نستجلي حقائق الكون الكبرى الدالة على عظمة الخالق ووحدانيته.

يعجب المؤلف من أحوالنا معشر المسلمين مع هذا القرآن وكيف وقفنا عند شواطئه متهيبين الغوص في اعماقه مقتصرين على الظواهر في الوقت الذي اهتدى فيه غيرنا الى معاني هذا التسخير بفهمهم للسنن الكونية، وبحثهم عن حقائقها واجتهادهم في تطبيقها».

ويزداد المؤلف عجباً ممن يعولون على الاستدلال العقلي المحض فيرتبون أقيسة الكون بالعقل ويستخرجون نتائجه بالتفكير وتختلف العقول لتفاوتها في الادراك فيشتد الجدل، ويجر الجدل الى خلاف وتشوب التوحيد شوائب هي بذور الوثنية ومالعقل وان كان آلة للإدراك- إلا هباءة سابحة في كون الله الفسيح وما احرانا ان نعمد الى النظر والتأمل في الكون العظيم واتصال اجزائه وما فيه من دلائل منتظمة ناطقة بوحدانية خالقه.

وهذا المنهج من التفكير يسميه «الاستدلال بالكائنات على المكوِّن» بكسر النون المشددة.

بعد هذه السبحات في التفكير يقف عند سورة «العصر» ويرددها كما يقول ثم يدون خواطره: «عسى ان يتهدى بها مهتد فتجر لي اجراً لم أكن احتسبه او تفتح باباً من ابواب التفكير في القرآن والتدبر في معانيه لمن هو اكثر مني استعداداً، واصدق تأملا، واوسع علما، فيتوسع في الاستنباط من هذا الينبوع وفي استخراج الجواهر من هذا المعدن الإلهي الذي لاتحصى عجائبه ولاشك ان في هذه الفقرة قدراً كبيراً من التواضع ولا اظن ان كثيرا من اصحاب الاقلام يتمتعون بهذه الروح العالية وبهذا القدر من احترام عقول الآخرين.

وفي توقفه عند سورة العصر يتأمل- فيما يتأمل- القسم وكم أقسم الخالق في كتابه بهذه الاشياء وينتهي من ذلك الى الحقائق التالية:

«أساليب القسم في القرآن علم مستقل، ومجال لإعمال العقل والفكر».

«اغلب ماوقع به القسم هو من هذه المسخرات التي سخرها الله لعباده».

«من بعض حكم القسم التنبيه على فوائد هذه الاشياء، لتطلب تلك الفوائد ونسعى لها سعيها».

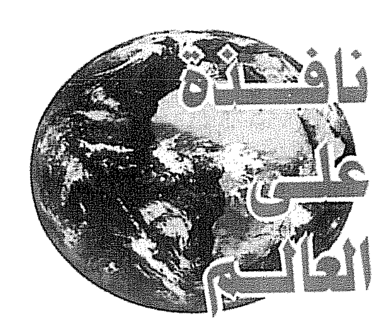
من انواع القسم، القسم بالمعاني والقسم بالمحسوسات« لا لتعظيمها- كما يفهم القاصرون في العلم بناء على ان كل مقسم به عظيم او معظم، ولاعظمة اعلى من عظمة الخالق- وانما اقسام الخالق بها ارشاد للعقول، لتستفيد من تلك المعاني، ومن تلك المخلوقات الصماء».

اقسم الله بالظروف الزمانية لانها أوعية للاعمال محصية لها ضابطة لأنواعها وأفرادها، فأقسم بالفجر والليل والنهار والضحى والعصر.

العصر الذي وقع به القسم زمن واسع مبهم ينطوي على اجزاء تبتدىء بالدقائق، وتنتهي بانتهاء المظروف المعين، ويشتمل العصر على ايام وليال متكررة متعاقبة تدور كالدولاب.. وتتعاقب على عالم الاحياء بالظلمة ليسكن وبالنور ليتحرك.. وتتجدد عليه بما يبليه وبما يبقيه.. وكل قطعة من الزمان طويلة او قصيرة تكون ظرفاً لاحداث متشابهة ومظهرا لوقائع متماثلة.. ومن الاستعمالات الصحيحة للعصر في هذا المعنى العصر الحجري والعصر الحديدي، والعصر الجاهلي.. وكلها اطوار من عمر البشرية.

والكتاب على صغره يشتمل على افكار جليلة وخواطر دقيقة ونظرات ثاقبة، تحتاج منا الى وقفة تأمل فيه، وقد صيغت تلك الخواطر بأسلوب فيه قدر كبير من البلاغة والبيان، ودقة واضحة في استخدام الكلمات في مواضعها.

واذا كان من كلمة اخيرة فمن حق المرحوم على القائمين بأمور التراث الاسلامي ان يجمعوا آثاره ويعيدوا نشرها لتعم الفائدة رحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته. ■



الكويت تطالب باسقاط بعض الديون عن الدول الفقيرة

اكد المندوب الدائم لدولة الكويت لدى الأمم المتحدة السفير محمد ابو الحسن ضرورة استمرار الدول المانحة في التخلي عن جانب من الديون والفوائد المستحقة على الدول المعسرة شديدة الفقر وقال ابو الحسن في كلمة القاها امام الدورة الـ ٥١ للجمعية العامة للامم المتحدة انه رغم ان الكويت من الدول الدائنة الا انها تشعر بالمشكلات التي تعترض سبل التنمية الاجتماعية في البلدان ثقيلة المديونية ولذلك فإنها تطالب الدول المانحة بالتخلي عن جانب من الديون على الدول المعسرة واشار بهذا الصدد الى اعلان سمو الامير الشيخ جابر الاحمد الصباح امام الجمعية العامة في ٢٨ سبتمبرالعام١٩٨٨ عن مبادرته بالغاء الديون وقال ان هذه المبادرة تأتي تأكيدا لدور الكويت الرائد في تحقيق التنمية الدولية واضاف ان الكويت ومنذ ان تحقق لها فوائض مالية من عائدات النفط سارعت للمشاركة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول النامية من خلال المساعدات والمنح والقروض الميسرة التي يقدمها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية واوضح ان الصندوق الذي انشيء العام١٩٦١ قدم حتى يونيو ١٩٩٤ قروضا قيمتها٢,٢٢٢,٣٤ مليون دينار فيما بلغ اجمالي القروض التي قدمها نحو ٤٤٥ قرضا ومضى ابو الحسن الى القول ان المساعدات الكويتية المقبلة من المؤسسات غير الحكومية وما اقامته هذه المؤسسات من مشروعات خيرية انتاجية واجتماعية في مختلف الدول يدل دلالة صادقة على الجوانب الانسانية المرتبطة بالمساعدات الاهلية. واشار الى ان نسبة المساعدات التي تقدمها الكويت الى الناتج القومي الكويتي بلغت ٤,٤ في المئة خلال عقد التسعينات واكد ابو الحسن ان الكويت تولي اهتماما خاصا في مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية الذي عقد في العاصمة الدانمركية كوبنهاغن في مارس العام ١٩٩٥. واشار الى مشاركة سمو امير البلاد الشيخ جابر الاحمد الصباح في قمة كوبنهاغن واهتمامه الخاص بمتابعة نتائج هذه القمة والتي على اثرها تم تشكيل لجنة وطنية خاصة في الكويت لمتابعة اعلان كوبنهاغن بشأن التنمية الاجتماعية وبرنامج عمل القمة.

الرياض: أعلى معدل نمو سكاني في العالم

ذكرت دراسة حديثة صدرت أخيراً ان العاصمة السعودية الرياض سجلت منذ العام ١٩١٨ وحتى العام ١٩٩٥ اعلى معدل نمو ديموغرافي على مستوى مدن العالم إذ كان عدد سكان الرياض نحو ١٩ الف نسمة في العالم ١٩١٨ وارتفع الى ٥٣ الف نسمة في العام ١٩٥٣ ليبلغ نحو ٢,٩١٧مليون نسمة العام الماضي.

وجاء في الدراسة ان ٧٠ في المئة من النمو السكاني في الرياض يرجع الى مايضاف من سكان سعوديين عن طريق الهجرة الداخلية والزيادة السنوية في المواليد وتزايد تمركز العمالة غير السعودية لكون العاصمة السعودية مركز جذب سكاني.

ويشكل السعوديون حالياً ٦٦ في المئة من اجمالي سكان الرياض فيما يشكل غير السعوديين نسبة ٣٤ في المئة.

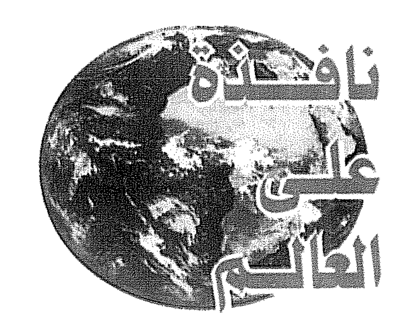
وعزت الدراسة اسباب هذا التغير في نسبة السكان السعوديين الى عوامل من بينها زيادة الاتجاه الى توظيف العمالة الوطنية واحلالها محل العمالة الوافدة في القطاع الحكومي بشكل خاص، اضافة الى معدل تزايد السعوديين في الرياض اكبر من نظيره عند سكانها من غير السعوديين ويفد الى مدينة الرياض سنوياً نحو ١٤٠ الف نسمة ٤٠ الف نسمة منهم من غير السعوديين.

١,١ مليون نسمة عدد السكان العرب في اسرائيل

اعلن المعهد الوطني الاسرائيلي للاحصاءات في القدس امس ان عدد سكان اسرائيل يبلغ حاليا ٥,٧١٦ مليون نسمة. واظهرت احصاءات هذا المعهد التي نشرت في مناسبة عيد رأس السنة ونقلتها وكالة الصحافة الفرنسية، أن من بينهم ٨٠,٨ في المئة من اليهود ٤,٦٢ مليون و١٤,٥ في المئة من المسيحيين «١٦٦الفا» و١,٧ من الدروز ٩٥الفا.

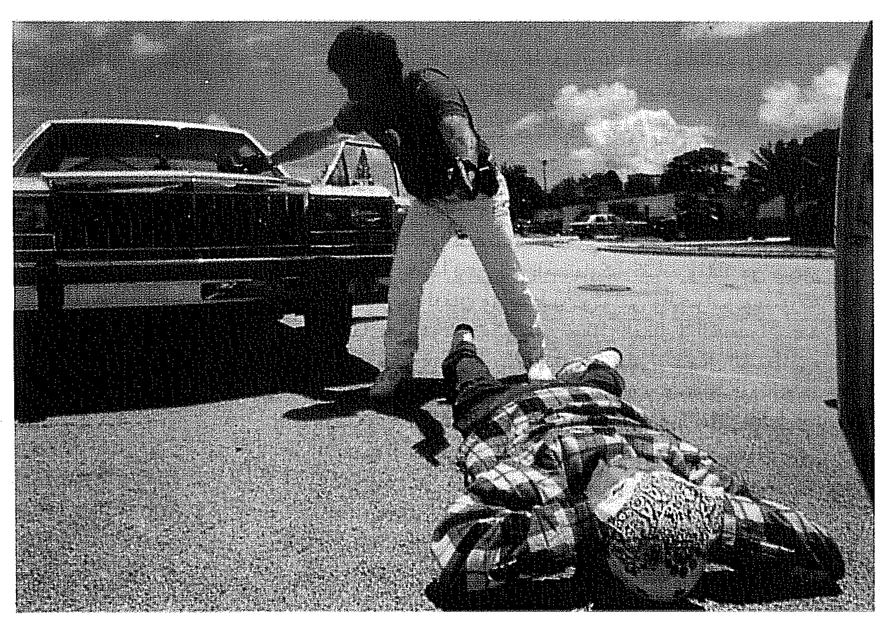
الشرق الأوسط يحتاج ١٦ مليار دولار سنويا لتمويل مرافقه

قالت دول من الشرق الاوسط وشمال افريقيا امس الخميس ان هناك حاجة الى ١٦ مليار دولار سنوياً على مدى السنوات العشر الى الخمس عشرة المقبلة لتمويل البنية الاساسية من اجل الاسراع بالنمو في المنطقة. وقال بيان صدر في ختام مؤتمر للبنية الاساسية عقد تحت رعاية البنك الدولي واللجنة الاوروبية المشاركون اتفقوا على تحقيق هدف تحسين النمو في المنطقة يحتاج الى تمويل هائل يصل الى ١٦ مليار دولار في السنة على مدى السنوات العشر الى الخمس عشرة المقبلة. لمشروعات البنية الاساسية وكذلك تحسين الكفاءة بدرجة كبيرة.



الأميركيون قلقون من العنف والتعليم والايدز

جاء في استطلاع للرأي نشرته صحيفة «واشنطن بوست» الاميركية يوم ١٦/٩/١٩٩٦ ان تدني مستوى التعليم وتزايد اعمال العنف وانتشار مرض نقص المناعة المكتسبة «ايدز» تشكل الهموم الرئيسية للاميركيين. وجاء في هذا الاستطلاع الذي اجرى في ٢٠ يونيو الى الرابع من اغسطس وشمل اربعة آلاف شخص تزيد اعمارهم عن ١٨ عاما، ان ٦٢في المئة من الاميركيين يتوقعون ان يتدنى مستوى نظامهم التعليمي في الاعوام المقبلة فيما يتوقع ٦١ في المئة منهم تصاعدا أعمال العنف والجريمة في الولايات المتحدة . ويخشى ٦١ في المئة من الاميركيين ايضا من انتشار مرض الايدز في العالم. ويأتي بعد ذلك في طليعة هموم المواطنين الاميركيين الخوف «٨٥في المئة» من عدم قدرتهم على دفع الاقساط المدرسية لاولادهم في المراحل العليا .



ماليزيا تطلق قمرها الصناعي منتصف نوفمبر

تنوي ماليزيا اطلاق قمرها الصناعي الثاني« ميسات ٢» الى مداره في الفضاء الخارجي في الاسبوع الثاني من شهر نوفمبر الجاري وقد باتت الاستعدادات الخاصة باطلاق القمر شبه كاملة حيث ستتم عملية الاطلاق من قاعدة كورورا الفرنسية التي كان قد اطلق منها القمر ميسات ١ في الثاني عشر من شهر يناير الماضي.

«الماسونية» تعيد نشاطها للاراضي المحتلة

قالت مصادر مطلعة ان المحفل الماسوني المسمى بمحفل الشرق العربي والذي نقل نشاطه من عمان الى بيروت في اوائل العام ١٩٩٥م بعد صدور قانون يحظر نشاط الجمعية الماسونية في الاردن إنه يعد العدة لإعادة نشاط المحافل الماسونية في ثلاث مناطق في الضفة الغربية اضافة الى تأسيس محفل ماسوني في منطقة الجليل في فلسطين المحتلة منذ العام ١٩٤٨م.

واضافت المصادر ان فلول الجماعة الماسونية المحظورة في الاردن تحاول التركيز انطلاقا من محفل بيروت على اعادة تنشيط المحفل الماسوني في مدينة أريحا والذي خرج منها عقب الاحتلال العام ١٩٦٧م.

بعد ان هجره اعضاؤه الى عمان وذلك لأحياء نشاط المحفل مجددا والذي كان يطلق عليه اسم محفل قصر هشام منذ انشائه في اواسط الخمسينات كما تجري الاستعدادات الماسونية لاحياء محفل القدس ا لماسوني ومحفل آخر في مدينة نابلس وذلك بإشراف محفل الشرق العربي الذي يركز نشاطه في المنطقة خلال هذه الفترة على العاصمة اللبنانية «بيروت».

واوضحت المصادر ان الضفة الغربية والاراضي الفلسطينية على وجه العموم تأخذ الاولوية القصوى في برنامج إعادة تنشيط المحافل الماسونية في المنطقة علما بأن محفل الشرق العربي المشار اليه يعتبر مسؤولا عن النشاط الماسوني في الوطن العربي بأكمله.

سكن العالم ١٠,٤ مليارات عام ٢١٠٠

يتوقع ان يتوقف سكان العالم عن الزيادة في نحو العام ٢١٠٠ وان يصل عددهم الى ١٠,٤ مليار نسمة كما اعلنت المؤسسة الدولية لتحليل الانظمة التطبيقية التي تتخذ من لوكسمبورغ في ضواحي فيينا مركزا لها في بيان اصدرته امس الاربعاء.

وقالت المؤسسة التي اصدرت أخيراً كتابا عن توقعاتها الجديدة هذه ان «سكان العالم الذين تضاعف عددهم اربع مرات خلال الاعوام الثمانين الماضية لن يتضاعفوا بعد ذلك على الارجح. واوضحت المؤسسة ان هناك «احتمالا بنسبة ٦٦ في المئة بأن لايتجاوز سكان العالم ١١,٥ مليار نسمة» اي ضعف سكان العالم حاليا» في القرن المقبل وقد لايصلون ابدا الى هذا الرقم. وقال ولفغانغ لوتز رئيس الفريق الذي كلف بوضع هذه الدراسة ان«اكبر عامل مؤثر على النمو السكاني هو الانخفاض المستمر لنسبة الخصوبة في معظم مناطق العالم».

واعلن لوتز ايضا ان سكان العالم سيرتفعون من ٥,٨ مليارات حاليا الى نحو ٧,٩ في العام ٢٠٢٠ والى ٩,٩ في العام ٢٠٥٠.

وتفيد هذه الدراسة ايضا ان سكان اوروبا ومن ضمنها الجزء الاوروبي من الاتحاد السوفياتي السابق سيبدأون بالتناقص قبل العام ٢٠٥٠.

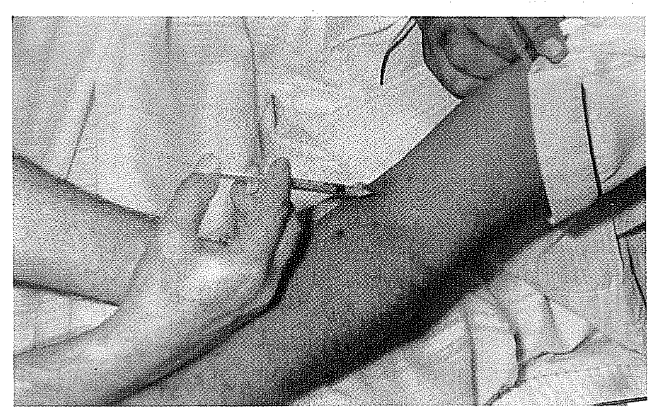
وفي المقابل فإن عدد سكان دول شمال افريقيا والشرق الاوسط قد يتضاعف مرتين او حتى ثلاث مرات خلال الخمسين سنة المقبلة بسبب ارتفاع نسبة الشباب ونسبة الخصوبة لدى سكان هذه المنطقة من العالم.

وفي امريكا الشمالية تتوقع المؤسسة زيادة بطيئة ـ لكن منتظمة ـ للسكان الذين سيرتفع عددهم من ٢٩٧ مليونا العام ١٩٩٥ الى ٣٥٦ العام ٢٠٢٠ الى ٤٠٥ العام ٢٠٥٠ و٤٨٢ مليونا العام ٢١٠٠.

وفي الصين آسيا الوسطى واوروبا وامريكا الشمالية سيزداد عدد المسنين بصورة كبيرة وسيمثل من هم فوق الستين في العام ٢٠٥٠ بين ٢٨ و٤٤ في المئة من سكان اوروبا الغربية و٣٠ في المئة من سكان امريكا الشمالية و٢٥ في المئة من سكان الصين وآسيا الوسطى.

والمؤسسة الدولية لتحليل الانظمة التطبيقية هي منظمة غير حكومية اسستها العام ١٩٧٢ (١٦) دولة تقوم بدراسات في مجالات البيئة والاقتصاد والسكان والتكنولوجيا.

مليون مدمن على الهروبين في دول الاتحاد الاوروبي



ذكر المكتب الاستشاري لشؤون المخدرات التابع للاتحاد الاوروبي في اول تقرير له امس ان مابين نصف مليون ومليون شخص في دول الاتحاد الاوروبي هم من مدمني الهيروبين.

ووفقا لتقديرات الوكالة فإن ما بين خمسة الى خمسة عشر في المئة من سكان الاتحاد الاوروبي حاولوا بصورة غير مشروعة تعاطي المخدرات في مرحلة مامن حياتهم، وبخاصة الحشيش وهو الاكثر شيوعا في اوروبا.

وكانت اكبر الزيادات التي سجلت بين انواع المخدرات الامفيتامين ومشتقات اخرى مثل ايكستاسي «عقار النشوة».

ويتباين ذلك من دولة لاخرى حيث يتعاطى هذه المشتقات من المخدرات مابين ثلاثة الى عشرة في المئة من الشباب في المجموعة العمرية مابين ثمانية عشر الى عشرين عاما وهم منتشرون على وجه الخصوص في بريطانيا ودول شمال اوروبا.

وذكرت الوكالة التي تتخذ من لشبونة مقرا لها ان هناك زيادة طفيفة في استخدام الكوكائيين الا ان الزيادة المتوقعة على نطاق واسع في استخدامه لم تحدث.

وقال التقرير ان اربعين في المئة من المسجونين في سجون الاتحاد الاوروبي قد عوقبوا لتهريبهم المخدرات او بجرائم على صله بها.

توتر في إقليم كوسوفو

يشهد اقليم كوسوفو« جنوب صربيا» عودة ملحوظة للتوتر العرقي إثر اعتقال« ارهابيين» والعبث بقبور ألبانية وتوزيع بيانات تهاجم بلغراد وتوقيع اتفاق بين يوغوسلافيا والمانيا لاعادة آلاف من المهاجرين الألبان الى كوسوفو.

وكان اتفاق في مطلع سبتمبر الماضي بين الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش وزعيم الالبان في كوسوفو ابراهيم روغوفا لاستيعاب الطلاب والمدرسين الالبان في اجهزة التعليم الصربية الرسمية قد هدأ الوضع في كوسوفو التي ألغت بلغراد نظام الحكم الذاتي فيها العام ١٩٨٩. ويقطن كوسوفو نحو مليوني نسمة ٩٠ في المئة منهم من اصل ألباني يطالبون بالاستقلال. لكن اتفاق ميلوسيفيتش وروغوفا ظل حبرا على ورق لأن الطرفين فشلا في التوافق على سبل تطبيقه الامر الذي اجبر الطلاب الالبان للسنة السادسة على التوالي على التوجه الى مؤسسات تعليمية شبه سرية تدرس فيها برامج منسوخة عن برامج التعليم في ألبانيا.

وفي بداية اكتوبر اعتقل ثلاثة من الالبان بتهمة الارهاب وارتكاب اعتداءات ذهب ضحيتها اربعة قتلى وسبعة جرحى. إلى ذلك قام مجهولون يوم السبت الماضي بالعبث بـ ٦٢ قبرا البانيا واضرموا حرائق في خمسة مساجد. كذلك ذكرت الرابطة الديموقراطية في كوسوفو ان بيانات تهدد المتعاونين مع المحتل الصربي وزعت في الاسبوع الماضي في مدينة بوديبيفو ووقعت البيانات منظمة تحرير كوسوفو وهي تنظيم مجهول الهوية.

من جهة اخرى اعرب ألبان كوسوفو عن قلقهم من توقيع اتفاق بين بون وبلغراد الخميس الماضي لاعادة نحو ١٣٥ الف يوغسلافي لجأوا الى المانيا ٨٠ في المئة منهم من ألبان كوسوفو.

ترجمات

حركات الأقليات الصينية المسلمة ليست في معظمها انفصالية

علاقات «الهوي» مع «الهان» وحكام الصين تفاوتت تاريخيا بين الثقة والحذر

إعداد عبدالمنعم احمد

نقلت وكالة الانباء الصينية «شينخوا» في الاشهر الاخيرة تقارير حول تنامي المشاعر «الانفصالية» الكامنة والتحركات الاستقلالية الاسلامية في شينغيانغ المقاطعة الصينية الشاسعة التي تقع في شمال غربي البلاد وتتمتع بالحكم الذاتي ولقد نقلت الصحافة العالمية هذه التقارير وقارنتها بالحركة الانفصالية في التبت وطرحت بعض التكهنات حول المخاطر الكبيرة التي قد تواجه الصين اذ ماقررت الاقليات القومية الرئيسية التحرك بنشاطات اكبر. ومثل هذه المخاطر قائمة الا انه في ما يتعلق بمسلمي الصين فإن الصورة تبدو اكثر تعقيدا مما يظهر لاول وهلة فعلى الرغم من وجود ميل لدى بعض الاوساط باعتبارهم كمجموعة يشكلون جماعة واحدة، الا انهم في الواقع يتكونون من العديد من الجماعات المختلفة، وهناك واحدة من هذه الجماعات تتميز بخاصية تجعلها منفردة.

فالصين تعترف بعشر قوميات اسلامية متفرقة، الا ان هوي وحدها تشكل نسبة حوالي خمسين في المئة من عدد مسلمي الصين الذي يصل عددهم الى اكثر من ١٥ مليون نسمة وهم يتحدثون اللغة الصينية اما الجماعات الاخرى بما في ذلك الايغور، والكازاخ، والقوقيز، فهي اقليات قومية متميزة بشكل واضح مثلهم مثل التبت والمغول.

تكريم للقومية ولكن...

وفي الواقع فإن «هوي» معترف فيها بانها ايضا كأقلية قومية وهي تتمتع بوضع خاص حيث لها علم وطني خاص بها فالعلم الاحمرلجمهورية الصين الشعبية يحمل نجمة صفراء كبيرة تمثل اقلية «الهان» واربع نجوم صفراء صغيرة تمثل على التوالي كلا من المانشو والمغول والتبت والهوي.

الا انه على الرغم من هذا التكريم فان معظم الهان يشعرون بالحيرة على الاقل، بل واحيانا كثيرة بالشكوك تجاه ابناء بلدهم من الهوي فهؤلاء يشبهون الصينيين ويتحدثون اللغة الصينية الا انهم يتفادون اكل لحم الخنزير. الطعام المفضل لمعظم الهان، كما يقرأون كتبا دينية باللغة العربية ويولون وجوههم شطر مكة في صلواتهم الخمس كل يوم ويختنون ابناءهم ويلتزمون ببعض الممارسات غير المفهومة التي لا تتضمن عبادة الأسلاف. وباختصار فمن وجهة نظر الهان فإن الهوى يبدون كأناس غامضين.

فما هو بالتالي وضع الهوي في الساحة السياسية الصينية؟ لقد جاء الاسلام الى الصين اول مرة قبل اكثر من الف عام مضى حيث وصل بعض التجار من الشرق الاوسط برا عبر طريق الحرير القديم، كما عبروا البحر وبخاصة من منطقة شائي بحر الصين الجنوبي وهوي هذه الايام «تصينوا» بصورة كبيرة فهم احفاد اولئك التجار والمواطنين الصينيين المحليين ممن اعتنقوا الاسلام كما انهم وعلى خلاف من مسلمي الصين ذوي الاصول التركية القاطنين في الغرب الاقصى للبلاد يعيشون متفرقين في جميع ارجاء الصين امتدادا من لاهاسا الى هارين وهم يشكلون في ثلاث مقاطعات هي غانسو وكونغ هاي ويونا، وجزءا من السكان اما مقاطعة نينغ زيا الشمالية القاحلة فإنها تعتبر منطقة حكم ذاتي تابعة لهم.

وبما انهم جاءوا كنتاج لعمليات تجارية تغطي مناطق شاسعة تمتد مابين الصين الى الشرق الاوسط فانك تجدهم الى اليوم يجيدون العمل في مجال التجارة كما انهم بدأوا الآن يستبدلون قوافل الجمال والبغال بصورة متزايدة بأساطيل الشاحنات وهم يشتهرون ايضا بعملهم في مجال الفنادق والمطاعم. وتجد الكلمات الصينية «كينغ جين» اي نقي وطيب التي تعادل عبارة حلال في

> كلما استقر المسلمون الهوي بعيدا عن المركز الصيني اصبحوا منجذبين اليه

اللغة العربية ترتفع خارج الآلاف من الفنادق الصغيرة والمطاعم في جميع ارجاء البلاد.

مقاتلون شرسون

وهناك جانب آخر يميز الهوي، وهو جانب ظل في الماضي يثير العديد من المشاكل بالنسبة للسلطات المركزية فعلى خلاف من الهان الذين ظلوا على الأقل حتى تأسيس جيش التحرير الشعبي يحتقرون العمل العسكري فإن الهوي لايجدون غضاضة في الانخراط بهذه المهنة، وهم يعتبرون مقاتلين شرسين وتبدو هذه الحقيقة بوضوح في انتفاضة المسلمين الكبرى في القرن التاسع التي اجتاحت شمال ووسط الصين بالاضافة الى مقاطعة يونان. ولقد أخذ الامر من اسرة كوينغ المنتصرة التي اعلنت عفوها عن الاقليات المتمردة مثل الايغور الذين قرروا الاستسلام لكنها لم تعف عن متمردي الهوي الذين تعرضوا للاعدامات الفورية. وخلال عهد الامبراطور كيان لونغ اخذت في الواقع فكرة القضاء التام على المسلمين الصينيين مأخذا جديا في البلاط الامبراطوري.

لماذا عاملت سلطات كوينغ متمردي الهوي بهذه القسوة غير المعهودة؟ الاجابة عن ذلك هي في ما يبدو انهم يتحدثون الصينية وبالتالي فهم خونة للدولة الصينية وهنا يكمن تفسير الموقف المتناقض للهوي في المجتمع الصيني حتى في هذه الايام فعلى المستوى السياسي فهم قد يكونون منحوا وضع الاقلية من قبل الشيوعيين الا انه بالنسبة للمواطن العادي من الهان فإن الهوي يبدون بالفعل بمثابة لغز. فهم ليسوا صينيين تماما الا انهم ايضا ليسوا اجانب وبالطبع فإن الهوي ينظرون الى الامور بالطريقة نفسها مما يؤدي الى حدوث وضع سياسي مربك ومحير.

بروز عنصر الهوية

وبالاضافة الى ذلك فإن معظم تجمعات الهوي في الاراضي الصينية محاطة بمناطق كبيرة يقطنها الهان، كمنطقة شارع اوكس الشهيرة في بكين وفي مثل هذه الظروف فإن تعامل الهوي مع الاغلبية الهان انما يركز على الجانب الاسلامي اي غير الصيني في الهوي ويظهر ذلك في سلوك الهوي كما في تصرفات الهان.

وعلى العكس من ذلك فكلما ابتعد الهوي عن المناطق التي يطغى فيها عنصر الهان في المناطق الداخلية في البلاد يزداد لديهم الاحساس بهويتهم الصينية كما يظهرون انهم اكثر فخرا بروابطهم بالمملكة الوسطى، وبالتالي فإن الجانب غير الصيني للهوي الذي يشعر الهان بالانزعاج في بيك او شنغهاي يبدو هناك في حالة تلاش مقارنة بالاقليات الاخرى مثل التبت والمغول والاتراك حيث ان العنصر الصيني في تركيبتهم العرقية وسلوكهم الثقافي يبدو طبيعيا.

معارضة لأي انفصال

ويعني هذا الامر أنه كلما استقر المسلمون الهوي بعيدا عن المركز الصيني اصبحوا منجذبين اليه فهم تقليديا يحتقرون المسلمين من ذوي الاصول التركية القاطنين في مناطق الغرب الاقصى الصيني الذين يصفونهم باحتقار بعبارة «شان تو» أو اصحاب العمائم ففي خضم سنوات امراء الحرب كان يكمن للهوي ان يلحقوا بالجيش الاحمر المكون من الهان بعض الضربات الا انهم في الغرب وفي مقاطعة شين جيانغ النائية فإن قوات الهوي قامت بقمع الحركات الانفصالية التركية بطريقة وحشية وقد كان احد الجنرالات المسلمين من الهوي الذي اغضب الايغور في كاشغار بتعليقه لصورة سون يات سن الأب الموسس للقومية الصينية في مسجد المدينة وباختصار فا الهوي موالون للصين وهم يعارضون بشدة أي صفقة انفصالية للمسلمين.

كما ان الحكومات الصينية المتعاقبة وبغض النظر عن لونها السياسي ظلت مدركة لهذه الحقيقة ولهذا السبب فإن الهوي يعاملون كمستوطنين مفضلين في المناطق النائية من الامبراطورية مثل التبت وشين جيانغ واواسط منغوليا. وعندما تواجه بكين اضطرابات مدنية كما يحدث الآن فإنها تشعر بالاطمئنان لمعرفتها ان مسلمي الهوي الذين يعمل العديد منهم بجدارة في جبش التحرير الشعبي سيظلون موالين للصين وان لم يكونوا موالين للحزب الشيوعي.

وهذا الامر لايعني ان بكين تشعر بالارتياح تماما تجاه الهوي ففي المناطق التي لايوجد بها الايغور او التبت حيث يغيب التمايز فإن العلاقات بين الهان والهوي لاتكون غالبا جيدة. ففي خلال السنوات الاخيرة وقعت بعض الاحداث الصغيرة التي قام بها الهوي في مقاطعة يونان مما ادى الى حدوث عمليات اقتحام للمساجد وسقوط عدد من القتلى والأمر الأكثر اهمية وبوجه خاص في وقت بدأت فيه السيطرة المركزية تصاب بحالة ضعف ان الخطر لايتثمل في انفصال الهوي وانما في امكان تعزيز الهوي سيطرتهم الاقليمية فالهوي يظلون اقوياء في المقاطعات الشمالية الغربية الفقيرة مثل كينغ هاي وغانسو ونينغ زيا. واذا مااستمرت المقاطعات الساحلية الغنية في جنوب الصين في الازدهار، بينما تبقى المقاطعات الشمالية الغربية القاحلة النائية غارقة في الفقر، فقد يتحقق عندها الكابوس الذي يرغب المجتمع في تفاديه، الا وهو بروز مشكلة الصراعات الاقليمية المسلحة مرة اخرى. ■

عن وول ستريت جورنال

> الهوي يعاملون كمستوطنين مفضلين في المناطق النائية من الامبراطورية



من أحكام زكاة المال

تم إيداع مبلغ في اول العام مقداره «١٠٠٠» دينار مثلاً وقبل حولان الحول وإخراج الزكاة، دخل عليّ مبلغ آخر مقداره «٢٠٠٠» دينار، فهل اخرج الزكاة عن حول أو حولين، علماً بأن المبلغ الثاني دخل علي قبل إخراج الزكاة بـ١٥ يوماً؟

– وقد أجابت الهيئة بالتالي:

اختلف الفقهاء في حكم زكاة المال المستفاد في اثناء الحول.

فذهب جمهور الفقهاء الى ان المال المستفاد في الحول، ان كان متولداً من المال الاول ضم اليه في الحول، وإلا لم يضم اليه، وبدء به حول مستقل سواء كان من جنسه او من غير جنسه. وذهب الحنفية الى ان المال المستفاد في الحول يضم الى المال الاول ان كان من جنسه ويزكي معه في حوله سواء تولد منه ام لم يتولد منه، فإذا كان من غير جنسه لم يضم اليه وافرد بحول مستقل بنفسه.

واللجنة ترى الأخذ بمذهب الحنفية في هذا الموضوع لما فيه من مصلحة الفقراء، والاحتياط في امور العبادة والتيسير في حساب الزكاة على المزكي. وعليه فإن المال المستفاد من قبل المستفتي يضم إلى المال الأول مادام من جنسه، وعليه ان يزكي المالين معاً في نهاية حول المال الاول الذي يبدأ شرعاً من تاريخ امتلاكه له وليس من تاريخ ايداعه.

حدود غض البصر

حث الإسلام على غض البصر بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء، لكن ما حدود غض البصر بالنسبة للرجل؟، حيث إنني اواجه في عملي وفي بعض الوزارات عند مراجعتي لقضاء بعض المعاملات نساء وهن متفاوتات في نوعية اللباس، منهن لباسهن شرعي لما فيه من نقاب ولباس فضفاض صفيق، ومنهن سافرات كاشفات عن رؤوسهن وعن اجسادهن فإذا كنت أتعامل معهن لانجاز معاملة ما، وانظر اليهن دون شهوة «فقط لإنجاز المعاملة» فهل في ذلك إثم عليّ؟ وان كان النظرة لشهوة تتولد بعد النظر فهل هناك إثم؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

غض البصر عن عورة غير الزوج والزوجة واجب على كل مسلم ومسلمة، وهو صرفه لنظره عن التطلع الى عورات الآخرين عن قصد، اما النظر غير المقصود وهو نظر الفجأة فلا يحرم دفعاً للحرج، لانه يتعسر اتقاؤه، والحرج مرفوع شرعاً بقوله تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ :﴿وماجعل عليكم في الدين من حرج﴾.

إلا انه يجب على من امتد نظره فجأة الى عورة من لايحل النظر اليها ان يصرفه عن ذلك فوراً ولايستمر فيه، بشهوة كان او بغير شهوة على قدر إمكانه لقول النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن ابي طالب:«ياعلي لاتتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»رواه الترمذي وحسنه.

إلا ان المسلم إذا احتاج الى النظر في امر ضروري أو حاجي، كنظر الطبيب الى العورة إذا كانت محل المرض، ونظر القاضي الى المدعي والمدعى عليه والشهود عند التقاضي، ومنه نظر الرجل الى المرأة في حالة البيع والشراء، ومتابعة المعاملات الرسمية ومااشبه ذلك فإنه جائز في حدود الضرورة والحاجة، دفعا للحرج المرفوع شرعاً لما تقدم، الا ان المناظر في هذه الحال ان يتنزه عن قصد الشهوة في حال النظر، ولايقصد التفكر فيما بعده دفعاً للشهوة، فإذا وقعت الشهوة بعد النظر بغير قصد منه، بل مع مغالبته لها لم يأثم، لعدم القصد، ولاستفراغ الجهد في الدفع.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

صرف الزكاة على الانشطة الثقافية

نحن لجنة تهتم بتربية الناشئة من سن ١٢ الى ١٥ سنة وذلك بعمل البر والانشطة الدينية والثقافية والاجتماعية والرياضية الترفيهية، وتعمل اللجنة في جميع المحافظات الخمس في بلدنا الحبيبة الكويت، ولدى اللجنة حالياً ٧٨٠ ناشئا يقوم بالاشراف عليهم موجهون ومشرفون جميعهم كويتيون ومن خيرة شباب هذا البلد وعددهم ٩٥ شاباً وقد اقامت اللجنة العديد من البرامج والفعاليات على مستوى الكويت او على مستوى المحافظات، هذا بالاضافة الى البرامج اليومية للمناطق من حفظ للقرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى برامج المهارات والقدرات وتنميتها. ولايخفي عليكم ان عملا بهذا المستوى يحتاج الى مبالغ مالية كبيرة، ويساهم في هذا بعض اهل الخير ولكن ليس بالقدر الذي يسد حاجات اللجنة، من توفير وسائل نقل: باصات وادوات تسلية واقامة مخيمات وشاليهات وتنظيم رحلات. على ماتقدم يرجى إفادتنا بفتوى هل يجوز للجنة استقبال الارباح الربوية المراد التخلص منها وصرفها على ماسبق ذكره؟

– الاصل انه لايجوز ايداع الاموال في البنوك الربوية بقصد تحصيل الفوائد ولو كانت النية قائمة عند الايداع لصرفها في وجوه الخير. ولايجوز للجنة ان تطلب الفوائد الربوية من احد للإنفاق على مشاريعها. ولكن إذا جاءتها الفوائد دون طلب فلا مانع من قبولها وصرفها في وجوه الخير والبر العام لصالح النشء وذلك عند الحاجة اليها.

حكم الإطالة في الصلاة والخطبة

تـرد إلينا شكـاوى كثيرة من بعض المصلين يطلبـون فيهـا تغيير الامـام او الخطيـب او المؤذن لإطـالتـه في الصـلاة او الخطبة او نحـو ذلك، وكراهتهم ذلك منـه، محتجين بما ورد من الحديث من إمامة الـرجل قومـاً وهم له كارهون، مع العلم بأن تكرار ذلك وكثرته يعود بـآثـاره السلبيـة على الامـام وجمهـوره على السـواء، لانقطاع التواصل المنشود بينهما– فضلا عما ينشأ عن ذلك من عـدم الاستقـرار ومشكل النقـل والاسكـان وغيرهما من الاعباء الإدارية.

ولهذا نـرجـو ان تتفضلـوا ببيـان يـوضح الضـوابط الشرعية لهذه المسألـة، حسماً للخلاف فيهـا، وتحقيقاً للمصلحـة العـامـة مع التكرم بـاستعجـال العـرض للأهمية.

–وقد اجابت اللجنة بالتالي:

اركـان الخطبـة وشروطها وسننهـا وآدابها في مـذاهب الفقهـاء عامـة لاتحتـاج إلى اكثر من وقت قصير جـدا، وفوق ذلك فالأمر منوط بمدى حاجة المصلين وقدرتهم على الصبر والاحتمال من غير مشقة او ضيق.

وقد نص الفقهاء على ان من مكروهـات الخطبة الإطالة فيها ولم يحددوا لذلـك حداً معينا من الزمـان، وتركوه لحصافـة الخطيب ومهارتـه في تقدير حـاجة المصلين وقدرتهم على الصبر والاحتمال، مع مـلاحظة اضعفهم لحديث النبي صلى اللـه عليـه وسلم:«اقـدر النـاس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والسقيم والبعيد وذا الحاجـة» رواه الشـافعـي في مسنـده، والترمـذي وحسنـه ابن مـاجـة والحاكم وقـال على شرط مسلم، وحـديث النبي صلى اللـه عليـه وسلم انـه قـال لابي هـريـرة:«ياابـا هـريـرة إذا كنت إمامـا فقس النـاس بأضعفهم» اخرجـه ابن خزيمة وصححـة وقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما اطال الصلاة مرة«افتـان انت يامعاذ» رواه الشيخان وقـوله لعثمان ابن ابي العـــاص«إذا أممت قـــومـــاً فـأخف بهم الصـلاة»رواه مسلم وقولـه:«إذا أممت النـاس فاقـرأ بالشمس وضحاها» رواه مسلم والنسائي.

ولو تصفحنـا عامة خطب النبي صلى اللـه عليه وسلم وخطب اصحابه الاخيار في الجمعـة والعيدين لما وجدنا فيها مايزيد على بضع دقائق.

ولهذا فإنه على الخطيب والإمـام ان لايطيلا الخطبة ولا الصلاة اكثـر من طاقـة الناس الـذين يخطب فيهم او يؤمهم من غير إخـلال بأحكام الخطبـة والصلاة، فإن زاد على ذلك أثم لما فيـــه من إعنـــائهـم، وصرفهم عن الخشـــوع وحسن الاستماع، وايقاعهم في الفتنـة وهي إفساد ممنـوع شرعاً لم ينصب الخطيب ولا الامـام له، ثم ان فيه صرف المسلمين عن الجماعة والجمعـة كرها به ونفـورا منه وهو اثـم يحبط العمل لقول النبي صلى الله عليـه وسلم:«ثـلاثة لاتجاوز صـلاتهم آذانهم:العبد الآبق حتى يـرجع، وامرأة بـاتت وزوجها عليهاسـاخط، وإمام قوم وهم له كارهون» الترمذي.

لهذا فإن اللجنـة تتـوجـه الى السادة الخطبـاء والأئمـة والقـائمين على قطـاع المسـاجد بـالالتـزام والتنبيـه الى ضرورة تقصير الخطبة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين، وسائر صلـوات الجماعة على قدر طـاقة المصلين بل على قدر طـاقة اضعفهم لما تقـدم من الأدلة، بشرط استكمال الشروط والاركـان والسنن من غير زيـادة، ولا بـأس بأن يقوم المسـؤولون عن قطـاع المساجـد بنصح المخالفين وتـوجيههم المرة بعـد المرة، قبل اتخاذ اي اجـراء معهم، فإذا لم يلتـزمـوا بـذلك رغـم النصح فـلابأس بـاتخاذ إجراءات مخففة معهم، حماية للمصلين من شططهم.

كما ان اللجنـة تتـوجه للسـادة المصلين بـالتـذكير بأن الصلاة عبـادة من اعلى العبـادات، وان إطالتهـا على قدر الطاقة طاعة من اكثـر الطاعات، والتبكير الى المسجد من اجلهـا من افضل القربـات، وان المسلم في صلاة مـادام ينتظـر الصـلاة، وان سماع الخطبـة والتفكير فيهـــا والانتفاع منها فيها الصلاح والفلاح والمثوبة لقوله صلى اللـه عليـه وسلم :«الملائكة تصلي على احـدكم مـادام في مصلاه الذي صلى فيه مالم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه» رواه البخاري.

كماتـذكر بأن المكث في المسجد بنيـة الطـاعة والعبـادة اعتكاف مأجور ومثاب عليـه. وتذكرهم بضرورة احترام العلماء وتوقيرهم وعدم مقابلتهم بما يكرهون لقوله عليه الصلاة والسـلام:«ليس منا من لم يجل كبيرنـا ويعطف على صغيرنا ويوف عالمنا حقه»،فإذا اختلفوا مع العالم في امر حاوروه فيه بأدب واحترام.

واذا كان لابـد من تحديد فترة زمنية لخطبـة الجمعة كي تستـوفى فيهـا اركـانها وسننهـا وآدابها دون ان يلحق بـالمصلين عنت، أو ينصرفـوا عن الاستماع الى الخطبـة دفعا لشطط بعض الخطباء، فإن اللجنـة ترى ان يفوض ذلك الى القائمين على إدارة المسـاجد يحددونه بما يـرونه مناسبا.

وعلى الخطيب ان يكـون بليغاً يحسن العبـارات والجمل ذات المدلـولات العميقـة والــواضحـة، ولابأس بقـراءة الخطبة من ورقـة يعدهـا الخطيب مسبقاً، وبخـاصـة إذا كان مبتـدئا، او يكتب المخطط العام للخطبـة لئلا ينسى نفســه ويسترسل ويخرج عن الــوقت المحـدد، ولابأس للخطيب اذا وجد موضوعه شائكاً وطويلاً ان يجلس بعد الصلاة ليتم للمصلين موضوعه في درس يستمع اليه فيه من يـرى في نفســه الحاجة والقـدرة على الاستماع او ان يدّخر باقي جزئيات الموضـوع ليقدمها في خطبة او خطب تالية، وبـذلك يستطيع ان يوفر للمصلين مصلحتي رفع الحرج عنهم، واتمام فضله وعلمه عليهم. ■

يسر خـدمـة الفتوى بـالهاتف تلقي الأسئلـة الفقهية مباشرة من ٨ ــ ١٢ ظهرا ومن ٤ ــ ٨ مساء على الأرقـام الهاتفية التالية :

٢٤٤٤٤٠٥
٢٤٦٦٩١٤
٢٤٢٨٩٣٤
٢٤٨٧٤٣٨

ونرجو من الأخوة المستفسرين من خـارج الكـويت مـراعاة اختلاف التــوقيت □



حسين الديب

زمن الاتصالات والحذر

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

خُلق الكون وخلقت معه النظريات والفلسفات الكونية الدينية منها والدنيوية ،فالدينية ماجاءت في كتب الله -سبحانه وتعالى -على لسان رسله وانبيائه لتأكيد ألوهيته ووحدانيته وحكمته-سبحانه وتعالى- في كونه وابداعه فيه وفي مخلوقاته ليكون للناظر فيه دليل إعجاز وتفرد.

اما الدنيوية فهي ماجاءت من بعض المفكرين والمتأملين في الكون وما فيه من ابداع من الصانع للمصنوع، فمنهم من أيقن قدرة الصانع فكان عالماً ومنهم من شطن عنه وحاول اختلاق واصطناع فلسفة له تكون داعمة لدليله الذي ارتضاه عقله سماها نظرية ،والنظريات كثيرة ومعروفة فمنها ماافاد ومنها مالم يفد في المجتمعات.

وبما أننا في نهاية قرن وبداية آخر كثرت فيه التقنيات والتقدم التكنولوجي وستزداد اكثر ولن تتوقف في القرن الجديد، فقد دخلت علينا الفكر والفلسفة الغربية دون استئذان وتغلغلت في نسيج عقلنا المعاصر بفضل التقنيات الإعلامية التي تنقل لنا صورة العالم حية مباشرة في التو واللحظة.

ولايشك احد في كون الفكر والفلسفة احتلا مكانة مهمة جداً في مجتمعاتنا العربية والاسلامية كما لايزال المد الثقافي والفلسفي الغربيان يصلان الينا بصورة مكثفة كالذي نعيشه اليوم عابراً المحيطات والجبال والانهار متخطياً المسافات لاغياً الابعاد الجغرافية في ثوان قليلة نافذاً الى صميم مشاعرنا وذهننا بقصد تبديل الشخصية الاسلامية التي تعلمناها من ديننا الحنيف ومن رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- وتوارثناها جيلاً بعد جيل محاولاً التأثير السلبي والمباشر علينا بهذه الفلسفات والافكار المدبرة التلمودية الماسونية المقصودة تحت مسمى الاعلام الثقافي والتقدم والتحضر والمدنية.

الملاحظ وحقيقة لاننكرها للاسف الشديد ان الاعلام الاسلامي تأخر كثيرا عن المواجهة النقدية والتصدي لما يستجد على الساحة من واقع الثقافات والافكار والفلسفات الغربية مما أعطى للايديولوجيات الغربية فرصة التسرب إلى العقل العربي واستلابه وجعلت العقل العربي في موقف حرج لانه لم يجد تطوراً اعلامياً ونقداً اسلامياً لما يقدم اليه غير البعض القليل الذي لايكفي اطلاقاً لان يكون نقداً او يطلق عليه حتى لفظ نقد ،يصلح للتصدي لذلك الغول الغربي الكاسح« الاعلام» الذي لن يتوقف عن بث مايريده الغرب من نشر افكار غير سوية بهدف التشويش على الاسلام ودستوره الآلهي بغرض التمرد عليه من اهله والانصراف عنه ومحاولة اعطائه الصفة غير الصالحة لهذا الزمن والعصر الحاضر.

اذن هناك مسؤولية كبيرة مهمة تقع على كاهل الاعلام الثقافي والاسلامي والعربي تجاه خطر التسرب الفكري والفلسفة والثقافة الغربية للحد منه ووضع قيود لما يصلح ومالا يصلح حفظاً لكياننا العربي وهويتنا الاسلامية من الضياع او الاندثار ومحاولة ايضاح الافكار الغربية باسلوب اسلامي وعربي واختيار الايديولوجيات والفلسفات المعينة لذلك.



أصدر قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت - إدارة الإفتاء - الجزء الأول من سلسلة (مجموعة الفتاوى الشرعية).

يقع الجزء الأول في (٤٥٠) صفحة من القطع المتوسط، وهو - بعد كلمة الوزارة - يتضمن مقدمة عن إدارة الإفتاء وتطورها منذ أن أنشئت لجنة الفتوى العام ١٩٧٧م وحتى اليوم، مع ذكر مشاهير المفتين في تاريخ الكويت، والتطور الجديد في مجال الفتوى الهاتفية، وجهد الوزارة في خدمة الإفتاء.... ثم يسرد بعد ذلك بحثاً فقهياً عميقاً مسهباً حول الفتوى وشروطها، وآداب المفتي والمستفتي، والقضايا التي تتعلق بها الفتاوى، وتعدد المفتين وغير ذلك من المسائل الفقهية الأخرى... ثم بعد هذا ضم الجزء الأول من مجموعة الفتاوى الشرعية بطاقات تعريف بالسادة العلماء المكلفين بالفتوى، وهم ثلة كريمة من كبار العلماء انتخبتهم الوزارة خلال العشرين سنة الماضية للتصدي لإجابة السائلين، من خلال اجتهاد جماعي وبحث وتفحص.

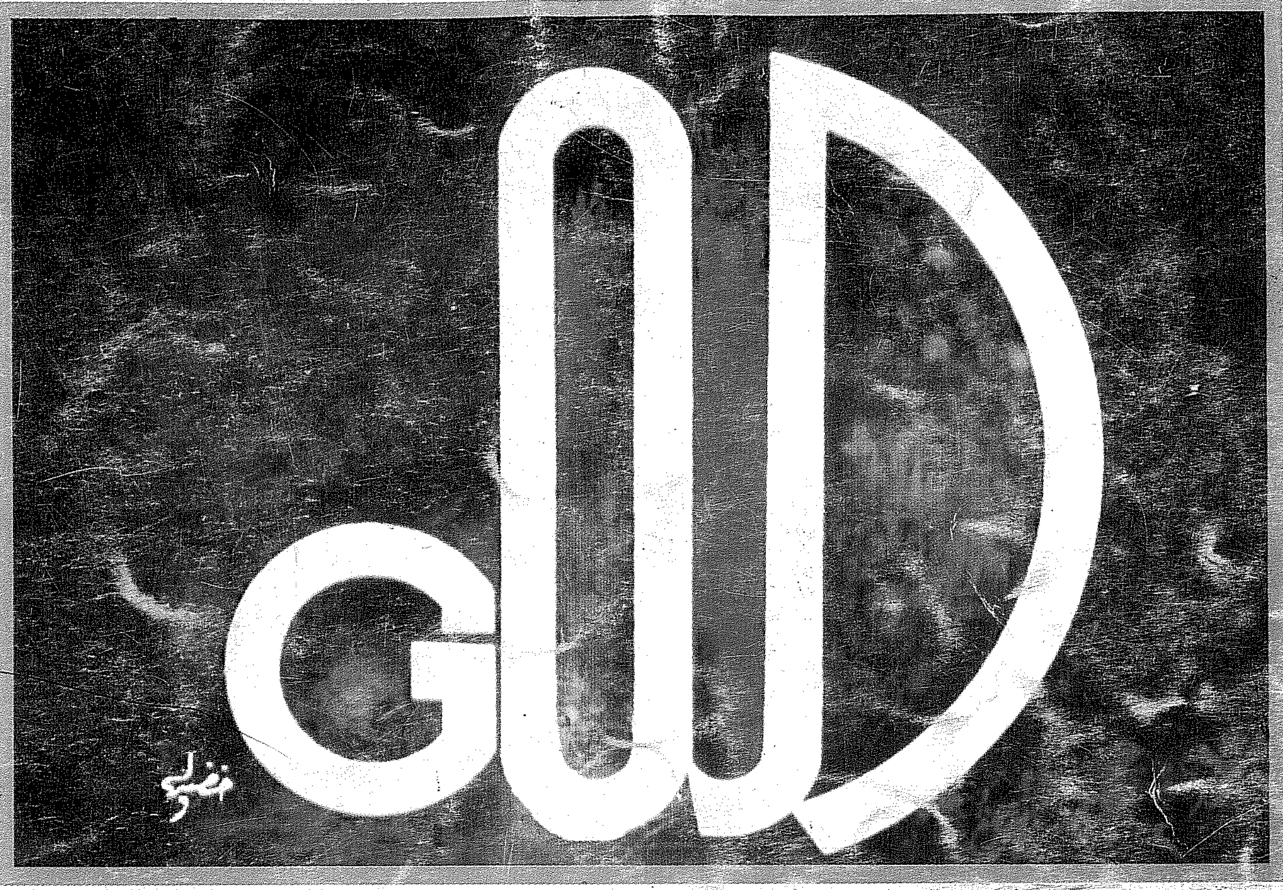
ثم انتقل الجزء الأول عقب كل المباحث إلى الفتاوى نفسها، فضم ما يتعلق منها بكتاب العقائد وكتاب العبادات وكتاب المعاملات، مما سجلته محاضر الفتوى من العام١٩٧٧ إلى العام ١٩٨٤م... وقد بلغت الفتاوى (٣٤٦) فتوى معنونة مبوبة، ومرقمة بأرقام تسلسلية، وأرقام تدل على أماكنها في محاضر لجان الفتوى.

وقد لقي إصدار الجزء الأول استحسان وقبول عامة المسلمين من علماء وغيرهم ووضعت لائحة مفصلة لتوزيعه بدقة ضماناً لوصوله إلى أكبر عدد ممكن من مستحقيه.

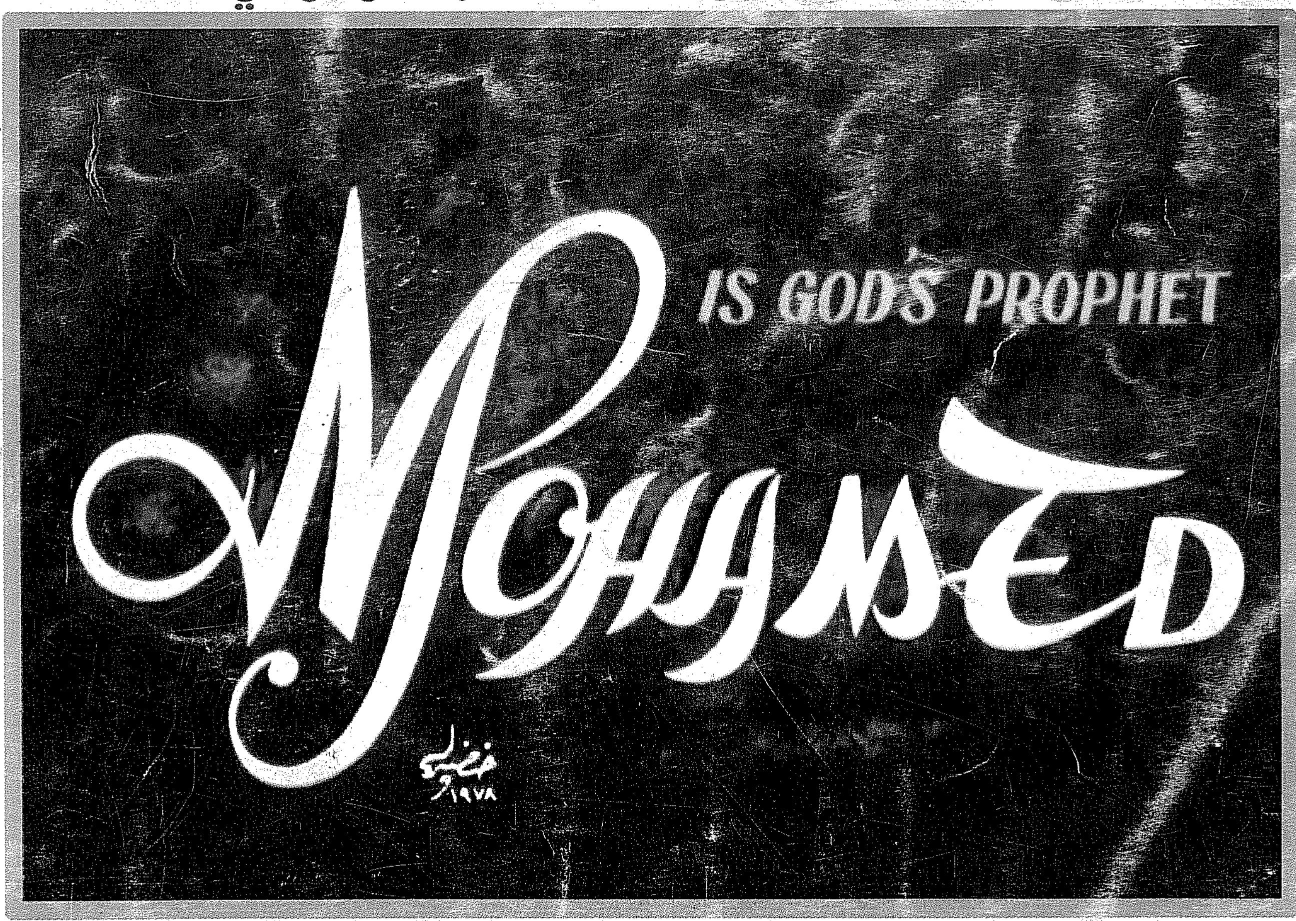
هذا وقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية - إدارة الإفتاء - يباشر حالياً طباعة الجزء الثاني من هذه السلسلة التي نرجو من الله أن تستمر حتى تشمل أهم ما في محاضر لجان الفتوى من كنوز علمية وإجابات شافية وتوجيهات سديدة.

والجزء الثاني يضم الفتاوى المتعلقة بكتاب الأحوال الشخصية، وكتاب الجنايات والحدود، وكتاب السياسة الشرعية، وكتاب الحظر والإباحة، وكتاب الطب، مما تمت الإجابة عليه خلال نفس الفترة التي تناولها الجزء الأول (من العام ١٩٧٧ - ١٩٨٤).

آلاجل لأخي احمد عارف



من فعاليات مهرجان كاظمة للتراث الاسلامي



اسم الجلالة بالحرف الانجليزي والعربي وكذلك اسم الرسول ﷺ